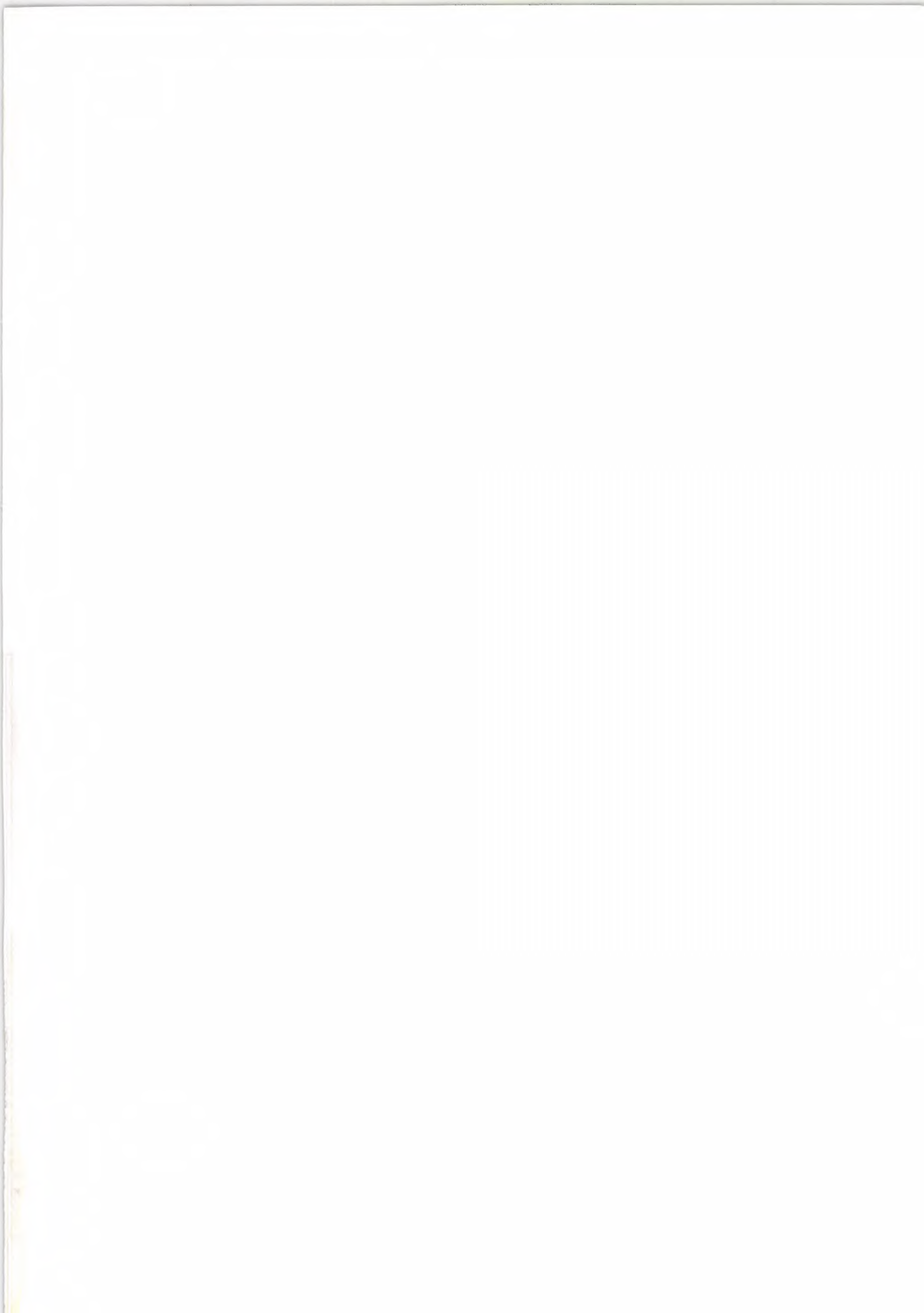


دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية

أ . د / غيثان بن علي بن جريس



دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية

الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس

منشورات نادي جازان الأدبي
الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بن جريس ، غيثان بن علي
دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية . / غيثان بن علي بن جريس . — جازان ، ١٤٢٨هـ .
٢٠٨ ص ، ١٧ × ٢٤سم

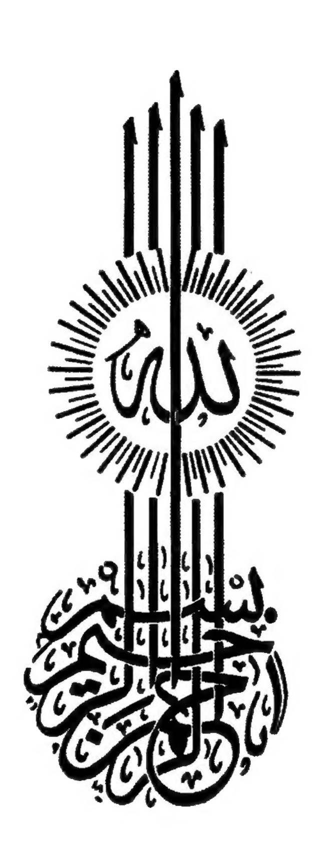
ردمك : ٠ - ٨٠ - ٦٢٢ - ٩٩٦٠

١- افريقيا الشرقية — تاريخ إسلامي ٢- الإسلام - أفريقيا
أ - العنوان

ديوي ٩٦٧ ١٤٢٨/٢٨٤٣

رقم الإيداع : ١٤٢٨/٢٨٤٣
ردمك : ٠ - ٨٠ - ٦٢٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ /٢٠٠٧ م


بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب : دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية
المؤلف : أ . د : غيثان بن علي بن جريس
الناشر : نادي جازان الأدبي

الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

جازان – نادي جازان الأدبي – ص . ب : ١٦٠

محتويات الكتاب

دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية



توطئــــة

توطئة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب ، الآيات ٧٠ – ٧١] ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة فجزاه الله عن الأمة الإسلامية خير ما جازى نبياً عن أمته . وبعد : -

سعى الباحثون في شتى آفاق المعرفة إلى نشر إنتاجهم الفكري أما في صورة كتب علمية أي أسلوب وتعالج موضوعات مطولة وأحياناً تكون متشعبة، وإما في صورة بحوث ودراسات مركزة تعالج نقاطاً محدودة ، وتتصف في معظم الحالات بالإيجاز والتركيز .

وهذه مجموعة من البحوث والدراسات التي قُدمت في هيئة محاضرات في ندوات أو منتديات أو مجامع علمية أو فكرية وثقافية ، ثم نُشر البعض منها في مجلات علمية أكاديمية على مدى عقد من الزمان ، وجميعها تدور في إطار التاريخ الإسلامي وحضارته ، وكان للقارة الأفريقية وبخاصة شرقها ، وشمالها ، وغربها نصيب لا بأس به ، حيث يجد القارئ الكريم ثلاث دراسات علمية أكاديمية موثقة . أما الدراستان الأخريتان فقد تناولت مواضيع مختلفة عن شبه الجزيرة العربية ، وبخاصة البلاد الواقعة حالياً ضمن حدود المملكة العربية السعودية . فالأولى منهما ناقشت بعض القضايا التاريخية في العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة تحت عنوان : " الصلات الدعوية بين الرسول ﷺ وبين أهل تهامة والسراة " (دراسة تاريخية) . والثانية تعرضت

لجوانب تاريخية وحضارية في المملكة العربية السعودية في العصر الحديث وهي بعنوان " جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، لهاري سانت جون فيلبي " (دراسة تاريخية تحليلية) .

والأسباب التي جعلتني أجمع هذه البحوث والمحاضرات في كتاب واحد أسميناه : " دراسات في تاريخ أفريقيا والجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية "، هي :

١- لما للتاريخ من أهمية بين العلوم فقد أطلقنا هذا العنوان على هذا الكتاب لاحتوائه على مواضيع ومحاضرات جميعها في باب التاريخ والحضارة الإسلامية في أفريقيا والجزيرة العربية .

٢- تباعد الزمان والمكان الذي خرجت فيه هذه المحاضرات أو الدراسات ، ولهذا أصبح من الصعب على كثير من الدارسين والباحثين الرجوع إليها والإفادة منها ، وبخاصة ما قُدم منها في هيئة محاضرة ولم ينشر بعد ، أو ما نشر منها في ندوات ، أو مؤتمرات ، أو مجلات علمية وفكرية محصورة في المؤسسات أو المنتديات أو الجامعات التي تتولى الإشراف عليها .

٣- إصرار الكثير من زملائي وتلاميذي في الحصول على نسخ من بعض هذه المحاضرات أو الدراسات ، وهذا ما شجعني أيضاً على جمعها في كتاب واحد ، مع العلم أن نشرنا لبعض هذه البحوث سيكون فقط إعادة لنشرها في وعاء واحد ، بعد أن كانت متناثرة في أوعية متفرقة ، مع الإشارة في بداية كل دراسة أو محاضرة إلى المكان أو المجلة التي سبق أن نُشرت به من قبل .

٤- ودافع آخر شجعني أيضاً ، وهو الحرص على خلق تواصل بين المؤلف وبين القارئ والباحث الكريمين ، آملاً أن أتلقى منهم أي جديد يضيف أو يصحح

خطأ غير مقصود ، أو فتح مواضيع جديدة لتوسيع دائرة النقاش أو البحث والدراسة .

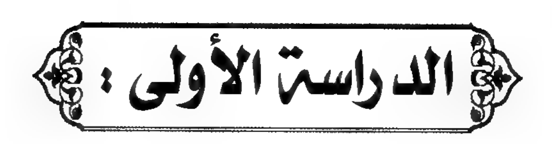
٥- وأخيراً التشجيع الذي وجدناه من الأخوة الكرام القائمين على نادي جازان الأدبي ، وعلى رأسهم رئيس النادي الموقر الأستاذ / حجاب الحازمي ، ونائبه الأستاذ الصديق / أحمد البهكلي الذين استضافوني مشكورين لإلقاء محاضرة في ناديهم العريق المتميز في خدمة الفكر والثقافة في بلادنا الغالية ، وذلك يوم الأربعاء ١٤٢٤/١٢/٢٠ هـ الموافق ٢٠٠٤/٢/١١ م بعنوان : ((ملامح العلاقات الحضارية بين مكة المكرمة وبلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة)) ، ثم تعاونهم وإبداء استعدادهم لنشر بعض إنتاجنا الفكري من خلال ناديهم الموقر . وهذا التشجيع جعلني أتفاعل مع الموقف وأقدم لهم هذه الدراسات المتنوعة لعلها تنال القبول والرضى ، ثم تحضى بالموافقة من مجلس إدارتهم الكريم فتنشر حتى تصبح متداولة بين أيدي القراء الكرام . ولا يسعني هنا إلا أن أقدم جزيل الشكر والتقدير لكل من قدم لي يد العون والمساعدة منذ تدوين هذه الدراسات ونشرها في أوعيتها الأولى ، إلى جمعها وترتيبها في هذا المصنف ، وهم كثر من الأكاديميين في جامعة الملك سعود / فرع أبها ، ثم جامعة الملك خالد ، وغيرهم من النساخ والمحررين ورؤوساء التحرير في بعض المجلات التي سبق وان نشرت عدد من هذه الدراسات .

كما أشكر أيضاً أخواني الكرام في نادي جازان الأدبي الذين تبنوا فكرة نشر هذا الكتاب . فلهم جميعاً – إن شاء الله – التوفيق والنجاح في جميع أمورهم ، ولهم مني الثناء والتقدير والعرفان .

وفي الختام ، أرجو الله العلي القدير أن يوفق الجميع إلى كل خير وصلاح ، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام .

والله من وراء القصد

كتبه الفقير إلى رحمة ربه
غيثان بن علي بن عبد الله بن جريس الجبيري الشهري
في يوم السبت ١٤٢٧/٣/٣
الموافق ٢٠٠٦/٤/١ م



الصلاة الدعوية بين الرسول ﷺ وبين أهل تهامة والسراة

((دراسة تاريخية))

(*) بحث مقدم في الملتقى السادس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، والمعقود في دولة الكويت يومي السبت والأحد (١١ – ١٢/٣/١٤٢٦هـ الموافق ٢٠ – ٢١/٤/٢٠٠٥م). وقد نشر في سلسلة مداولات اللقاء العلمي السنوي للجمعية (٦) (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) ص ١٥٧ – ٢١١ .

الصلات الدعوية بين الرسول ﷺ وبين أهل تهامة والسراة
(دراسة تاريخية)

أولاً : مقدمة :

إن في الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ، يجدها مفككة في شتى مناحي الحياة ، فالجوانب السياسية يغلب عليها طابع القبيلة التي تسودها الصراعات والحروب الطاحنة . كما أن الناحية الدينية متعددة العقائد والاتجاهات من يهودية ، ونصرانية ، ووثنية ، ومجوسية ، وصابئة ، ومن لا زال على ملة الحنيفية . أما الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، والفكرية العلمية فلم تكن هي الأخرى أحسن حالاً من غيرها(١).

هكذا كانت حالة جزيرة العرب قبيل وأثناء ظهور الرسول الكريم ﷺ في مكة المكرمة ، ويوم بدأ دعوة قومه ﷺ وأهل مكة إلى هذا الدين العالمي الذي جاء به من عند الله إلى عموم الجن والإنس كافة(٢). كانت بلاد مكة المكرمة ممثلة في قبيلة قريش أول من تصدى لظهور الرسول ﷺ ، فحاربوه، ورفضوا الاستجابة له ، بل سعوا إلى تشويه صورته وما جاء به إلى عموم قبائل الجزيرة العربية ، وإلى كل وافد إلى بلادهم للحج أو التجارة وغيرها(٣).

والبلاد المحاذية لمكة المكرمة من الجنوب والممتدة إلى صنعاء وعدن كان يطلق عليها اسم بلاد اليمن ، وذلك لسبب وقوعها إلى الجنوب من مكة المكرمة(٤). ولسنا في هذه الدراسة معنيين بالحديث عن مصطلح بلاد اليمن في العهود السابقة لظهور الإسلام ، أو حتى أثناء عصور الإسلام المختلفة(٥) ، ولكننا نسعى إلى التركيز على وضع بلاد تهامة والسراة الواقعة بين حواضر اليمن الكبرى (صنعاء ، وعدن ، وصعدة) وبين مدن الحجاز الرئيسة (مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، والطائف) ، وبخاصة في عهد الرسول ﷺ ، فندرس ما المقصود ببلاد تهامة والسراة ؟ ثم كيف كانت أوضاعها السياسية والحضارية قبل ظهور الإسلام ؟ وكيفية بداية اتصالهم بالرسول ﷺ في العهد

المكي ؟ وما هي الأساليب التي سلكها الرسول ﷺ معهم لإبلاغهم دعوة الإسلام؟ وكيف كانت استجابتهم لهذه الدعوة ؟ خلال ذلك العهد ؟ ثم نركز على أوضاعهم السياسية والدينية في العهد المدني ، وما هي الوسائل التي اتبعها الرسول ﷺ لدخولهم في الإسلام ، ويمكننا تحديدها في ثلاثة اتجاهات ، هي :

١- دعوتهم عن طريق إرسال الدعاة والرسائل .
٢- إرسال البعوث والحملات والسرايا إلى بلادهم .
٣- ذهاب وفودهم طواعية إلى المدينة المنورة لإعلان إسلامهم .

ثانيا : تهامة والسراة جغرافياً وقبلياً عند ظهور الإسلام :

(١) تهامة والسراة جغرافياً :

تهامة : هي الأرض المنخفضة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر من الغرب وجبال السروات من الشرق ، وتمتد من أرض الحجاز ، وربما من بلاد الشام حتى بلاد اليمن ، وتتفاوت في اتساعها وضيقها من مكان إلى آخر . والذي يهمنا في هذه الدراسة ، هو الجزء الأوسط من بلاد تهامة والممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى بلاد جازان وزبيد وما حولها(٦).

أما أرض السراة وجمعها سروات ، فهي المرتفعات الجبلية الممتدة من الشام إلى اليمن ، والمطلة على بلاد تهامة ، والتي يطلق عليها أيضاً اسم " جبال الحجاز " وأحياناً " جبال السروات " . وهذه الجبال مثار جدل عند كثير من الباحثين في التراث الإسلامي ، وبخاصة حول تسميتها ، وحدودها الشمالية والجنوبية ، وأحياناً الشرقية والغربية وأقسامها . وهذه الخلافات حول هذه المرتفعات ليس موضوع حديثنا . وإنما الذي يعنينا القسم الأوسط من هذه المرتفعات الموازي للجزء التهامي المذكور آنفاً والممتد من الطائف شمالاً إلى نجران وصعدة جنوباً . وهذا الجزء لا يختلف عليه اثنان فهو واسطة العقد لبلاد

السروات ، بل إن عدداً من كتب التراث الإسلامي أطلقت على سكان هذه البلاد اسم " السرو " وعلى بلادهم اسم " بلاد السراة " وأحياناً " السروات " لأنه يعيش بها عدد من القبائل التي استوطنتها من قبل الإسلام[٧] ، وتسمت الأرض باسم القبيلة القاطنة لها ، فيقال مثلاً ، من الشمال إلى الجنوب : سراة الطائف، يليها سراة عدوان ، فسراة فهم ، ثم سراة بجيلة ، وسراة دوس أو غامد وزهران، فسراة خثعم ، وتشمل بلاد شمران ، وعليان ، وبلقرن ، ثم سراة الحجر وتشمل قبائل بنو عمر وبنو شهر ، وبللسمر ، وبللحمر ، وسراة عسير ، ويطلق عليها قديماً (سراة عنز) ثم سراة جنب المذحجية ، وهي معظم بلاد قحطان الجنوب في يومنا الحالي ، وسراة همدان وخولان في بلاد صعدة ونجران[٨].

(٢) تهامة والسراة قبلياً عند ظهور الإسلام.

إن أرض تهامة والسراة قبيل وأثناء نزول الوحي على رسول الله ﷺ كانت مأهولة بالسكان العرب القحطانية والعدنانية . ولو حاولنا تقصي جميع القبائل والعشائر التي كانت تستوطن هذه البلاد آنذاك ، فالحديث سوف يطول بنا وبخاصة ما يدور حول أنساب وتاريخ مجيء كل عشيرة أو قبيلة إلى موطنها الذي استوطنت به ، وجاءها الإسلام وهي فيه[٩] ، ولكن نكتفي بذكر أسماء ومواقع القبائل الكبار في هذه البلاد ، والتي تندرج تحتها عشائر وقبائل صغيرة، ونبدأ من الجنوب على النحو التالي :

أ - قبيلة مذحج بن أدد بن زيد بن عمر بن عريب بن زيد بن كهلان ، ويقال إن مذحجاً يسمى أيضاً مالكاً[١٠]، وهي إحدى القبائل الكهلانية الكبرى ، ولها فروع متعددة وديار واسعة ، فكانت تمتد ديارها من الجنوب الشرقي لمدينة صنعاء إلى بلاد تثليث شمالاً [١١]، وتميل إلى جازان غرباً ، وكانت ذات بأس ومنعة ، فكانت تغير على أواسط نجد وعلى من جاورها من القبائل الكبار ، فخشيتها القبائل وهابتها ،

وكان الشرف والمنعة والرئاسة فيها لبني الحارث بن كعب ببلاد نجران، ومن عشائرها في بلاد السراة زُبيد ، التي ينتسب إليها صاحب الصمصامة ، عمرو بن معد كرب الزبيدي ، والتي كانت تقطن في بلاد تثليث ومتداخلة مع بلاد خولان . وتعد زُبيد جزءاً من (سعد العشيرة) الذين نزلوا بلاد تهامة في نواحي جازان وما جاورها(١٢). كما تأتي عشيرة صداء المذحجية بجوار بني الحارث بن كعب في نجران من الشمال(١٣).

ب- قبيلة همدان : وهو على وزن فعلان من قولهم همدت النار إذا سكن اشتعالها وهو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة ، يصل نسبه إلى كهلان بن سبأ(١٤). كانت من القبائل الكبيرة في الأجزاء الجنوبية السروية وتشمل قسماً كبيراً من شرق صنعاء وشمالاً إلى بلاد صعدة ونجران ، وتنقسم إلى فرعين رئيسين هما : حاشد وبكيل ، وهي تشترك في بعض المواطن مع من جاورها من القبائل مثل مذحج ، وحمير ، وخولان(١٥).

ج- قبيلة حمير : وتستوطن جنوب شرق اليمن ، وربما أطلق عليها اسم (سرو حمير) وهذه القبيلة لا تدخل ضمن حديثنا ، إلاّ أنها تجاور قبائل همدان ومذحج من الجنوب وتمتد بلادها إلى أرض حضرموت ، وتعد هذه القبيلة وارثة لملك حمير القديمة التي كانت تملك اليمن كله(١٦).

د- قبائل خولان : وتنسب إلى خولان بن عمرو بن إسحاق من قضاعة ، وهو بطن من كهلان القحطانية ويسكنون مجاورين لهمدان ومذحج وموطنهم صعدة ، وتمتد بلادهم إلى تهامة من ناحية الغرب ، وإلى وادعة من جهة الشرق ، ويطلق عليهم خولان قضاعة خلاف خولان بن عمرو ، الذي يطلق عليهم خولان العالية القاطنين شرق بلاد صنعاء ، والممتدة بلادهم إلى بلاد مأرب(١٧).

هـ- القبائل التهامية : إن معظم أجزاء تهامة الواقعة إلى جنوب مكة تسكنها

قبائل كنانة ويخالطها بعض القبائل العدنانية والقحطانية[١٨]. وكلما اتجهنا إلى الجنوب ناحية جازان وما يأتي جنوبها نجد انتشار عدد من القبائل مثل العكيون نسبة إلى عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد من قحطان في وادي سهام ورمع ، وينسب إلى هذه القبائل مخلاف (عك) ، وتتصل بلادهم ببلاد حكم بن سعد العشيرة في منطقة جازان [١٩] والتي تتصل ببلاد مذحج ونجران في الجبال[٢٠] ويأتي إلى جنوبهم الأشعريون في منطقة واسعة تضم بلاد زبيد وما حولها[٢١].

و- قبائل بلاد السراة الواقعة بين نجران جنوباً وبين الطائف شمالاً والمسماة بلاد السراة أو أهل السراة نسبة إلى جبال السروات المترابطة بعضها مع بعض ، والتي تمتد إلى قعر بلاد اليمن جنوباً وإلى أطراف بلاد الشام شمالاً . وهذه الجبال مأهولة بالسكان الذين أغلب أصولهم من قبيلة الأزد نسبة إلى أزد بن الغوث من كهلان القحطانية . وقبيلة الأزد هاجرت من بلاد اليمن بعد انهدام سد مأرب ، وانقسمت إلى فروع عديدة داخل الجزيرة العربية وخارجها [٢٢] ، ومن الفروع التي استقرت في بلاد السراة . أزد شنوءة ومنازلهم شرق السراة في أجزاء من أودية تثليث ، وبيشة ، وتربة ، وبعض أعالي هذه الأودية تسكنها قبائل من خثعم وبجيلة [٢٣] ، وفروع من قبائل مذحج [٢٤] . كما استوطنتها عشائر غامد و زهران وهي فرع رئيس من الأزد عرفوا باسم (أزد السراة) وربما أطلقت عليهم بعض المصادر الإسلامية المبكرة (أهل السراة) أو (السرو) أو (السرويون) [٢٥] . وبالتالي فالقبائل القاطنة في أرض السروات معظمها قبائل يمانية سواء كانت أزدية ، أو مذحجية أو كهلانية أو غيرها [٢٦] ، ولا تخلو من وجود بعض الفروع العدنانية بينها وقد أشار الهمداني في كتابه : صفة جزيرة العرب ، إلى أغلب مواطنها ومسمياتها وبخاصة في البلاد الممتدة من صعدة إلى الطائف ، فذكر

قبائل مذحج ومن ضمنها همدان ويام ، وكذلك جنب (قحطان الحالية) وعنز (عسير) والحجر (قبائل بني شهر وبني عمرو وبللسمر وبلحمر)، ودوس ، وغامد ، وخثعم (شهران العريضة) وبجيلة ، وبارق، وغافق ، وألمع ، وغيرها [٢٧].

وعند سفوح السروات الغربية ، والمتصلة بالسهول التهامية نلاحظ استيطانها بعدد من العشائر والأفخاذ القبلية التي هي في الأساس من أصول القبائل الرئيسة في أعالي بلاد السراة ، وربما تركوا مواطنهم الأصلية وذهبوا إلى السهول التهامية بحثاً عن موارد الرزق ، ولازال أغلبهم إلى اليوم لهم نواب وشيوخ لكنهم يعودون جميعهم إلى شيوخهم الرئيسين في السروات . وكلما اتجهنا نحو ساحل البحر الأحمر نجد القبائل أكثر اختلافاً في نسبها عن القاطنين في السهول الواقعة عند سفوح السروات الغربية ، فنجد أغلبها قبائل عدنانية ، بل لها أحلاف واتصالات قبلية فيما بينها ، وأحياناً نجد بينها وبين القبائل الداخلية صلات نسبية ، ولكن – كما ذكرنا - أن القبائل التهامية التي عند سفوح السروات تعود في أنسابها إلى القبائل القحطانية [٢٨].

ز- نصارى نجران : كانت بلاد نجران بعامة مستوطنة بعدد من القبائل اليمانية المذحجية ،والهمدانية ، والحميرية . ولكن الزعامة – كما ذكرنا – كانت في يد بني الحارث بن كعب [٢٩] . ولمدينة نجران الرئيسة وضع خاص ، حيث كان أهلها يدينون بالنصرانية ، وكان المسؤولون عنها يستمدون نفوذهم وسير أمورهم من دولة الروم . ورئاستهم في ثلاثة أشخاص ، الأول : ويلقب بالأسقف، والثاني : (العاقب) وهو أمير القوم ولا يعملون شيئاً إلاّ برأيه ، والثالث : (السيد) وهو صاحب رحلهم أي المتولي شئون الأمن والدفاع فيهم . وكانت دولة الروم

حريصة على رعايتهم وتمويلهم بالأموال والهبات والهدايا كي يبقوا موالين لهم ويقوموا على بناء الكنائس ونشر الدين النصراني هناك ، وبالتالي فمدينة نجران كانت بمثابة شبه مستعمرة للرومان في جزيرة العرب (٣٠).

هكذا كانت التركيبة البشرية في بلاد تهامة والسراة ، فالغالب عليها هو الهيمنة القبلية ، وكل قبيلة منفصلة عن غيرها ، فلا يجمعها جامع ولا تربطها رابطة ، بل كانت كل القبائل ضد بعضها بعضا . والتاريخ القديم مليء بالصراعات القبلية بين مذحج وما جاورها من القبائل كهمدان وحمير والأزد . بل نجد أن بجيلة كانت في حروب مستمرة مع قبائل خثعم . وكذلك الأزد وخثعم كانت لا تتوقف عن الحروب الطاحنة فيما بينها (٣١).

ومما يؤكد تمزق القبائل في بلاد تهامة والسراة ، وتعدد حروبها وصراعاتها ، كثرة وفود تلك القبائل إلى المدينة المنورة عند توافد القبائل العربية إليها لإعلان إسلامها ، ثم تعدد السرايا والبعوث التي أرسلها الرسول ﷺ إلى سكان تلك البلاد لمحاربتهم وتأديبهم .

ثالثاً : استجابة بعض أهل تهامة والسراة للإسلام في مرحلة الدعوة المكية :

إن ظهور الإسلام في مكة ثم انتشاره حتى وصل سكان تهامة والسراة الذين كان أغلبهم يدينون بالوثنية ، جعل بعضهم يراجعون حساباتهم العقدية ، فيجدون عدم جدوى ما يمتلكون من عادات ومعتقدات ، وبدأوا يفكرون بجدية في الدعوة الجديدة . ولكن تصدي قريش لدعوة الرسول ﷺ ومحاربتهم له جعل جميع قبائل الجزيرة العربية بما فيهم التهاميون والسرويون ينتظرون ما يسفر عنه الصراع بين القرشيين والرسول ﷺ وأتباعه . وفي فترة الدعوة المكية لم تجرؤ أي

قبيلة أو عشيرة تهامية أو سروية الدخول في الإسلام بل كانوا جميعهم سلبيين تجاه الدين الجديد ، ما عدا أفراداً كانوا يرتادون مكة للحج أو التجارة وغيرها ، وعند سماعهم بظهور الإسلام اعتنقوه ، ويمكننا ذكرهم على النحو التالي :

١ـ قيس بن نمط الهمداني :

يذكر أن النبي ﷺ كان يعرض الدين على الناس في الحج ، ويطلب منهم النصرة ، فأتاه رجل من همدان ، فقال : ممن أنت ؟ فقال الرجل : من همدان ، قال : فهل عند قومك من منعه ؟ قال نعم . ثم إن الرجل خاف أن يخذله قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال آتيهم فأخبرهم ثم آتيك من عام قابل . قال نعم : فذهب وجاء وفد الأنصار من بعده فبايعوا الرسول ﷺ [٣٢]. ونجد الهمداني يوضح نسب هذا الرجل فيقول : هو قيس بن نمط بن قيس من بني سفيان الهمداني ثم الأرحبي [٣٣]، وقد ذهب قيس إلى قومه في بلاد همدان وعاد إلى الحجاز بعد بيعة الأنصار للرسول ﷺ فسماه رسول الله ﷺ بـ (الوفي) [٣٤] .

٢ـ عبد الله بن قيس بن أم غزال :

عبد الله بن قيس من قبيلة همدان قابل الرسول ﷺ في موسم الحج وأسلم ، ثم وعد الرسول ﷺ أن يوافيه في موسم الحج من العام المقبل ، ولكنه قتل وهو في طريقه إلى بلاده على يد رجل من زُبيد للثارات التي كانت قائمة بينهم [٣٥].

٣ـ أبو موسى الأشعري وبعض قومه :

كان الأشعريون في تهامة يترددون على مكة المكرمة كثيراً ، وكان من ضمنهم أبو موسى الأشعري الذي كان حليفاً لبعض رجالات بني أمية

بن عبد شمس بن عبد مناف [٣٦]، ويذكر أنه رأى الرسول ﷺ في مكة وهو يدعو الناس إلى الإسلام ، فدخل الإسلام ، ودخل معه بعض إخوانه ، ثم عاد إلى بلاده في تهامة ينشر الإسلام بين قومه حتى كانت السنة السابعة للهجرة فهاجر لمقابلة الرسول ﷺ ومعه أكثر من خمسين رجلاً من قومه [٣٧].

٤- الطفيل بن عمرو الدوسي :

يعد الطفيل الدوسي أحد مشاهير أزد السراة في بلاد دوس (زهران) ، وله علاقات نسب ومصاهرة مع بعض رجالات قريش ، ويتردد كثيراً على مكة المكرمة [٣٨]. وعند ظهور الرسول ﷺ ومناداة الناس إلى الإسلام ، يحدث للطفيل ما يرويه لنا عندما جاءه بعض القرشيين فقالوا له : ((يا طفيل : إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد عضل بنا (أي اشتد وغلظ) وفرق جماعتنا ، وإن قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه ، وبين الرجل وبين أخيه ، وبينه وبين زوجه ، وإنما نخشى عليك وعلى قومك فلا تكلمه ولا تسمع منه ، قال فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ، ولا أكلمه ، حتى حشوت أذني كرسفاً (أي قطناً) فرقاً (أي خوفاً) أن يبلغني من قوله ، وأنا أريد ألاّ أسمعه . قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، قال فقمت قريباً منه ، فأبى الله إلاّ أن يسمعني قوله ، فسمعت كلاماً حسنا . قال فقلت في نفسي : واثكل أمي ! والله إني لرجل شاعر لبيب ما يخفى علي الحسن من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع هذا الرجل ما يقول !! إن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته . قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبعته ، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه . فقلت :يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، فأخبرته بالذي قالوا . ثم إن الله أبى إلاّ أن أسمع قولك ، فسمعت قولاً حسناً فأعرض علي دينك وما تأمر به وما تنهى عنه . قال :

فعرض علي الإسلام ، وتلا القران ، قال فوالله ما سمعت قولاً أحسن منه ولا أمراً لعله أعدل منه فأسلمت . قلت يا رسول الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام ، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه ، فقال اللهم اجعل له آية .)) . ((ثم قال : ثم دعوت دوساً فأبطأوا عن الإسلام فرجعت إلى رسول الله ﷺ بمكة فقلت : يا رسول الله . إنه قد غلبني على دوس (الزنا) و (الربا) فادع الله عليهم فقال : اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم)) [٣٩].

٥- ضماد بن ثعلبة الأزدي :

ضماد الأزدي من أزد شنوءة من بلاد السراة ، كان معروفاً بمكة من كثرة قدومه إليها ، وكان عنده بعض المعارف الطبية ، وربما ارتياده مكة للتجارة أو الاستزادة من العلوم والمعارف الطبية ، وفي إحدى رحلاته إلى مكة سمع ببعثة الرسول ﷺ ، وسمع بعض سفهاء مكة يقولون إن محمداً قد أصابه مس ، أي جنون[٤٠]، فقال ((لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي . قال فلقيته . فقال : يا محمد إني أرقي من هذا الريح[٤١]، وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد)) فقال : أعد علي كلماتك هؤلاء . فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات . قال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر[٤٢]. فقال هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال فبايعه ثم قال : رسول الله ﷺ وعلى قومك ؟ قال وعلى قومي[٤٣].

ونجد أن دين الإسلام تسلل إلى قلوب بعض السرويين والتهاميين ، وهذه تعد من البشائر الأولى التي سوف تمهد الطريق لدخول جميع سكان تهامة والسراة في الإسلام ، ولكن ليس قبل هجرة الرسول الكريم ﷺ إلى المدينة ، وتأسيس العاصمة الأولى لدولة الإسلام .

رابعاً : انتشار الإسلام في تهامة والسراة خلال مرحلة الدعوة المدنية :

بعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة واستقر بين ظهراني الأنصار، حول الدعوة الإسلامية إلى أساليب تحتاج إلى القوة وجهاد الكفار في كل مكان . وسلك مع أهل تهامة والسراة ، كما سلك مع غيرهم ، عدداً من الوسائل مثل :

١- الدعوة عن طريق الدعاة والرسائل :

بدأ الرسول ﷺ ينشر الإسلام إلى سكان تهامة والسراة وعموم بلاد اليمن عن طريق أولئك الرجال الأوائل الذين دخلوا الإسلام في مرحلة الدعوة المكية أمثال : الطفيل ، وضماد وغيرهما ، فكان يأمرهم ﷺ بعد إعلان إسلامهم بالعودة إلى قومهم كي يدعوهم للإسلام ، ولم تأت السنة السابعة للهجرة إلاّ وطلائع أهل تهامة والسراة قد بدأوا يفدون على المدينة معلنين إسلامهم بين يدي رسول الله ﷺ [٤٤]. وبعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، عزم الرسول ﷺ على إرسال بعض صحابته دعاة لدين الإسلام ، وكان يرسل معهم كتباً تقرأ على من يأتون اليهم . ويعد معاذ بن جبل من أوائل صحابة الرسول ﷺ الذين أرسلوا إلى عموم بلاد اليمن في أواخر السنة التاسعة للهجرة ، وقد ودعه الرسول ﷺ ومعه لفيف من الصحابة وأوصاه في كلام طويل بتقوى الله عز وجل وتوخي حسن المعاملة والعدل بين الناس ، ومما قال ﷺ : ((يا معاذ !! إذا قدمت عليهم

فزين الإسلام بعدلك وحلمك وصفحك وحسن خلقك ، فإن الناس ناظرون إليك وقائلون خيرة رسول الله ، فلا تزل لك سقطة يستريب لها أحد في حلمك وعدلك فإن الرسل من المرسلين)) [٤٥]. ويذكر في عدد من المصادر الإسلامية المبكرة بأن معاذاً كان مرسلاً إلى بلاد اليمن ، وبخاصة إلى قبيلة حمير ، وهذا أمر لا يتعارض مع مهمة معاذ الرئيسة . حيث كان يحمل كتباً لملوك حمير من رسول الله ﷺ يدعوهم فيها للإسلام ، لكنه أيضاً كان يحمل كتباً ودعوة عامة إلى عموم الأقوام التي سوف يقابلها في الجبال من الطائف حتى صنعاء ، فكان يتوقف على طول محطات طريقه في أجزاء عديدة من بلاد السراة يدعوهم إلى الإسلام ويفقههم في دينهم ، بل كان يتنقل من مكان لآخر لإبلاغ رسالة الإسلام إلى كل الناس الذين يمر عليهم[٤٦] .

ونجد أن وضع الدعوة الإسلامية في بلاد السراة يوم ذهاب معاذ إلى اليمن أصبح أفضل حالاً مما كان عليه من قبل ، وذلك لأسباب عديدة نذكر منها :

أ - انهزام قبيلة قريش ، ودخول أهل مكة في الإسلام مما جعل السرويين والتهاميين يعزمون على المبادرة والدخول في الإسلام ، لأن قريشاً أصبحت لا تشكل عليهم خطراً لضعف شوكتها العسكرية والإدارية وبخاصة عندما كانوا كثيري التردد على مكة لممارسة التجارة فيها .

ب- أصبح أهل السراة مسلمين منذ مرحلة الدعوة المكية ، لأن بعض رجالهم ووفودهم دخلوا الإسلام قبل فتح مكة ، كما سيأتي معنا ، ولكن عموم سكان هذه البلاد جاءوا إلى المدينة زرافات ووحدانا بعد السنة الثامنة للهجرة ، ودون عناء يذكر مع سرايا وبعوث الرسول ﷺ التي أرسلها إليهم بعد عام الفتح[٤٧] .

وإذا كانت المصادر تشير إلى أن معاذاً كان مرسلاً إلى أهل الجبال الممتدة من الطائف حتى صنعاء ، فما هو حال أهل تهامة الممتدة من مكة المكرمة حتى زبيد وربما عدن ؟ سبق وأن أشرنا إلى أن الأشعريين كانوا يفدون على الرسول ﷺ في مرحلة الدعوة المكية ، وأن أبا موسى الأشعري من أوائل الداخلين في الإسلام ، ومن الوافدين على رسول الله ﷺ في المدينة في السنة السابعة للهجرة[٤٨] ، ولذلك فقد اختاره الرسول ﷺ رسولاً إلى الجزء التهامي ، وبخاصة بلاد حكم بن سعد العشيرة ، والأشعريين ، وعك وما حولها . وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى إلى اليمن ثم أتبعه معاذاً[٤٩] ، ويذكر أن الرسول ﷺ بعثهما وأوصاهما بقوله : ((أدعو الناس وبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا)) [٥٠] ويفهم من الحديث إنهما ذهبا معاً في وقت واحد وطريق واحد[٥١] ، وهذا غير صحيح ، كما ذكر أحد الباحثين المتأخرين[٥٢] ، وعلل أن أبا موسى أرسل ثم أرسل بعده معاذ (رضي الله عنهما) ، كما ورد في الحديث السابق ، ثم إن الرسول ﷺ ودع معاذاً عند خروجه إلى بلاد اليمن ومشى معه إلى خارج المدينة وهو يسدي له العديد من النصائح التي يجب عليه اتباعها في دعوته ، ولم يذكر أن أبا موسى كان معه أثناء المغادرة . ونستطيع القول أن كل من معاذ وأبي موسى (رضي الله عنهما) ذهبا إلى بلاد تهامة والسراة حتى وصلا أرض اليمن ، لكن معاذاً كانت مهمته دعوة أهل الجبال من الطائف حتى صنعاء وصعدة والجند ، أما أبو موسى فمهمته دعوة أهل تهامة من مكة حتى بلاد جازان وزبيد وعدن وما حولها ، ثم إن ذهابهما كان في السنة التاسعة للهجرة[٥٣]. إلاّ أن أبا موسى خرج قبل معاذ ابن جبل ، ومن حرص الرسول ﷺ أنه كان يوصي رسله وينصحهم بما يجب لهم وعليهم ، ثم إنه كان في معظم الأحيان يرسل بعض صحابته إلى بلادهم وأقوامهم ، فأبو موسى الأشعري أرسل إلى قومه الأشعريين وغيرهم[٥٤].

كما أرسل الرسول ﷺ كتاباً إلى نصارى نجران وبخاصة أساقفتهم ، فقال فيه : ((بسم الله من محمد رسول الله إلى أساقفة نجران : بسم الله فإني أحمد اليكم إله إبراهيم ، واسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، أما بعد ذلكم فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أنتم أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم آذنتكم بالحرب والسلام)) [٥٥].

وبعد وصول كتاب رسول ﷺ إلى نصارى نجران ، وعلموا جدية الرسول ﷺ في مطلبه ، اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم ، ووصلوا في نهاية الأمر إلى إرسال وفد من أعيانهم إلى الرسول ﷺ ليناقشوه ويعرفوا حقيقة دعوته[٥٦]. وقد اختلفت المصادر في ذكر عدد أفراد الوفد الذين مثلوهم ، فمنهم من قال إن عددهم أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم وأشرافهم[٥٧] ، ومنهم من قال بأن عددهم ستون [٥٨] ، وآخرون قالوا أربعون[٥٩] ، وابن خلدون يشير إلى أن عددهم ستون نصرانياً [٦٠] ، وكان من بين أفراد ذلك الوفد رؤساؤهم الرئيسيون ، وهم العاقب ، واسمه عبد المسيح ، والسيد ويدعى الأيهم أو شرحبيل ، والأسقف واسمه أبو الحارث بن علقمة[٦١]. ويبدو أن بعض أفراد هذا الوفد كان يدرك صدق وصحة نبوة الرسول ﷺ ، وبخاصة زعيمهم الروحي أبو الحارث بن علقمه[٦٢] ، لكنهم لا يستطيعون الدخول في دين الإسلام لخوفهم من إمبراطورية الروم التي كانت تغدق عليهم الأموال والهدايا ، وتعدهم ممثلين لها في حماية النصارى ودينهم في نجران وعموم اليمن[٦٣].

وصل وفد نجران المدينة والرسول ﷺ في المسجد ، وكان عليهم ثياب الحبرة ، وفي أيدهم وأعناقهم الصليب ، ثم أقاموا في المسجد يصلون إلى المشرق، فلم يكلمهم الرسول ﷺ ولم يلق لهم بالاً ، وعندما شعروا بذلك جاؤا من اليوم الثاني وعليهم زي الرهبان[٦٤] ، ثم قابلوا الرسول ﷺ ، وناقشوه في أمور

عديدة حول السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، ثم دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام ، فلم يقبلوا بذلك . ويورد القران الكريم مقابلتهم للرسول ﷺ وما دار بينهم من اختلاف ، يقول ابن كثير : ((فأنزل الله في قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها))[٦٥] ، ووصل بهم النقاش مع الرسول ﷺ إلى أن تقام بينهم (ملاعنة) أو (مباهلة)[٦٦] ، وبعد مشاورات فيما بينهم رأوا أن لا يباهلوا رسول الله ﷺ لعلمهم بصدق نبوته ، وعادوا إلى الرسول ﷺ وقالوا : ((لا نباهلك فأنت على دينك ونحن على ديننا ...))[٦٧] ، وصالحهم وكتب لهم كتاباً طويلاً بين فيه أنه حكم فيهم على أن يدفعوا للمسلمين ألفي حلة ، ألف في رجب وألف في صفر من كل عام ، واشترط لهم شروطاً كثيرة لهم وعليهم[٦٨] ، وقد دخل في هذا الصلح اليهود الذين كانوا بنجران فكانوا كالأتباع لهم[٦٩] .

وبعد كتابة الصلح مع الرسول ﷺ طلبوا منه أن يرسل معهم رجلاً من أصحابه يرضاه لهم ليحكم بينهم في أشياء اختلفوا فيها في أموالهم[٧٠] ، فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه) كي يحكم بينهم ، وكذلك ليجمع مال الجزية التي فرضت عليهم ، وبهذا كان نصارى نجران أول من أعطى الجزية في الإسلام[٧١] . ثم بقي رسول الله ﷺ يرسل من قبله بعض أصحابه لتسلم مال هذا الصلح ، أو الصدقة المفروضة على المسلمين هناك في كل موسم من مواسم العام . فقد أرسل المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) ، وكذلك أرسل كلاً من على بن أبي طالب ، وأبي سفيان (رضي الله عنهما) في عدد مرات مختلفة ، وأخيراً عين عمرو بن حزم الأنصاري (رضي الله عنه) والياً عاماً على نجران وما حولها ،وكتب ﷺ كتاباً جامعاً بين له فيه ما يجب عليه وعلى أهل نجران من حقوق وواجبات[٧٢] .

٢- إرسال البعوث والسرايا لنشر الإسلام بين التهاميين والسرويين :

إن التركيبة الاجتماعية في بلاد تهامة والسراة لم تتغير ، وإن كان بعض دعاة الإسلام قد وصلوا إلى بلادهم ، وبذلوا جهوداً كبيرة في دعوة الناس إلى الإسلام ، إلاّ أن الوضع القبلي لا زال هو النظام السائد في أرجاء البلاد ، بل إن بعض القبائل بقيت قبل وبعد فتح مكة تعلن تحديها لهذا الدين الجديد ، وتمارس طقوسها الوثنية التي ألفتها وتدافع عنها . وكان الرسول ﷺ يعرف ذلك من خلال رسله الذين كان يرسلهم لتبليغ الإسلام في أصقاع جنوب الجزيرة العربية ، ولهذا بدأ يتخذ أسلوب إرسال السرايا والبعوث إلى بعض النواحي المجاهرة بعصيانها وعنادها . فيذكر الواقدي والمسعودي أن الرسول ﷺ أرسل سرية إلى تربة جنوب الطائف ، بقيادة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شهر شعبان في السنة السابعة للهجرة ، وكان معه من صحابة الرسول ثلاثون رجلاً ، فذهبوا إلى بلاد تربة فوجدوا العشائر قد تفرقت من مواطنها فعادوا إلى المدينة[٧٣]. وإرسال هذه السرية إلى جنوب الطائف قبل فتح مكة مما يعد نصراً أولياً للرسول ﷺ على المشركين وبخاصة قريش التي لم تعد قادرة على مهاجمة الرسول ﷺ في المدينة ، ولا حتى التصدي لأي قوة إسلامية تأتي إليها في عقر دارها. كما أن إرسال قوة صغيرة بهذا الحجم إلى بلاد السراة تعكس قوة الدولة الإسلامية التي أصبحت قادرة على مهاجمة أي قوة مشركة تسول لها نفسها محاربة المسلمين ، أو مناصرة قريش المشركين في حروبها القادمة مع الرسول ﷺ .

كما أرسل الرسول ﷺ السرايا جنوب مكة ، وكان ممن بعث خالد ابن الوليد وأمره أن يسير في بعض نواحي تهامة داعياً وليس مقاتلاً ، وقد نفذ أوامر الرسول ﷺ لكن الظروف اضطرته لمواجهة بني جذيمة ودارت الحرب بينهم فقتل بعض رجالهم[٧٤] .

ثم تتالت السرايا والبعوث التي أرسلها الرسول ﷺ إلى بعض قبائل بلاد السراة مثل : دوس ، وصداء ، وخثعم ، وبجيلة ، والأزد ، وبني الحارث بن كعب الوثنيون ، وكانوا على النحو التالي :

أ- دوس : تذكر بعض المصادر أن الرسول ﷺ أعاد الطفيل بن عمرو الدوسي (رضي الله عنه) إلى قومه كي يدعوهم إلى الإسلام وبقي بينهم داعياً حتى السنة السابعة للهجرة ثم خرج ومعه ثمانون رجلاً بما فيهم أبو هريرة الدوسي رضي الله عنه ، فقدموا على الرسول ﷺ في المدينة وأعلنوا إسلامهم(٧٥). والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هل جميع قبيلة دوس دخلوا الإسلام قبل فتح مكة ؟ والجواب لا ، لأننا نجد بعض الروايات تذكر أن الرسول ﷺ أرسل الطفيل بن عمرو الدوسي مع بعض قومه المسلمين بعد معركة حنين في السنة الثامنة للهجرة لمحاربة من بقي على الوثنية في بلاد غامد وزهران ودوس(٧٦)، وأوصاهم بهدم صنم عمر بن حممة الدوسي ، الذي يعرف بذي الكفين ، فلم يكن على الطفيل إلاّ أن يطيع أمر الرسول ﷺ ويطلب النصيحة ، فقال ﷺ للطفيل : ((افش السلام ، وابذل الطعام ، واستحي من الله كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله(٧٧)، إذا أسأت فأحسن إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)) (٧٨)، ثم خرج الطفيل بمن معه فحارب بعض المشركين في بلاد دوس وما حولها ، ثم هدم صنم ((ذا الكفين)) ، وجعل يحشو النار في جوفه ويقول :

يإذا الكفين لست من عُبَّادك ميلادنا أقدم من ميلادك
أنا حشوت النار في فؤادك

وبعد ذلك رجع الطفيل وبعض قومه وعددهم أربعمائة فقابلوا الرسول ﷺ في الطائف بعد مقدمه إليها بأربعة أيام وكان معهم ((دبابة ومنجنيق)) [٧٩] .

ويتضح من هذه السرية التي أرسلها الرسول ﷺ مع الطفيل وكذلك السرايا التي سبقتها مع عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد (رضي الله عنهما) ليست إلاّ نذيراً لأهل تهامة والسراة وعموم بلاد اليمن التي يجب عليها الوعي بالمستوى الذي وصلت إليه الدعوة الإسلامية في الحجاز ، ولسان الحال يكاد يقول : عليكم بدخول الإسلام ، وإلاّ فالحرب والقتل هو مصيركم .

ب- صداء : وهو بطن من قبيلة مذحج نسبة إلى صداء بن يزيد بن حرب بن عله ، وكانوا متحالفين مع بني الحارث بن كعب المذحجية ، بل كانوا يسكنون في الناحية الشمالية من بلاد نجران ، وقد يختلطون في مساكنهم مع بعض فروع خثعم ، والأزد ، وبجيلة[٨٠]. وتذكر بعض المصادر أن رسول الله ﷺ عند عودته من الطائف في السنة الثامنة للهجرة جهز جيش مكوناً من أربعمائة من المسلمين وعليهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) وأمره ان يتوجه إلى بلاد صداء المذحجية في بلاد السراة من ناحية نجران[٨١]، وفيما يبدوا أن هذه السرية كان لها أهداف عديدة عند رسول الله ﷺ .

١- إشعار جميع القبائل التي لازالت على الوثنية في الحجاز وتهامة والسراة واليمن بأن قوة المسلمين أصبحت قادرة على مواجهة أي عدو يتصدى لنشر دعوة الإسلام وبالتالي فإرسال قوة عسكرية بهذا الحجم الصغير إلى أطراف بلاد اليمن الشمالية يعد انتصاراً للإسلام والمسلمين .

٢- معظم الأقوام في جنوب شبه الجزيرة العربية أصبحت في خوف شديد من ظهور الإسلام ، ووصول جيوشه وسراياه إلى بلادهم ، وبالتالي أصبح كثير منهم تراودهم أنفسهم بالدخول في الإسلام ، إما حباً فيه أو خوفاً من قوة المسلمين ، ويظهر الأمر واضحاً في قول ربيعة بن رواء العنسي الذي سئل عن سبب دخوله الإسلام فقال: خُوِّفت فخفت وقيل لي آمن فآمنت)) [٨٢].

ومن الثابت أن هذا الجيش الذي أمر الرسول ﷺ بإرساله إلى بلاد صداء لم يخرج ، ولكن إشاعة خبره في البلاد كان له تأثير ايجابي عند عموم المشركين ، حتى إن أحد أعيان قبيلة صداء ، ويدعى زياد بن الحارث الصدائي قد سمع بأمر الرسول ﷺ وإرسال هذا الجيش إلى بلاده ، فجاء إليه ، وقال يا رسول الله إنني ((جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي)) فردهم رسول الله ﷺ وكتب كتاباً إلى صداء يدعوهم إلى الإسلام وبعثه مع زياد ابن الحارث (رضي الله عنه) ، وبعد مرور بضعة أسابيع عاد زياد إلى المدينة ومعه وفد من بلاد صداء عددهم خمسة عشر رجلاً ، فاستقبلهم الرسول ﷺ أحسن استقبال وفقههم في دينهم ، ثم أمَّر عليهم أحدهم وأعادهم إلى بلادهم كي ينشروا الإسلام بين أقوامهم ، فلم تأت حجة الوداع إلاّ ويقدم على الرسول ﷺ منهم مائة رجل معلنين إسلامهم[٨٣].

جـ- خثعم : إحدى قبائل السراة الكبرى التي تدين بالوثنية وتقوم على رعاية صنم ذي الخلصة في بلادها[٨٤] ، وكان الرسول ﷺ يعرف مدى تأثيرهم وقوتهم في بلادهم وعلى من حولهم ، فجهز سرية في شهر صفر من السنة التاسعة للهجرة ، ووضع على رأسها الصحابي قطبة بن عامر الأنصاري[٨٥] (رضي الله عنه) ، وكان عددهم عشرين رجلاً فذهبوا إلى بلاد بيشة

وتربة ورنية وأجزاء من بلاد السراة لمحاربة وتمزيق قبيلة خثعم . وقد أمرهم الرسول ﷺ أن يشنوا الغارة عليهم فيفرقوهم ويمزقوهم في كل ناحية . فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها حتى وصلوا بلادهم ثم اشتبكوا معهم في قتال شديد حتى كثر الجرحى بين الفريقين ، وقتل من قتل وساقوا النعم والشاء والنساء إلى المدينة[٨٦]. ويظهر لنا من إرسال هذه السرية عدة أمور هي :

١- قلة عدد السرية المرسلة مع قطبة إلى بلاد السراة وبخاصة إلى قبيلة خثعم ، ثم إحرازهم النصر عليهم ، وهذا لا يمكن حصوله إلاّ بوجود دعم محلي من القبائل المسلمة المحيطة ببلاد خثعم ، ولا يستبعد أن تكون قبائل دوس وصداء على رأس القوى المساندة لسرية قطبة خصوصاً أنهم قد أعلنوا إسلامهم في وقت سابق .

٢- أن هزيمة قبيلة خثعم لا يعني دخولهم الإسلام ، وإنما بقوا على وثنيتهم لفترة من الزمن ، وبعد اشتباكات عسكرية وسرايا عديدة كما سوف نلاحظ في صفحات تالية .

٣- أن الرسول ﷺ أدرك أن قبائل بلاد تهامة والسراة مستقلة بعضها عن بعض ، لهذا كان يرسل قوى عسكرية محددة وإلى مواطن وقبائل معينة كي يخضعهم فيدينوا بالإسلام ، وأحياناً قد يستعين ﷺ ببعض القبائل أو العشائر المسلمة على قبائل وعشائر مجاورة لهم فيحاربونهم حتى يعلنوا إسلامهم ، وهذا ما حدث في بلاد تهامة والسراة ، بل في جميع نواحي الجزيرة العربية .

د - قبائل بجيلة وبقية خثعم :

تذكر بعض المصادر أن جرير بن عبد الله البجلي(٨٧) (رضي الله عنه) قدم على الرسول ﷺ ببعض قومه بعد فتح مكة المكرمة ، فأسلموا وحسن إسلامهم ، ثم رأس الرسول ﷺ جريراً على صحبه وطلب منهم محاربة مشركي خثعم وهدم صنمهم ذو الخلصة ، فلبى ما أمر به الرسول ﷺ (٨٨). وفي رواية أخرى أنه وفد على الرسول ﷺ من بجيلة وفدان أحدهما بقيادة جرير بن عبد الله البجلي ومعه مائة وخمسون رجلاً من قومه ، والآخر بزعامة قيس بن عزرة الأحمسي ومعه من أحمس(٨٩) مئتان وخمسون رجلاً فدخلوا الإسلام جميعاً(٩٠) . ويشير ابن سعد في رواية أخرى عن جرير بن عبد الله بأنه قدم على الرسول ﷺ في السنة العاشرة ومعه بعض قومه من بجيلة فرحب به الرسول ﷺ ومن معه ، ثم قال له بايعني : ((على أن تشهد أن لا اله إلاّ الله وأني رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتنصح المسلمين ، وتطيع الوالي وإن كان عبداً حبشياً)) فقال جرير ، نعم ، فبايعه الرسول ﷺ ، ثم سأله الرسول ﷺ عن أحوال ما وراءه في بلاد السراة ، فقال : ((يا رسول الله قد أظهر الله الإسلام، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد)) قال : ((فما فعل ذو الخلصة ؟)) قال هو على حاله ، قد بقي والله مريح منه إن شاء الله)) (٩١) ويتضح من لقاء جرير البجلي مع الرسول ﷺ بعض الأمور منها :

١- أن معظم أهل السراة وربما أهل تهامة أيضاً أصبحوا يدينوا بالإسلام ، وبخاصة في السنة التاسعة ومطلع السنة العاشرة للهجرة ، وهذا الأمر يظهر واضحاً في قول جرير للرسول ﷺ : ((قد أظهر الله الإسلام ، وأظهر الأذان في مساجدهم وساحاتهم ، وهدمت القبائل أصنامها التي كانت تعبد))

٢- يبدوا أن صنم ذو الخلصة وقبيلة خثعم السادنة له لا زالت مصرة على الدفاع عن هذا الصنم ، والتشبث بعقيدة الشرك ، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يحدد سؤاله لجرير عن وضع صنم ذي الخلصة ، وهل لازال على وضعه ترتاده القبائل والعشائر ، فكان جواب جرير البجلي بـ (نعم)، وهذا مما يوحي أن جميع العشائر والقبائل السروية لم تعتنق الإسلام ، وإنما لا زال منهم من يلفظ أنفاسه الأخيرة أمام انتشار الدعوة الإسلامية في بلادهم .

ونجد الرسول ﷺ بعد حجة الوداع يقول لجرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) : ((إلاّ تريحني من ذي الخلصة)) ، وكذلك من القبائل المدافعة عنه كخثعم وغيرها ، فاستجاب جرير لأمر الرسول ﷺ وعقد له لواءاً ومعه مائتان من قومه ، وأوصاه أن يسير إلى خثعم فيدعوهم ثلاثة أيام ، فإن أجابوا إلى الإسلام قبل منهم ، وهدم صنمهم (ذا الخلصة) وإلاّ وضع فيهم السيف(٩٢) . وذهب جرير إلى بلاد خثعم فاشتبك مع الخثعميين ومن انضم معهم من القبائل والعشائر المجاورة المشركة فهزمهم ، وأخضعهم للإسلام ، ثم هدم صنمهم (ذا الخلصة)، ورجع إلى الرسول ﷺ ، فقال : ((يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد هدمته ، وأخذت ما عليه ، وأحرقته بالنار، وتركته كما يسوء من يهوى هواه ...)) فسر الرسول ﷺ وبرّك على جرير وقومه(٩٣) . ويذكر أن الحارث بن عبد شمس الخثعمي خرج إلى المدينة بعد هدم جرير لصنم ذي الخلصة فأسلم وأخذ الأمان لأصحابه من الرسول ﷺ(٩٤) . وكتب رسول الله ﷺ كتاباً لخثعم ، لسكان الحضر والبادية وضح لهم ترك دماء الجاهلية ، وما يجب عليهم من الزكاة ، وأشهد على هذا الكتاب ، جرير بن عبد الله البجلي (رضي الله عنه) ، ومما ذكر ﷺ في ذلك الكتاب ، قوله : ((هذا كتاب من محمد رسول الله لخثعم من حاضرة بيشة وباديتها ، أن كل دم أصبتموا في الجاهلية فهو موضوع ، ومن أسلم

منكم طوعاً أو كرهاً في يده حرث من خيار أو عزاز تسقيه السماء ... فله نشره وأكله ، وعليهم في كل سيح العشر ، وكل غرب نصف العشر)) [٩٥] .

هـ- قبائل الأزد في بلاد جُرش (عسير حالياً) :

قدم على رسول الله ﷺ في السنة العاشرة للهجرة من بلاد جرش [٩٦] ، صرد بن عبد الله الأزدي فأسلم وحسن إسلامه ، وكان معه وفد من قومه ، وقد مكثوا في المدينة عشرة أيام ، وكانوا في ضيافة فروة بن عمرو البياضي ، ويحضرون مجلس الرسول ﷺ باستمرار ، ثم أمَّر الرسول ﷺ صرد على قومه وأعادهم إلى بلادهم ينشرون الإسلام بين أهلهم في بلاد جرش (عسير حالياً) ، ويجاهدون من لا زال منهم على الشرك[٩٧] .

وعند عودة صرد إلى أرض جرش اجتمع حوله بعض من دخل الإسلام سابقاً ، وجاءوا إلى مدينة جرش فإذا بها مغلقة ، وقد تحصنت بها بعض القبائل المشركة من الأزد وخثعم ومذحج فدعاهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لدعوته ، وأعلنوا عنادهم وتصديهم له ولدعوته ، فأحكم الحصار عليهم قرابة الشهر ، إلاّ أنهم لم يستسلموا ، فتراجع عنهم وفك الحصار ، وأوهمهم أنه سوف يتركهم ، فنزلوا من حصونهم وفتحوا أبواب المدينة فعاد إليهم وقاتلهم قتالاً شديداً وهزمهم وغنم الشيء الكثير من أموالهم وخيولهم[٩٨] .

وقد أخبر الرسول ﷺ أصحابه بهذه الحادثة في وقت وقوعها ، وكان في المدينة رجلان من أهل جرش ، أرسلهما قومهما ليستطلعا الخبر ويتجسسا لهم ، وقد سمعا ما قال الرسول ﷺ عن الواقعة التي حدثت بين أهل جرش وصرد بن عبد الله الأزدي[٩٩] ، وعند عودتهما إلى أرضهما أخبرا قومهما بما سمع في المدينة من رسول الله ﷺ ، فاتضح أنه وقع لهم ما حدث مع صرد في نفس الزمان

والمكان ، وعندئذ علموا بصدق هذه الرسالة ، وخرج وفد آخر حتى قدموا على الرسول ﷺ ، فقال لهم الرسول ﷺ : ((مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً ، وأصدقه لقاء ، وأطيبه كلاماً ، وأعظمه أمانة ، أنتم مني وأنا منكم)) [١٠٠] وجعل شعارهم مبروراً ، وحمى لهم حمى حول مدينتهم كي ترعى فيه مواشيهم وأنعامهم ، ولا يحق لغيرهم الرعي فيما حمى لهم)) [١٠١] .

وفي اعتقادنا أن أهل جرش (عسير حاليا) لم يسلموا جميعهم بمقاتلة صرد بن عبد الله الأزدي لهم ، بل لم يتم إسلامهم إلاّ بعد عودة ذينك الرجلين اللذين سمعا ما قال الرسول ﷺ عن قومهما لأن بعض المصادر تذكر أن أهل تبالة[١٠٢] ، وجرش اسلموا من غير قتال ، فتركهم الرسول ﷺ على ما أسلموا عليه ، وجعل على كل حالم ممن بهما من أهل الكتاب ديناراً واشترط عليهم ضيافة المسلمين[١٠٣] .

و- بنو الحارث بن كعب الوثنيون بنجران :

يعد بنو الحارث بن كعب معظم سكان بلاد نجران ، وكانوا على دين الوثنية بخلاف نصارى نجران الذين سبق ذكرهم ، والذين كانوا أقلية بالنسبة لعموم المنطقة النجرانية ، وكان الرسول ﷺ يعلم ببقائهم على وثنيتهم حتى السنة العاشرة للهجرة ، ثم جهز لهم سرية قوامها أربعمائة رجل وأرسلها إليهم تحت قيادة خالد بن الوليد (رضي الله عنه) ، وأوصاه أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثة أيام ، فإن استجابوا له فليقم بينهم يعلمهم ويفقههم أساسيات ما جاء به الإسلام من تعاليم ، كالتوحيد ، والصلاة ، والصيام وغير ذلك من أركان وقواعد الإسلام ، وإن لم يستجيبوا فليحاربهم[١٠٤] .

وعندما وصلت سرية خالد إلى نجران ، بعث الركبان يضربون في كل وجه ، يدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : ((يأيها الناس اسلموا تسلموا))، فأسلموا ، لاسيما بعض بني الحارث بن كعب ، ولحقت بهم القبائل والعشائر النجرانية الأخرى ، ثم قام خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين بينهم يعلمونهم شرائع الإسلام ، بل أخذوا الصدقات من أغنيائهم وردوها على فقرائهم(١٠٥) .

وبنو الحارث بن كعب قد دخلوا في الإسلام ، وكانوا قبل ذلك عازمين على القتال ، وأعدوا لذلك العدة والعتاد ، لكن ما لذي جعلهم يُغَيّرون موقفهم ويقبلون على اعتناق الإسلام في فترة وجيزة جداً ، وبدون قتال ، وربما يرجع ذلك لعدة أسباب منها :

١- عدم قدرتهم على مواجهة جيوش المسلمين التي استطاعت القضاء على قبيلة قريش ، المرهوبة الجانب ، ونجاحهم في مكة المكرمة التي كانت بمثابة المرحلة الأولى في رحلة الجيش الإسلامي المتجه إلى بلاد تهامة والسراة ، وعموم أرض اليمن ، لنشر العقيدة الإسلامية . وبالتالي نظروا للأمور بنظرة حكمة وتعقل فدخلوا الإسلام بدون حرب إدراكاً منهم أنه الدين الذي ستؤول له السيادة على جزيرة العرب .

٢- أن الصراعات والحروب القبلية ربما تكون قد أنهكت قبيلة مذحج ، التي ينتسب إليها بنو الحارث بن كعب ، ومعظم سكان نجران ، وبالتالي رأوا أن دخولهم في الإسلام قد ينقذهم من عناء الحروب وشظف العيش ، وبخاصَّة أن خالد بن الوليد عندما جاء إليهم وضح ما يجب لهم وما عليهم فوجدوا في الإسلام ضالتهم المنشودة .

٣- أن غالبية الذين استجابوا لخالد بن الوليد واعتنقوا الإسلام كانوا من الوثنيين ، وبالتالي فالعامل الديني لعب دوره في سرعة دخولهم للديانة السماوية الجديدة ، بخاصة وأن الديانتين اليهودية والنصرانية ، كان لا يزال هناك من يدين بهما في نجران . أما الوثنيون فربما لاحظوا مدى تخلفهم العقدي مقارنة بأصحاب الديانات السماوية السابقة ، وبالتالي رأوا في الإسلام فرصة ثمينة عند ما جاءتهم الدعوة الإسلامية الداعية إلى وحدانية الله ، فاستجابوا لها ودخلوا الإسلام في أيام معدودة ليكونوا بدورهم أصحاب رسالة سماوية فيتماثلون هم ويهود ومسيحو نجران .

وبعد نجاح خالد بن الوليد في مهمته سلماً وإقناعاً لأهل نجران بالدخول في الإسلام بعث بكتاب إلى رسول الله ﷺ يخبره بذلك ، وأنه مقيم بينهم تلبية لأوامره يعلمهم شرائع الإسلام ، وهو في انتظار الجديد من تعليماته ﷺ[١٠٦] ، فأجابه الرسول ﷺ برسالة يعلمه من خلالها بوصول كتابه الحاوي لنبأ إسلام أهل نجران ويأمره بالعودة إلى المدينة ، وبصحبته وفد من مسلمي نجران[١٠٧] . فلما وصل كتاب رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد ، أخبر بني الحارث بن كعب برغبة رسول الله ﷺ بمقابلة وفدهم فشكلوا الوفد من أشرافهم ، ثم جاء خالد إلى المدينة وبرفقته وفد نجران[١٠٨] ، ويمدنا الطبري بأسماء أعضاء الوفد النجراني وكان عددهم ستة أشخاص هم : قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة [١٠٩] ، ويزيد بن عبد المدان الحارثي ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قريظ الزيادي ، وشداد بن عبد الله القناني ، وعمرو بن عبد الله الضبابي[١١٠] ، فلما رآهم الرسول ﷺ قال : ((من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث بن كعب)) [١١١] ، وربما شبههم الرسول ﷺ برجال الهند بسبب سمرة بشرتهم أو بسبب ملابسهم وأزيائهم التي

يرتدونها ، أو بهما معاً . وعندما وقفوا أمام الرسول ﷺ سلموا عليه ، ثم قالوا : ((نشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ثم قال رسول الله ﷺ أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد)) (١١٢) ثم أعاد الرسول ﷺ عليهم هذه العبارة أربع مرات ، وهم لا يردون عليه ، وفي الرابعة قال يزيد بن عبد المدان : ((نعم يارسول الله ، نحن الذين إذا زجروا استقدموا)) (١١٣) . قالها أربع مرات فقال رسول الله ﷺ : ((لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلى فيكم أنكم أسلمتم ، ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم)) (١١٤) .

ويتضح من هذا اللقاء الذي حدث بين الرسول ﷺ ووفد نجران ، ومن العبارات التي دارت بينهما بأن الرسول ﷺ كان غاضباً عليهم وبخاصة ما ورد في العبارة الأخيرة . ولا ندري ما هو السبب ، فان كان غضب الرسول ﷺ بأنهم كانوا يعملون بالزجر والكهانة ، فهذا لم يكن غريباً على الرسول ﷺ وإنما كان يعرف أن هذه العادات كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام ، وإن كان غضبه بأن الوفد لم يتجاوب معه عندما سألهم لأول مرة ، ولم يردوا عليه إلا بعد أن سألهم أربع مرات ، ثم ردوا عليه إجابتهم أربع مرات أيضاً ، فهذا الأمر حدث مرات عديدة مع الرسول ﷺ ، بل كان هناك من عرب الجزيرة من يأتي إلى النبي الكريم ويهاجمه بالكلام ويشتد عليه في القول ، والرسول ﷺ كان ليناً رفيقاً في معاملته وتجاوبه مع مثل أولئك(١١٥) . ونجد ابن هشام ، والطبري ، وابن كثير يوردون هذا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين وفد نجران ، دون أن يذكروا سبب غضب النبي ﷺ (١١٦) ، في حين أن بعض المصادر التاريخية الأخرى قد أشارت إلى سرية خالد بن الوليد إلى اليمن ، وإلى هذه المقابلة مع الرسول ﷺ مع تجنب ذكر هذا الحوار الذي يتصف بشدة اللهجة في كلام الرسول ﷺ ، وربما أن هذه المصادر شكت في صحة إسناد هذا الحوار إلى رسول الله ﷺ أو إنها

تحاشت ذكره ، فاليعقوبي وابن خلدون ذكرا بعض تفاصيل تلك السرية ، وذلك اللقاء ، لكنهما لم يوردا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ ووفد نجران (١١٧) . كذلك ابن سعد في الطبقات لم يشر إلى هذا الحوار ، مع أنه ذكر أن رسول الله ﷺ أكرم وفد نجران ووزع عليهم الجوائز ، فأعطى كل واحد منهم عشر أواقٍ ، ما عدا قيس بن الحصين فأعطاه اثني عشر أوقية ، وجعله أميراً عليهم . وابن الأثير ، الذي يعتمد في نقله على الطبري ، تجنب أيضاً ذكر هذا الحوار مع أنه أشار إلى حديث الرسول ﷺ مع هذا الوفد(١١٨) .

وإذا كان الطبري ، وابن هشام ، وابن كثير هم الذين تحدثوا عن هذا اللقاء والحوار بين الرسول ﷺ ووفد نجران (١١٩) ، فنجد أنهم يواصلون بقية الحوار ، بعد أن رد عليهم الرسول ﷺ رداً فيه عنف وحدة ، فقال يزيد بن عبد المدان : ((أما والله يا رسول الله ، ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، فقال رسول الله ﷺ فمن حمدتم ؟ فقالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم)) (١٢٠). وقد عرف بنو الحارث في الجاهلية بالشجاعة والإقدام ، وشدة البأس ، والصبر في الحروب ، فما حاربهم أحد إلا انتصروا عليه ، كذلك اشتهروا بالكرم ، والعدالة ، وطيب الأخلاق والتعاون فيما بينهم ، والرسول ﷺ يعرف ما تواتر عنهم من تلك الصفات فأراد أن يقف على ذلك بنفسه ويعرف سر انتصاراتهم في الحروب ، فواصل الحديث معهم بقوله ((بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً فقال رسول الله ﷺ بل قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله، كنا نغلب من قاتلنا ، أنا كنا بني عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبدأ أحد بظلم ، قال : صدقتم)) (١٢١) .

ومن هذه العبارات التي قالها وفد نجران للرسول ﷺ تتضح لنا عدة دروس منها :

أ- علم الرسول ﷺ بما كان يتصف به أهل نجران من صفات حميدة حث عليها الإسلام ، لهذا أصر على سؤالهم واشتد معهم في القول حتى يتأكد من تواتر هذه الصفات فيهم ، وبخاصة في انتصاراتهم ضد أعدائهم .

ب- أراد الرسول ﷺ أن يسمع المسلمون إجابة هؤلاء القوم ، الذين كانوا عصبة واحدة فلا يتفرقون ، بل يتغلبون على مشاكلهم الداخلية من أجل الوحدة والتكاتف فيما بينهم حتى يتصدوا لأعدائهم ، ومن يتربص بهم الدوائر ، ثم إنهم كانوا أصحاب عدل واستقامة ، فلا يسعون إلى ظلم أحد ، وهذه قيم رفيعة اتصفوا بها في الجاهلية فسادوا ، وعندما جاء الإسلام نادى بها وحث جميع المسلمين على الاتحاد والتكاتف فيما بينهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كما حذر الإسلام من الظلم ، وأخذ حقوق الناس بالباطل وحث المسلم على العدل والاستقامة في أموره كلها .

٣- دخول وفود أهل تهامة والسراة في الإسلام :

منذ فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة ، وعموم قبائل الجزيرة العربية أصبحت ترى أنه لا محيص من دخول الإسلام ، وبخاصة بعد سقوط قريش التي كانت تمثل رأس حربة الشرك للإسلام والمسلمين ، وكي نطلع القارئ الكريم على وضع سكان تهامة والسراة ، فإننا سوف نذكر في الصفحات التالية الوفود التي قدمت من هذه البلاد على الرسول ﷺ معلنة إسلامها بين يديه طواعيتاً ، وتأخذ الأمان من رسول الله ﷺ لأقوامها من بعدها ، وهم على النحو التالي :

أ- قدم من بلاد بيشة إلى رسول الله ﷺ ، بعد فتح مكة المكرمة ، مطرف بن الكاهن الباهلي ، فأعلن إسلامه وطلب الأمان لقومه ، فأمنه الرسول ﷺ وأعطاه كتاباً له ولمن بعده فيه فرائض الصدقات قال فيه : ((هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ، ولمن سكن بيشة من باهلة ، أن من أحيا أرضاً مواتاً بيضاء فيها منافع الأنعام ومراح فهي له وعليهم في كل ثلاثين من البقر فارض ، وفي كل أربعين من الغنم شاة ، وفي كل خمسين من الإبل ثاغية مسنة ، وليس للمصدق أن يصدقها إلاّ في مراعيها ، وهم آمنون بأمان الله)) (١٢٢) .

كما قدم على الرسول ﷺ نهشل بن مالك الوائلي من باهلة في بيشة ، فكتب له الرسول ﷺ كتاباً له ولقومه من بعده قال فيه : باسمك اللهم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لنهشل بن مالك ومن معه من بني وائل ، لمن أسلم وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من المغنم خمس الله وسهم النبي ، وأشهد على إسلامه وفارق المشركين ، فإنه آمن بأمان الله ، وبرئ إليه محمد من الظلم كله ، وأن لهم لا يحشروا ولا يعشروا ، وعاملهم من أنفسهم)) (١٢٣).

ب- وفود غامد ودوس :

يذكر ابن سعد أنه قدم وفد غامد على رسول الله ﷺ في شهر رمضان من السنة العاشرة ، وهم عشرة ، فنزلوا ببقيع الغرقد ، ثم لبسوا من صالح ثيابهم ، وانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وأقروا بالإسلام ، وكتب لهم الرسول ﷺ كتاباً فيه شرائع الإسلام ، وأتوا أبي بن كعب فعلمهم قرآناً ، وأجازهم رسول الله ﷺ كما يجيز الوفد وانصرفوا(١٢٤).

وتشير بعض المصادر إلى أن الرسول ﷺ كان قد كتب إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي يدعوه ويدعو قومه إلى الإسلام، لكننا لم نعثر على نص هذا المكتوب[١٢٥]. وفي كتاب آخر أرسله الرسول ﷺ أيضاً إلى أبي ظبيان عمير بن الحارث الأزدي الغامدي[١٢٦] قال فيه ((أما بعد : فمن أسلم من غامد فله ما للمسلم، حرم ماله ودمه، ولا يعشر ولا يحشر ، وله ما أسلم عليه من أرضه ...)) [١٢٧].

وكما أشرنا سابقاً أن بعض الدوسيين المجاورين للغامديين في مواطنهم ببلاد السراة قد أسلموا مع زعيمهم الطفيل بن عمرو الدوسي منذ السنة السابعة للهجرة ، وكان أبو هريرة وعبد الله بن أزيهر الدوسي من ضمن الذين وفدوا على الرسول ﷺ في المدينة ، لكنهم وجدوه خرج إلى بلاد خيبر لمحاربة اليهود هناك فلحقوا به ، وأعلنوا إسلامهم بين يديه فقسم لهم الرسول ﷺ من غنيمة خيبر ، ثم عادوا معه المدينة فقال الطفيل : يا رسول الله لا تفرق بيني وبين قومي فأنزلهم حرة الدجاج[١٢٨] . وقال أبو هريرة في هجرته حين خرج من دار قومه في بلاد دوس بالسراة :

يا طولها من ليلة وعناءها   على أنها من بلدة الكفر نجت [١٢٩]

وقال عبد الله بن أزيهر : ((يارسول الله إن لي في قومي سطة ومكاناً فاجعلني عليهم ، فقال رسول الله ﷺ يا أخا دوس إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، فمن صدق الله نجا ومن آل إلى غير ذلك هلك ، إن أعظم قومك ثواباً أعظمهم صدقاً ، ويوشك الحق أن يغلب الباطل)) [١٣٠] .

ج - وفود بعض العشائر المذحجية والأزدية من الأجزاء التهامية والسروية :

هناك بعض الوفود المذحجية والأزدية القاطنة بين نجران والطائف وزبيد ومكة ، كانت قد جاءت لإعلان إسلامها أمام رسول الله ﷺ في العامين التاسع

والعاشر الهجريين ، ثم عادت إلى أقوامها كي تنشر الإسلام بينهم ، ومن أشهرهم ، كما ذكرنا سابقاً ، بنو الحارث بن كعب في نجران ، والأزديون الجرشيون في بلاد عسير [١٣١] ، إلاّ أن هناك وفود وكتب أخرى بين رسول الله ﷺ وبين فروع مذحجية وأزدية خلاف أهل نجران وجرش نذكرهم على النحو التالي :

(١) ومن وفود بعض البطون المذحجية التهامية والسروية :

أ - وفد زُبيد :

قدم عمرو بن معد يكرب الزُبيدي ، من نواحي تثليث ، ومعه عشرة نفر من عشيرته زُبيد المذحجية إلى المدينة ، فنزلوا على سعد بن عبادة الأنصاري (رضي الله عنه) فاستقبلهم وأحسن استقبالهم ، ثم ذهب به مع قومه إلى الرسول ﷺ ، فأسلم هو ومن معه وأقام أياماً في المدينة ، ثم أجازه الرسول ﷺ بجائزة وانصرف إلى بلاده وأقام مع قومه على الإسلام ، حتى توفي رسول الله ﷺ [١٣٢].

ب- وفد مراد :

مراد أحد بطون مذحج ، وكانت تجاور قبيلة همدان وبينهم حروب وثارات من أيام الجاهلية[١٣٣]، وكان زعيم مراد فروة بن مسيك المرادي وعندما ظهر الإسلام ، وأصبح فروة لا يجد من يناصره على قبيلة همدان ترك الشرك وأهله ، وذهب إلى المدينة لإعلان إسلامه أمام رسول الله ﷺ وذكر ذلك شعراً فقال :

يممت راحلتي أؤم محمداً   أرجوا فواضلها وحسن ثرائها [١٣٤]

وقد خرج معه في هجرته إلى المدينة بعض قومه ، فوصلها في السنة التاسعة ، فاستقبله سعد بن عبادة (رضي الله عنه) حيث أنزله عنده ، وبقي يتردد على مجلس الرسول ﷺ يتعلم فرائض الإسلام ، ثم أجازه الرسول ﷺ باثني عشر أوقية ، واستعمله على مراد وعنس وزُبيد [١٣٥]، وفي رواية تشير إلى أن ولايته

كانت على عموم بلاد مذحج [١٣٦]، وأرسل معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقات ، وكتب له كتاباً فيه فرائض الصدقة ، ولم يزل بتلك البلاد حتى وفاة الرسول ﷺ [١٣٧].

جـ - وفد الرهاويين :

قدم على رسول الله ﷺ، في السنة العاشرة، خمسة عشر رجلاً من الرهاويين، وهم من مذحج ، فنزلوا دار رملة بنت الحارث ، فأتاهم رسول الله ﷺ فتحدث معهم طويلاً ، وأهدوا الرسول ﷺ هدايا ، منها فرس يقال له المرواح ، ثم أسلموا وتعلموا القرآن والفرائض ، وأجازهم كما يجيز الوفد ، أكثرهم أثني عشر أوقية ، وأقلهم خمس أواق ، ثم عادوا إلى بلادهم . وفي حجة الوداع قدمت منهم طائفة اشتركوا مع الرسول ﷺ في الحج ، ثم ذهبوا معه إلى المدينة للإقامة معه ، وقد أوصى لهم الرسول ﷺ بحمل بعير من مزروعات خيبر ، وكتب لهم كتاباً بذلك [١٣٨].

د - وفد سعد العشيرة :

سعد العشيرة أحد بطون مذحج التي نزحت من السراة إلى تهامة وجاورت الأشعريين والعكيين في بلاد جازان وزَبيد وما حولها ، وعند ظهور الإسلام كانوا على دين الوثنية ، وكان لهم صنمٌ يسمى (فَراضٌ) ، فوثب رجل من بني أنس الله بن سعد العشيرة [١٣٩] ، ويدعى عبد الله بن ذياب الأنسي ، على ذلك الصنم وحطمه ، ثم يمم تجاه المدينة للدخول في الإسلام ، وقال :

تَبِعْتُ رسُولَ اللهِ إذ جَاءَ بِالهُدَى ... وَخَلَّفْتُ فَرَّاضَاً بِدَارِ هَوانِ
شَدَدْتُ عَلَيهِ شَدَّةً فَتَرَكْتُهُ ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ والدَّهْرُ ذُو حَدَثَانِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ ... أجَبْتُ رَسُولَ اللهِ حِينَ دَعَانِي
فَأَصبَحْتُ لِلإسْلامِ مَا عِشْتُ نَاصِراً ... وَألقَيتُ فِيهَا كَلْكَلِي وَجِرَانِي
فَمَنْ مُبلِغٌ سَعْدَ العَشِيرَةِ أنَّنِي ... شَرِيْتُ الَّذي يَبْقَى بِآخَرَ فَانِي؟ [١٤٠]

هـ- وفد جهيش بن أنيس المذحجي

وفد على رسول الله ﷺ من أهل مذحج جهيش بن أنيس النخعي المذحجي في نفر من أهل مذحج فقالوا : ((إسلامنا على أن لنا من أرضنا ماؤها ومرعاها وهدلها)) فقال رسول الله ﷺ ((اللهم بارك على مذحج وعلى أرض مذحج من حشد ورفد زهر ...)) ثم كتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً أورد فيه شهادة أن لا اله الا الله ، وأقام الصلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة بحقها ، وصوم شهر رمضان ثم قال : ((فمن أدركه الإسلام وفي يده أرض بيضاء سقية الأنواء فالعشر ، وما كان من أرض تسقى بالدلاية فنصف العشر ...)) [١٤١]، ويذكر أن جهيشاً أنشد شعراً ، فقال :

أَلا يَـا رَسُـولَ اللهِ إنَّـكَ صَـادِقٌ ... فَبُورِكْـتَ مَهْدِيّاً وَبُورِكْـتَ هَادِيـا

شَـرَعْتَ لَنَـا دِيـنَ الحَنِيفَـةِ بَعْدَمَا ... عَبَدْنَا كِأَمْثَالَ الحَمِيرِ الطَّوَاغِيـا

فَيَـا خَيْـرَ مَدْعَى ويَـا خَيْـرَ مُرْسَلٍ ... مِـنَ الإِنْـسِ والجِنَّـانِ لَبَّيْـكَ دَاعِيَـا

أَتَيْـتَ بِبُرْهَـانٍ مِـنَ اللهِ وَاضِـحٍ ... فَأَصْبَحْتَ فِينَا صَادِقَ القَولِ زَاكِيَا

وَنَحْـنُ قَبِيـلٌ مِـنْ ذُؤَابَـةَ مِـذْحَجٍ ... أَتَيْنَـاكَ نَرْجُـو أَنْ نُصِيبَ المَعَالِيَـا

نَجُـودُ بِـنَفْسٍ لا يُجَـادُ بِمِثْلِهَـا ... إِذَا لَفَحَـتْ حَـرْبٌ تُشِيْبُ النَّوَاصِيَا

فَبُورِكْـتَ فِـي الأَقْـوَامِ حَيّـاً وَمَيِّتـاً ... وبُورِكْتَ مَهْدِيّاً وبُورِكْتَ هَادِيَا [١٤٢]

٢- ومن وفود بعض البطون الأزدية في تهامة والسراة :

أ- وفد بارق :

قدم من الأزديين على رسول الله ﷺ وفد بارق [١٤٣] ، فدعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام ، فأسلموا وبايعوا ، وكتب لهم رسول الله ﷺ : ((هذا كتاب من محمد رسول الله لبارق ، لا تُجز ثمارهم ، ولا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلاّ بمسالة

من بارق ، ومن مر بهم من المسلمين في عرك أو جدب فله ضيافة ثلاثة أيام ، وإذا أينعت ثمارهم فلابن السبيل اللقاط يوسع بطنه من غير يقتسم ...)) [١٤٤]

ب- وفد غافق :

وقدم جليحة بن شجار بن صحار الغافقي الأزدي على رسول الله ﷺ في رجال من قومه ، فقالوا : يا رسول الله نحن الكواهل من قومنا ، وقد أسلمنا ، وصدقاتنا محبوسة بأفنيتنا ، فقال : لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم ، فقال عوز بن سرير الغافقي ، آمنا بالله واتبعنا الرسول [١٤٥] .

جـ- وفد سلامان :

ويذكر أن وفد سلامان الأزدي قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة في شهر شوال من السنة العاشرة وكانوا سبعة نفر ، وعند مقابلته ﷺ كان خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها ، فقالوا السلام عليك يا رسول الله ! فقال وعليكم ، من أنتم ، فقالوا : نحن من سلامان قدمنا لنبايعك على الإسلام ، ونحن على من ورائنا من قومنا ، فقال : الرسول ﷺ لغلامه ثوبان أنزل هؤلاء الوفد حيث ينزل الوفود فلما صلى الظهر اجتمع بهم فعلمهم شرائع الإسلام ، وأعطى كل واحد منهم خمس أواق ، وعادوا إلى بلادهم [١٤٦] .

د - وفود أزدية أخرى :

تشير بعض المصادر إلى أسماء بعض رجالات الأزد في بلاد تهامة والسراة الذين تلقوا رسائل من رسول الله ﷺ يقرهم على بلادهم بعد إسلامهم ، ويشرح لهم بعض شرائع الإسلام ، ولم تذكر هذه المصادر قصة وفودهم على رسول الله ﷺ في المدينة ، لكنها تشير إلى بعض نصوص خطابات الرسول ﷺ إليهم ، ولا نستبعد أنهم أرسلوا منهم رسلاً إلى رسول الله ﷺ يعلنون له إسلامهم ، ويرغبون الاستزادة من علوم الشرع التي تعينهم على فهم دينهم ،ومن أولئك الأزديين :

١- خالد بن ضماد الأزدي ، وهو ابن ضماد الأزدي الذي أعلن إسلامه أمام رسول الله ﷺ في فترة المرحلة المكية ، وتشير بعض الروايات إلى أن رسول الله ﷺ كتب لخالد بن ضماد : ((إن له ما أسلم عليه من أرضه ، على أن يؤمن بالله لا شريك له ، ويشهد أن محمد عبده ورسوله ، وعلى أن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم شهر رمضان ، ويحج البيت ، وألا يؤوي محدثاً ، ولا يرتاب ، وعلى أن ينصح لله ولرسوله ، وعلى أن يحب أحبار الله ويبغض أعداء الله)) والتزم له الرسول ﷺ بقوله : ((وعلى محمد النبي أن يمنع منه نفسه وماله وأهله ، وأن لخالد الأزدي ذمة الله وذمة محمد النبي إن وفى بهذا)) (١٤٧) .

٢ - أبو راشد عبد الرحمن الأزدي ، الذي يقول : ((قدمت أنا وأخي ، من سروات الأزد ، فأسلمنا جميعاً ، وكتب لي رسول الله ﷺ كتاباً إلى جهة الأزد)) ، ولم يذكر نص ذلك الكتاب (١٤٨).

٣ - جنادة الأزدي من أهل السراة ، الذي كتب له الرسول ﷺ كتاباً قال فيه ((بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله لجنادة الأزدي وقومه ومن تبعه : ما أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا الله ورسوله وأعطوا من المغانم خمس الله ، وسهم النبي ﷺ ، وفارقوا المشركين ، فإن لهم ذمة الله وذمة محمد بن عبد الله)) (١٤٩) .

د - وفد الأشعريين :

قدم الأشعريون من تهامة على رسول الله ﷺ وهم خمسون رجلاً ، وفيهم أبو موسى الأشعري ، وبعض إخوانه ، ومعهم رجلان من عك ، ويذكر أنهم ركبوا البحر من بلاد الأشعريين حتى نزلوا بجدة ، فلما دنو من المدينة جعلوا يقولون : ((غداً نلقى الأحبه ، محمد وحزبه)) ثم قدموا فوجدوا رسول الله ﷺ في خيبر ، فذهبوا لمقابلته ومبايعته على الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : ((الأشعرون في الناس كصرة فيها مسك)) (١٥٠) .

خامساً : الخاتمة

وخلاصة القول أن أهل تهامة والسراة كانوا من أوائل مجتمعات الجزيرة التي علمت وراقبت الأحداث في الحجاز أثناء مرحلتي الدعوة المكية والمدنية ، ثم تدرجوا في الدخول في الإسلام منذ ظهوره في مكة المكرمة حتى وفاة الرسول ﷺ، ويمكننا الخروج بكثير من النتائج والتوصيات فنذكرها على النحو التالي :

أ- أن اتصال بلاد تهامة والسراة جغرافياً بأرض الحجاز كانت من الأسباب التي جعلت سكان هذه البلاد يطّلعون على أحداث ظهور الدعوة الإسلامية في مكة ثم المدينة ، بل كان البعض منهم يذهب إلى مكة ويشاهد الغضب والصراع الذي استحدثته قريش للرسول ﷺ ودعوته ، وبالتالي تأثر بعض السرويين بهذا الدين الجديد فدخلوا فيه قبل أن تقوم عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة .

ب- الصبغة القبلية كانت المتحكمة في حياة عموم سكان الجزيرة العربية ، فهذه قريش في مكة ، وتلك قبائل الأزد ، ومذحج ، وخثعم ، وبجيلة ، وهمدان ، وخولان ، وحمير ، وغيرها في بلاد تهامة والسراة وأجزاء عديدة من أرض اليمن ، وقد أدرك الرسول ﷺ مكانة القبائل وأهمية شيوخها وأعيانها فكان يرسل رسله وخطاباته إليهم فيشرح لهم أهداف الدين الإسلامي ، وما يسعى إليه لإخراج الناس من الظلام إلى النور ، ومن الباطل إلى الحق . وكانت نتائج الدعوة السلمية للرسول ﷺ قد أثمرت ، فدخلت بعض العشائر أو بعض أفرادها في الإسلام ، ثم صاروا فيما بعد رسلاً لرسول الله ﷺ إلى أقوامهم يدعونهم إلى الإسلام، ويستخدمون القوة أحياناً إذا عجزوا عن تحقيق ما يسعون إليه عن طريق السلم واللين . بل كان الرسول ﷺ يرسل من قبله السرايا

التي تذهب إلى قبيلة محددة أو مكان معين فتجاهد وتؤدب الكفار الذين أصروا على عنادهم في محاربة الإسلام ومن ينتمي إليه .

ج- نجاح الرسول ﷺ وصحابته ، وكثير من مسلمي تهامة والسراة في ترسيخ عقيدة الإسلام في هذه البلاد ، وبالتالي فلم تأت السنتين التاسعة والعاشرة من الهجرة إلاّ وجميع سكان تهامة والسراة يعلنون إسلامهم أمام رسول الله ﷺ ، أو أمام رسله وصحابته الذين كان يرسلهم إليهم لتبليغهم وتعليمهم أمور الدين .

د- كما نتج من انفتاح بلاد تهامة والسراة للإسلام أن كان لكثير من سكانها السبق في الهجرة من بلادهم ، والانخراط في منظومة الجيوش الإسلامية التي خرجت تجاهد في سبيله ، وتشارك في المعارك الإسلامية الفاصلة التي أدخلت بلاد الشام ومصر وفارس والعراق في حوزة الدولة الإسلامية . ومن يستقرئ المصادر التاريخية فإنه يجد التأثير الواضح للسرويين التهاميين الذي نتج عن انخراطهم وتغلغلهم في المجتمعات المختلفة داخل وخارج الجزيرة العربية .

هـ- من خلال دراستنا لهذا الموضوع نرى أهمية دراسة فترة صدر الإسلام، وما نتج عنها من تأصيل حضاري وسياسي وفكري على مر العصور الإسلامية . ولا يكف الحديث عن الجانب السياسي الجهادي الذي اتصف به هذا العصر ، ولكن الدراسة بالشرح والتحليل للآثار الاجتماعية والاقتصادية واللغوية والفكرية التي ترتبت عليه . فهذه الجوانب وغيرها من الجوانب الحضارية جديرة بالدراسة والبحث الجادين، والله من وراء القصد .

سادساً : الحواشي والتعليقات

(١) لمزيد من التفصيلات عن أحوال عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام ، انظر : جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد : جامعة بغداد ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) (عشرة مجلدات) ، السيد عبد العزيز سالم . دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (الأسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر ، د . ت)

(٢) المراجع نفسها ، وفي عمومية رسالة الإسلام ، قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (١٠٧) سورة الأنبياء "

(٣) انظر : أبو محمد عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقاف وآخرين (بيروت : دار القلم ، د . ت) ، جـ ٢ ، ص ٣ وما بعدها ، شمس الدين : أبو عبد الله محمد ، المعروف بـ (ابن القيم الجوزية) . زاد المعاد في هدي خير العباد . تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبد القادر الأرنؤوط (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ط (١٤) ، جـ ٣ ، ص ١٢ – ٦٩ .

(٤) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي . معجم البلدان (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) جـ ٥ ، ص ٤٤٧ – ٤٤٩ ، عبد الله بن عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م) ط (٣) ، مج (٢) ، جـ ٤ ، ص ١٤٠١ .

(٥) للإطلاع على تاريخ بلاد اليمن قبل الإسلام وبعده انظر : جواد علي ، المفصل ، جـ ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها ، السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، ٨٥ – ١٥٠ ، عصام الدين الفقي . اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول (القاهرة : دار الفكر ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م) ص ١٨ وما بعدها .

(٦) انظر تفصيلات أكثر عن تهامة ، ياقوت الحموي ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٦٣ – ٦٤ ، البكري ، معجم، مج (١) ، جـ ١ ، ص ٣٢٢ ، جمال الدين أبو الفضل بن منظور . لسان العرب (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) ، جـ ٢ ص ٥٩ فعل (تهم) .

(٧) للإطلاع على العديد من المصادر والمراجع التي تعرضت لبلاد السراة من حيث المسميات والتركيبة الجغرافية والبشرية ، انظر : عبد الله بن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك . تحقيق أم . جي . دي غوي (لندن : مطبعة بريل ، ١٨٨٩ م) ص ١٣٣ – ١٤٤ ، الحسن بن أحمد الهمداني . صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : منشورات دار اليمامة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ص ٥٨- ٥٩ ، ٩٨ – ١٠٠ ، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العُمري . مسالك الإبصار في ممالك الأمصار . تحقيق أيمن فؤاد سيد (القاهرة : المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، د . ت) ص ١٤٩ – ١٧٠ ، مج١ ، جـ١ ، ص ٥ – ٨٠ ، غيثان بن علي بن جريس . " بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني " مجلة الدارة ، عدد (٣) سنة (١٩) (١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ص ٧٦ – ١١١ ، للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١هـ- ق ١٠ هـ/ ق ٧ م – ق ١٦ م) . الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) جـ١ ، ص ٢١ وما بعدها . عبد الله الوهيبي . " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب – جامعة الرياض . (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) جـ ١ ، ص ٥٣ – ٧٠ ، صالح أحمد العلي " تحديد الحجاز عند المتقدمين " مجلة العرب (١٣٨٨ هـ / ١٩٧٨ م) ، جـ ١ ، ص ١ – ٩ .

(٨) انظر الهمداني ، صفة ، ص ٩٩ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ١ ، ص ٢٣ وما بعدها ، وللمؤلف نفسه . نجران : دراسات تاريخية حضارية (ق ١ – ق ٤ هـ / ق ٧ – ق ١٠ م) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) جـ١ ، ص ٢٥ وما بعدها .

(٩) عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع . اليمن في صدر الإسلام (دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م) ص ٢٣ وما بعدها .

(١٠) أبو المنذر هشام بن محمد السائب الكلبي . نسب معد واليمن الكبير . تحقيق ناجي حسن (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) جـ ١ ، ص ٢٦٧ ، عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ بن خلدون . تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) جـ ٢ ، ص ٣٠٧ ، ابن جريس ، نجران ، ج١ ، ص ٣٦ ، عبد الرحمن الشجاع ، اليمن ، ص ٣١ .

(١١) المصادر والمراجع نفسها .

(١٢) المصادر والمراجع نفسها .

(١٣) الهمداني ، صفة ، ص ٥٩ ، حاشية رقم (٢) ، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم . جمهرة أنساب العرب . تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ص ٤١٣ ، محمد علي الأكوع . الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى سنة (٣٣٢ هـ)(بغداد : دار الحرية ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م) ص ٨٩ .

(١٤) ابن منظور ، لسان ، جـ ١٥ ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني . الإكليل . تحقيق محمد الدين الخطيب (القاهرة : المطبعة السلفية ، ١٣٦٨ هـ) جـ ١٠ ، ص ١ – ١٠ .

(١٥) الهمداني ، صفة ، ٩٩ ، ٢٣٩ ، ٢٤٧ ، المؤلف نفسه ، الإكليل ، جـ١٠ ، ص ٦٥ ، ٧٦ ، ١٩٠ ، ٢٢٧ ، ٢٥٢ .

(١٦) قبيلة حمير ربما سميت (سرو حمير) . والسرو بفتح أوله وسكون ثانيه على وزن الغزو . والسرو من الجبل ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر . انظر : ياقوت الحموي ، معجم ، جـ ٣ ، ٢١٤ – ٢١٨ ، للمزيد انظر : الهمداني ، صفة ٧١ ، ١٧٦ وما بعدها ، أحمد بن عبد الله الرازي . تاريخ مدينة صنعاء . تحقيق حسين عبد الله العمري ، وعبد الجبار زكار (بيروت : د . ن ، ١٩٧٤ م) ص ١٤٤ وما بعدها ، أبو محمد الحسن الهمداني . الإكليل . تحقيق محمد الأكوع (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م) ، جـ ٢ ، ص ١٤٣ (الحاشية) .

(١٧) للمزيد انظر : أبو عبد الله بهاء الدين محمد الجندي . السلوك في طبقات العلماء والملوك . تحقيق محمد الأكوع (صنعاء : مكتبة الإرشاد ، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م) جـ١ ، ص ٢٩٠ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٣٥ ، ٢٤٨ – ٢٥٠ ، المؤلف نفسه ، الإكليل جـ ٢ ، ٢٧٥ ، جـ ١٠ ، ص ٧٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ص ٣٧ .

(١٨) للإطلاع على أسماء القبائل المنتشرة في تهامة انظر : الهمداني ، صفة ، ص٧١، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٢٣٢ ، و جـ ٣ ، ص ٦٨ ، ٢٨٩ ، و جـ ٥ ، ص ٦٧ ، عمر رضا كحالة . معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م) ط (٢) جـ ١ ، ص ٣٠ ، ٣١ و جـ ٢ ، ص ٨٠٢ ، و جـ ٣ ، ص ١٠٤٢ .

(١٩) الهمداني ، صفة ، ص ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ – ٧٧ ، ٢٥٩ ، عرام بن الأصبغ السلمي . أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى . تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م) ص ٤٠١ وما بعدها ، ياقوت ، معجم ، جـ ٢ ، ص ٢٨٠ ، جـ ٥ ، ٢٠٩ .

(٢٠) للمزيد انظر : ياقوت ، معجم ، جـ ٣ ، ص ٦٨ ، ٤٤٠ ، الهمداني ، صفة ، ص ٧٦ (الحاشية) ، ٢٥٨ ، عمر كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ ، محمد علي الأكوع . اليمن الخضراء مهد الحضارة (القاهرة : مطابع السعادة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م) ص ١٨٢ .

(٢١) الأشعريون : هم ولد الأشعر وهو نبت بن أدد من كهلان بن سبأ ، منهم أبو موسى الأشعري . وللمزيد انظر : ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٩٧ ، ياقوت ، معجم ، جـ٢ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، جـ ٣ ، ص ٢٨٩ ، جـ ٥ ، ص ٦٧ . وزبَيد : بفتح الزاي وكسر الباء كان أسماً لواد فيه قرية تسمى الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف الا به . ثم أصبح هذا الاسم يطلق على مدينة عظيمة قريبة من البحر الأحمر وأصبحت فيما بعد عاصمة الدولة الزيادية . انظر ياقوت ، جـ ٣ ، ١٣١ ، عبد الرحمن بن الديبع . بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد . تحقيق عبد الله محمد الحبشي . (صنعاء : مركز الدراسات والبحوث اليمني ، د . ت ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢٢) انظر : البكري ، معجم ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٩٠ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٣٠ ، ٤٧٣ ، ابن الكلبي ، نسب معد ، جـ ١ ، ص ١٣١ ، ٣٦١ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٥ وما بعدها . والأزد تنسب إلى أزد بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن يشجب بن قحطان ، انظر : ابن حزم ، ص ٣٢٩ ، ٤٨٤ ، أبو الحسن علي المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر . ترتيب يوسف داغر (بيروت : دار الأندلس ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) مج ١ ، جـ٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها .

(٢٣) بجيلة : بفتح الباء وسكون الياء ، قبيلة من ولد أنمار من قحطان وسمو بأمهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة وكانوا متحالفين مع ولد أمهم خثعم . ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٨٧ ، البكري ، معجم، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٥٨ – ٦١ ، كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ٦٣ .

(٢٤) عبد الملك بن قريب الأصمعي . تاريخ العرب قبل الإسلام . تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد : مطبعة دار المعارف ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) ، ص ٧٧ وما بعدها ، ابن الكلبي ، نسب معد جـ ١، ص ٢٦٨ وما بعدها ، ابن خلدون ، جـ ٢ ص ٣٠٦ ، المسعودي ، مروج ، مج ١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ ، ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٣٠ ، ٤٧٣ ، كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ١٥ – ١٨ .

(٢٥) الهمداني ، صفة ، ص ١١٩ وما بعدها ، ابن حزم ، أنساب ، ص ٣٣٠ ، ٤٧٣ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ٥٣ – ٥٤ ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ١ ، ص ١٣٢ وما بعدها .

(٢٦) الهمداني ، صفة ، ص ١١٦ – ١٢٠ ، كحالة ، معجم ، جـ ١ ، ص ٣٣ ، ابن جريس ، دراسات ج١ ، ص ١٣٠ وما بعدها .

(٢٧) المصادر والمراجع نفسها .

(٢٨) المصادر والمراجع نفسها ، للمزيد انظر : عاتق بن غيث البلادي . بين مكة وحضرموت (مكة المكرمة : دار مكة للطباعة والنشر ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م) ، ص ١١ وما بعدها .

(٢٩) المسعودي ، مروج ، مج١ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ ، الهمداني ، صفة ، ص ٢٥٤ ، الأكوع اليمن ، ص ١٥٣ ، ابن جريس ، نجران ، ج١ ص ٣٤ وما بعدها .

(٣٠) محمد بن سعد . الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، جـ ١ ، ص ١٦٥ ، جواد علي ، المفصل ، جـ ٣ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ، عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . (القاهرة : دار الفكر ، د . ت) ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٣١) ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٨٧ ، البكري ، معجم ، جـ ١ ص ٤٠ ، ٤١ ، ٥٨ – ٦١ ، جـ ٤ ، ١٢٩٨ .

(٣٢) عماد الدين إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية ، (بيروت : مكتبة المعارف ، ١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤ م) جـ ٣ ،ص ١٤٦ .

(٣٣) الهمداني ، الإكليل ، جـ ١٠ ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة (القاهرة : مطابع السعادة ، ١٣٢٨ هـ) ، ص ٢٦٢ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٣٤) المصادر والمراجع نفسها .

(٣٥) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤١ ، الشجاع ، ص ١٠١ .

(٣٦) أبو الحسن عز الدين علي محمد بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة : دار الشعب،د . ت)، جـ٣،ص ٣٦٧ .

(٣٧) المصدر نفسه ، للمزيد انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ٣ ، ص ٣٥٩ ، للمؤلف نفسه . فتح الباري بشرح صحيح البخاري (القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٨ م) ، جـ ١٦، ص ٦٦ – ٦٩ .

(٣٨) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٧٨ – ٨١ ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر . الاستيعاب في أسماء الصحابة (بهامش كتاب) : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ وما بعدها ، ابن جريس ، دراسات، ج١ ص ٢٩ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام، ص ١٠٦– ١٠٨ .

(٣٩) المصادر والمراجع نفسها ، للمزيد انظر : ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ – ٢٥ ، محمد بن حبيب البغدادي . كتاب المنمق في أخبار قريش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م) ص ١٩٩ – ٢١١ ، جمال الدين بن الجوزي . صفة الصفوة . تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعجي (حلب : دار الوعي ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) جـ ١ ، ص ٦٠٠ – ٦٠٤ .

(٤٠) ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ .

(٤١) المراد بالريح هنا الجنون ومس الجن وسمي بالأرواح أو الريح لأنهم لا يبصرهم الناس فهم كالروح والريح . محي الدين أبو زكريا النووي . صحيح مسلم بشرح النووي (القاهرة : المطبعة المصرية ، د . ت) جـ ٦ ، ص ١٥٧ .

(٤٢) ناعوس البحر أي : قاموس البحر ، وهو وسطه والجتة . انظر : ابن منظور ، اللسان ، جـ ١٤ ، ص ٢٠١ – ٢٠٢ .

(٤٣) النووي ، صحيح مسلم ، جـ ٦ ، ١٥٦ – ١٥٨ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٢١٧ .

(٤٤) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ١ ، ١٦٩ – ١٧٠ ، المؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٧٣ – ٧٨، المسعودي ، مروج ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ .

(٤٥) أبو الحسن علي بن الحسين الخزرجي . الكفاية والأعلام . تحقيق الفصول الخمسة من هذا الكتاب، تحقيق راضي دغفوس تحت اسم : اليمن في عهد الولاة (تونس : منشورات الجامعة التونسية ، كلية الآداب ، ١٦٧٩ م) ، ص ٤٢ – ٤٣ .

(٤٦) المصادر نفسها ، وللمزيد انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ٧ ،ص ١٢٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٣٥٨ (بهامش الإصابة) ، الأكوع ، الوثائق ، ص ١٢٨ .

(٤٧) محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي . تحقيق مارسدن جونس (بيروت : عالم الكتب ، د . ت) جـ ٢ ، ص ٧٢٢ ، علي بن الحسن المسعودي . التنبيه والإشراف (بيروت : دار الهلال ، ١٩٨١ م)) ص ٢٤٣ ، خليفة بن خياط . تاريخ خليفة بن خياط . تحقيق أكرم ضياء العمري (الرياض : دار طيبة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٧٨ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ – ٢٥ ، ابن القيم الجوزية ، زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٦٢٤ – ٦٢٨ .

(٤٨) ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٣٦٧ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب (بهامش الإصابة) جـ ٣ ، ص ٣٧١ ، ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ٦٦ – ٦٩ .

(٤٩) انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، للمؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ١٧٩ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٩ . ويذكر ابن حجر قوله ((كان أبو موسى واليا على الجهة السفلى من اليمن)) ويقصد بذلك الأجزاء التهامية المنخفضة المطلة على البحر الأحمر والممتدة من جنوب مكة المكرمة إلى عدن ، انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، وللمؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ١٧٩ ، جـ ٢٦ ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٥٠) النووي ، شرح صحيح مسلم ، جـ ١٣ ، ص ١٧٠ — ١٧١ ، ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ١٧٩ .

(٥١) المصادر نفسها .

(٥٢) انظر : محمد الأكوع ، الوثائق السياسية اليمنية ، ص ١٢٩ . وفي رواية ((أن معاذاً وأبا موسى خرجا معاً فكان طريقهما على الطائف ، فترية ، فبيشة ، ثم افترقا فنزل أبو موسى طريق التهائم ، ومعاذ طريق الجبال)) . وهذا القول غير ممكناً لبعد المسافة بين الناحيتين ، والصحيح أن أبا موسى سلك طريق الساحل ، ومعاذ سلك طريق الجبال .

(٥٣) ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٠ ، وللمؤلف نفسه ، فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ١٢٤ . عمارة بن علي اليمني ، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد . تحقيق محمد الأكوع (القاهرة : مطابع السعادة ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦ م) ص ٧٢ ، الرازي ، تاريخ صنعاء ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، الهمداني ، صفة ، ١٤٤ ، الخزرجي ، الكفاية ، ص ٤٢ .

(٥٤) للمزيد انظر : ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٣ ، ص ٢٣٧ — ٢٣٩ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٣٧٢ (بهامش الإصابة) أبو جعفر محمد بن حبيب . المحبر . أخرجه وصححه محمد حميد الله ، وإيلزه ليختن شتيتر (صورة المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بحيدر أباد الهند ، ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٢ م) ، ص ١٢٦ .

(٥٥) أحمد بن يعقوب . تاريخ اليعقوبي (بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، جـ ٢ ، ص ٨١ ، الفقي ، ص ٢٥٤ ، الشجاع ، ١٣٦ — ١٣٨ .

(٥٦) محمد سعد . الطبقات ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٥٥ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٥٧) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ .

(٥٨) الحافظ شمس الدين الذهبي . العبر في أخبار من غبر . تحقيق حسين عبد الله العمري (بيروت : د . ن ، ١٩٧٤ م) جـ ١ ، ص ٥٧٨ .

(٥٩) محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت : دار النفايس، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م) ، ١٨٣ ، انظر أيضاً أبو الفداء إسماعيل ابن كثير . تفسير القران الكريم (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م) ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٠) ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ .

(٦١) ابن سعد ، جـ ١ ، ٣٥٧ ، ويذكر ابن خلدون في تاريخه ((ان اسمه أبو حارثة بن بكر بن وائل)) جـ ٢، ص ٤٤٧ ، للمزيد انظر : الذهبي ، العبر ، جـ ١ ، ص ٥٧٨ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ٣٧٦ .

(٦٢) المصادر نفسها .

(٦٣) للمزيد انظر : ابن سعد ، جـ ١ ، ص ١٦٤ — ١٦٥ ، الذهبي ، جـ ١ ص ٥٨٧ ، ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ٣٧٦ ، ابن جريس ، نجران ، ج١ ، ص ٧٤ — ٧٨ . للمزيد عن علاقة نجران بالروم ، انظر : عابدين، ص ٤٩ وما بعدها ، جواد علي ، جـ ٣ ، ص ٤٤٩ ، فاطمة مصطفى عامر . نجران ، ج١ ، في العصر الجاهلي وعصر النبوة (القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٨ م) ، ص ٢٦ .

(٦٤) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، ابن جريس ، نجران ، ص ٧٧ .

(٦٥) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، وللمزيد انظر : اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٧ ، أبو الحسن أحمد البلاذري ، فتوح البلدان . تحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣ م)، ص ٧٥ ، محمود بن عمر الزمخشري . تفسير الكشاف . تحقيق محمد مرسي عامر (القاهرة : دار المصحف ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) ، جـ ١ ، ص ١٧٧ وما بعدها .

(٦٦) المباهلة ، جاءت من فعل (بهل) والبهل هو اللعن ، يقال بهله الله بهلاً أي لعنه ، وعليه بهلة الله أي لعنته ، ويذكر في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال : ((من ولي من أمور الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بهلة الله " أي لعنته . والمباهلة هي الملاعنة ، ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا . ابن منظور ، جـ ١ ، ص ٥٢٢ .

(٦٧) ابن كثير ، التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ — ٣٧٨ ، الزمخشري ، تفسير ، جـ ١ ، ص ١٧٨ . والنصارى أقرب في مودتهم للمسلمين من اليهود والمشركين قال الله تعالى ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ . سورة المائدة ، آية (٨٢) .

(٦٨) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٨٢ — ٨٣ ، البلاذري ، فتوح ، ص٧٥ — ٧٦ ، ابن سعد جـ١ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٨ ، الزمخشري، تفسير ، جـ١ ، ص ١٧٨ ، علي بن أبي الكرم بن محمد بن الأثير . الكامل في التاريخ . تحقيق نخبة من العلماء (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٦٩) المصادر نفسها .

(٧٠) المصادر نفسها .

(٧١) المصادر نفسها ، للمزيد انظر : محمد حميد الله ، ص ١٧٥ — ١٧٦ ، ابن جريس ، نجران ، ج١ ، ص ٧٩ — ٨٢ .

(٧٢) المصادر والمراجع نفسها .

(٧٣) الواقدي ، المغازي ، جـ ٢ ، ص ٧٢٢ ، المسعودي ، التنبيه ، ص ٤٣ . للمزيد انظر : ابن خياط ، تاريخ، ص ٧٨ ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٧٤) انظر : محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان ، د . ت)، جـ ٣ ، ص ٦٦ — ٦٨ . وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، كانوا يسكنون موضعاً يسمى (الغميصاء) على مقربة من مكة . انظر ، ياقوت ، المعجم ، جـ ٤ ، ص ٢١٤ .

(٧٥) ابن هشام ، السيرة ، جـ ٢ ، ص ٢١ — ٢٥ ، ابن الجوزي ، صفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٦٠٠ — ٦٠٤، ابن جريس ، دراسات ، ج١ ، ٢٩ ، ٣٢ ، الشجاع ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٧٦) المصادر والمراجع نفسها .

(٧٧) ذو الهيئة : أي ذو الصورة والشكل الحسن ، أو ذو الوقار ، وتقول هئت للأمر أهي ، هيئة ، وتهيأت، تهيوا . والهيئة : الشارة ، فيقال فلان حسن الهيئة . انظر : ابن منظور ، اللسان . فعل (هيأ) ، جـ ١٥ ، ص ١٧٠ ، (طبعة بيروت) .

(٧٨) الواقدي ، جـ ٣ ، ص ٩٢٣ .

(٧٩) لمزيد من التفصيلات عن محاربة الطفيل للوثنيين في بلاد غامد وزهران وما جاورها من بلاد السراة ، انظر : ابن سعد ، جـ ٢ ، ص ١٥٧ — ١٥٨ ، ابن هشام ، جـ ٢ ، ص ١٢ — ٣٥ ، ابن الجوزي ، صفة، جـ ١ ، ص ٦٠٣ . محمد بن اسماعيل البخاري . صحيح البخاري (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر ، د . ت) مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١٢٣ ، ابن جريس ، دراسات ، ج١ ، ص ٣٢ ، ٤٩ .

(٨٠) الهمداني ، صفة ، ٥٩ ، ١٤٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ياقوت ، جـ ٣ ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ابن حزم ، جمهرة ، ٤١٣ ، الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٩ .

(٨١) المصادر نفسها ، كما انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، الشجاع ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .

(٨٢) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .

(٨٣) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، محمد بن عبد الباقي الزرقاني . شرح المواهب اللدنية للقسطلاني (بيروت : دار المعرفة ، (١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) ، جـ ٣ ، ٤٢ ، جـ ٤ ، ٦٠ – ٦١ .

(٨٤) لمزيد من الاطلاع على صنم ذي الخلصة وحماية خثعم له ، انظر : ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، ابن الجوزي ، صفة ، جـ ١ ، ص ٧٤١ ، البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ ، مج ٥ ، جـ ٨ ، ص ١٠٠ . محمد بن عبد الله الأزرقي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ – ٣٨٩ (الحاشية) .

(٨٥) قطبة بن عامر الأنصاري صحابي بدري بل كان من أصحاب بيعة العقبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، وكان معه راية بني سلمة يوم الفتح . توفي في خلافة عمر (رضي الله عنه) ، أو في خلافة عثمان (رضي الله عنه) ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٢٣٧ .

(٨٦) ابن سعد ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ، ابن القيم ، زاد المعاد ، جـ ٣ ، ٥١٤ . للمزيد انظر : الزرقاني ، شرح المواهب ، جـ ٣ ، ص ٤٨ .

(٨٧) جرير البجلي ، الصحابي الشهير ، اختلفت المصادر في وقت إسلامه ، إما قبل السنة العاشرة ، أو في العاشرة ، قال الرسول ﷺ ((انه خير ذي يمن ، على وجهه مسحة ملك)) اشترك مع الرسول ﷺ في حجة الوداع ، وشارك في الفتوحات الإسلامية في بلاد فارس ، ومات سنة (١٥١ هـ) وقيل سنة (١٥٤ هـ /) . انظر : ابن حجر ، الإصابة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٨٨) ابن هشام ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ ، ابن الجوزي ، صفة ، جـ ١ ، ص ٧٤١ .

(٨٩) أحمس : بفتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الميم ، بطن من الغوث بن أنمار ، وهم بطن من بجيلة . انظر: ابن حزم ، جمهرة ، ص ٣٨٨ ، ٤٧٤ .

(٩٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ابن حجر ، فتح الباري ، جـ ١٦ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .

(٩١) الأزرقي ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ ، البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ .

(٩٢) اختلف في العدد الذي كان معه ، ففي رواية البخاري (فتح الباري جـ ١٦ ، ص ١٩٠) مئة وخمسون رجلاً من أحمس ، وفي رواية (فتح الباري ١٩١/١٦) عامة من كان معه وندب معه ثلاثمائة من الأنصار . وفي رواية ضعيفة عن الطبري : أنهم كانوا سبعمائة ، وفي رواية أخرى : كانوا أكثر من ذلك : خمسمائة من أحمس ومائة وخمسين أتباع جرير وثلاثمائة من الأنصار ، وهذا غير مستساغ ، لأنه لم يلق حرباً ذات بال ، وقد يكون الصحيح أنه لم يضم اليه من الأنصار أحد لأن رسول الله ﷺ حينما بلغه خبر الإحراق دعا لجرير وقومه ولم يذكر الأنصار بشيء .

(٩٣) انظر : البخاري ، الصحيح ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ١١١ – ١١٢ ، ابن سعد جـ ١ ، ص ٣٤٧ – ٣٤٨ ، الأزرقي ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٩٤) محمد حميد الله ، الوثائق ، ص ٢٩١ .

(٩٥) المرجع نفسه .

(٩٦) جُرش : بضم الجيم وفتح الراء ، من مخاليف اليمن من جهة مكة . معناها مأخوذ من جرش الحبوب أي طحنها بدون تنعيم ، وقيل نسبة إلى جرش بن أسلم الذي يعود نسبه إلى حمير بن سبأ ، والذي

كان أول من سكنها فسميت باسمه ، وغير ذلك من التعليقات والآراء . للمزيد انظر : ياقوت ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ ، البكري ، مج ١ ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ، ابن حزم ، ص ٤٣٦ ، ٤٧٨ . غيثان بن علي بن جريس. ((تاريخ مخلاف جرش (عسير) خلال القرون الإسلامية الأولى)) مجلة العصور ، مج (٩) جـ١ (١٩٩٤ م) ص ٦٣ — ٧٨ ، للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ١، ص ٩٣ — ١٢٦ .

(٩٧) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، ابن جريس ((تاريخ مخلاف جرش ...)) ، ص ٦٥ وما بعدها .

(٩٨) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ — ٢٣٤ ، ابن سعد جـ ١ ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، ابن القيم الجوزية ، جـ ٣ ، ص ٦٢٠ — ٦٢١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٩٩) المصادر نفسها .

(١٠٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ .

(١٠١) المصدر نفسه ، للمزيد انظر : محمد حميد الله ، ص ٢٨٩ — ٢٩٠ . وعن الحمى وأهميته منذ بداية عصر الإسلام ، انظر : صالح أحمد العلي . ((الحمى في القرن الأول الهجري)) مجلة العرب (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ، جـ ٧ ، ص ٣ وما بعدها .

(١٠٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠- ١٣١ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٢٠٤ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ . تبالة : بفتح التاء والباء موضع ببلاد اليمن ، وبين مكة وتبالة اثنان وخمسون فرسخاً (حوالي ٣٠٠ كيلو متر) ، وسميت بتبالة بن جناب بن مكنف من بني عمليق ، وقيل غير ذلك ، ياقوت ، جـ ٢ ، ص ٩ — ١٠ ، البلادي ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١٠٣) البلاذري . فتوح البلدان ، ص ٧٠ — ٧١ . وللمزيد انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٣٣ ، ابن سعد ، جـ١ ، ص ٣٣٧ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ ، ابن القيم الجوزية ، جـ ٣ ، ٦٢٠ — ٦٢١ .

(١٠٤) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٦ .

(١٠٥) المصدر نفسه ، للمزيد انظر : أبو الحسن أحمد بن يحيى . أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله (القاهرة : معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالإشتراك مع دار المعارف ، د . ت) جـ ١ ، ص ٣٨٤ .

(١٠٦) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ .

(١٠٧) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، الطبري جـ ٣ ، ص ١٢٦ — ١٢٧ .

(١٠٨) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ .

(١٠٩) سمي بذي الغصة ، لغصة كانت تعتريه في حلقه حين يتكلم ، وكان فارساً من ذوي الرباع ، أي الذين كانوا يأخذون ربع الغنيمة التي يغنمها قومه في حروبهم مع غيرهم حضرها أم لم يحضرها . انظر : ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ، عبد الواحد محمد راغب دلال . البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران (القاهرة : مطابع دار التعاون للطباعة والنشر ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ص ١٢٥ ، حاشية (٢)

(١١٠) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، للمزيد انظر : ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، ابن جريس ، نجران ، ج١ ، ص ٦٤ — ٦٥ ، جواد علي ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

(١١١) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، الطبري ، جـ ٣ ، ١٢٧ .

(١١٢) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

(١١٣) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ — ١٢٨ ويقصد بالزجر هنا ، أي نوع من الكهانة والعيافة ، والزجر للطيور هو التيمن والتطير بها ، انظر : ابن منظور ، جـ٦، ص ١٢، فعل (زجر) . وعادة الكهانة كانت من العادات السائدة عند العرب قبل الإسلام ، ويتضح من سياق الحديث انها كانت موجودة عند أهل نجران .

(١١٤) الطبري ، جـ ٣ ، ١٢٧ — ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١ .

(١١٥) ونجد القران الكريم يذكر آيات كثيرة يوضح فيها لين الرسول ﷺ مع المسلمين ، أثناء قيامه بالدعوة ، قال تعالى {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ } (١٥٩) سورة آل عمران .

(١١٦) ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ – ١٢٨ ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير . البداية والنهاية . تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين (بيروت : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(١١٧) اليعقوبي ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، ابن خلدون ، تاريخ ، جـ ٢ ، ص ٤٧٣ .

(١١٨) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(١١٩) الطبري ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ ، ابن هشام ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير ، البداية ، مج ٣ ، جـ ٥ ، ص ٨٩ .

(١٢٠) المصادر نفسها .

(١٢١) المصادر نفسها .

(١٢٢) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ ، محمد حميد الله ، ص ٢٩٢ .

(١٢٣) حميد الله ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ، ابن جريس ، دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(١٢٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ ، ابن الأثير ، أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٨٨ ، الزرقاني ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .

(١٢٥) الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٧ ، ويذكر ((أنه كتب الرسول ﷺ إلى أبي ظبيان الأزدي الغامدي يدعوه ويدعو قومه الى الاسلام فأجابه في نفر من قومه بمكة منهم مخنف وعبد الله وزهير بنو سليم ، وعبد الله بن عفيف ، وجندب بن كعب ، وهؤلاء بمكة ، وقدم عليه بالمدينة الحجن بن المرقع ، وجندب بن زهير ، وجندب بن كعب ، ثم قدم بعد مع الأربعين الحكم بن مفضل ، فأتاه بمكة أربعون رجلا)) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(١٢٦) المرجع نفسه . ويدعى هذا الصحابي أبو ظبيان الأزدي الغامدي ، وكذلك أبو ظبيان عمير بن الحارث الأزد الغامدي ، انظر : المرجع نفسه .

(١٢٧) المرجع نفسه ، ص ٨٧ .

(١٢٨) ابن سعد جـ ١ ، ص ٣٥٣ . حرة الدجاج ، إحدى نواحي المدينة في عهد الرسول ﷺ

(١٢٩) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٣ .

(١٣٠) المصدر نفسه .

(١٣١) لمزيد من التفصيلات عن وفود جرش ونجران ، انظر : اليعقوبي ، جـ ٢ ، ص ٧٩ ، ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٣٨ – ٣٣٩ ، الطبري ، جـ ٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ابن الأثير ، الكامل ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، جـ٢ ، ص ٤٧٣ ، ابن القيم الجوزية ، جـ ٣ ، ص ٦٢٠ – ٦٢١ .

(١٣٢) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ . عمر بن معد كرب الزبيدي دخل الإسلام في عهد الرسول ﷺ ، ثم ارتد في عهد أبي بكر الصديق ، وانضم إلى الأسود العنسي ، وبعد مقتل العنسي عاد إلى الإسلام مرة أخرى ، ثم شارك في الفتوحات الإسلامية في جبهتي الجهاد ضد الروم والفرس . للمزيد انظر : أبو عبد الله عمر الواقدي . فتوح الشام (بيروت : دار الجيل ، د . ت) جـ ١ ، ص ٣٧ ، ابن هشام ، السيرة ، جـ ٤ ، ص ٢٣٠ – ٢٣٢ ، البلاذري ، فتوح ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، ١٢٨ . ابن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة ، جـ ١ ، ص ٥٥ وما بعدها .

(١٣٣) وقعت بين همدان ومراد حرب طاحنة في مكان يسمى الردم ، ونسبت المعركة إلى هذا المكان ، فسميت بـ (يوم الردم) ، أو (يوم الرزم) ، وقد توافق حدوثها مع غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية

من الهجرة ، وأسفرت هذه المعركة عن هزيمة مراد . للمزيد انظر : ابن هشام ، جـ ٤، ص ٢٢٨ ، ياقوت ، معجم ، جـ ٣ ، ص ٤٢ ، الشجاع ، اليمن في صدر الإسلام ، ص ٢١٧ .

(١٣٤) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٠ (بهامش الاصابة) الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٥ . فروة بن مسيك المرادي : من (غطيف) قال البخاري له صحبة ، وقد وفد على رسول الله ﷺ ، واستعمله على مراد ومذحج كلها . وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص ، وبقي حتى توفي رسول الله ﷺ ، وكان له دور في مقاومة المرتدين ، ثم استعمله عمر بن الخطاب على صدقات مذحج ، سكن الكوفة ، وهو من وجوه قومه ، ولا نعرف تاريخ وفاته . ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٣٥) ابن سعد ، جـ ٥ ، ص ٥٢٤ ، الطبري ، جـ ٣ ، ١٣٦ .

(١٣٦) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ ، جـ ٥ ، ٥٢٤ ، ابن عبد البر ، الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٤٠٠ (بهامش الإصابة) ، الطبري ، جـ ٣ ، ص ١٣٦ .

(١٣٧) المصادر نفسها .

(١٣٨) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ابن حجر ، الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٥٣٧ ، ابن الأثير ، أسد الغابة، جـ ٤ ، ص ٢٢٧ . للمزيد عن بلاد الرهاويين الذين تتداخل بلادهم مع بلاد حمير ، انظر : ابن حزم ، الجمهرة ، ص ٤١٢ ، الهمداني ، صفة ، ص ١٨١ ، ١٨٢ (الحاشية) .

(١٣٩) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٢ .

(١٤٠) المصدر نفسه .

(١٤١) محمد حميد الله .

(١٤٢) الأكوع ، الوثائق ، ص ١٣٩ .

(١٤٣) بارق : بطن من الأزد ، واسم بارق سعد بن عدي منازلهم في جبال السراة ، ونزلوا ، الكوفة بعد ذلك . ابن حزم، جمهرة ، ص ٤٧٣ . كحالة ، معجم قبائل العرب ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

(١٤٤) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٥٢ .

(١٤٥) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥٢ .

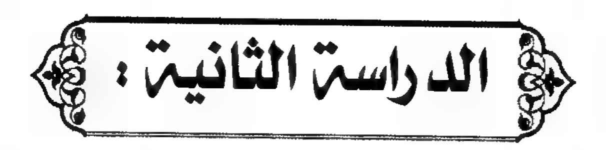
(١٤٦) المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ، انظر : غيثان بن جريس . بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين ١٣/١٤هـ (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣ هـ) ص ٤٤ .

(١٤٧) الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٦ ، محمد حميد الله ، ص ٢٣٨ .

(١٤٨) حميد الله ، ص ٢٣٨ .

(١٤٩) المرجع نفسه ، ٢٣٨ - ٢٣٩ ، الأكوع ، الوثائق ، ص ٨٦ .

(١٥٠) ابن سعد ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .



الدراسة الثانية:

الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقيا في القرون الإسلامية الأولى

(*) نشرت هذا الدراسة في مجلة المؤرخ العربي بالقاهرة مجلد (١) العدد (٣) مارس (١٩٩٥م) ص ٦٧ — ٨٥ .

الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في القرون الإسلامية الأولى

أثبتت الكشوف والبحوث التاريخية والأثرية أن تكشف عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين شعوب شرقي أفريقية وشعوب العالم الخارجي منذ أقدم العصور التاريخية لأسباب تجارية واقتصادية ودينية . ومن بين هذه الشعوب التي اتصلت بشعوب الساحل الشرقي لأفريقية نذكر على سبيل المثال لا الحصر، الصينيين والهنود والفينيقيين وقدماء المصريين وشعوب الرافدين . إلا أن العرب كانوا أهم تلك الشعوب التي اتصلت بهذا الساحل منذ القدم، وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ، ونظام الرياح الموسمية الذي ساعد الملاحة في المحيط الهندي وخليج عمان وسواحل الجزيرة العربية الجنوبية نحو الساحل الأفريقي[1] . والثابت تقدم العرب في فنون الملاحة منذ زمن دول معين وسبأ وحمير. والمعروف أن نفوذ المعينيين قد امتد إبان تفوق سلطانهم إلى شواطئ البحر المتوسط في الشمال، والخليج العربي في الشرق، والبحر العربي وسواحل أفريقية الشرقية في الجنوب . ويرجع هذا النفوذ الواسع إلى نشاط المعينيين التجاري، فأنتشرت طرقهم التجارية في أواسط شبه الجزيرة ، وفي البحار المحيطة بها ، إلى أعماق المحيط الهندي . وفيما يتعلق بنشاط دولة سبأ ، فيلاحظ أيضا أن امتداد نفوذهم وبسط سلطانهم ، ومهارتهم البحرية ، وتفوقهم التجاري ، لم يأت نتيجة الغزو أو الفتح ، إذ أنها لم تكن دولة حربية ، إنما يرجع هذا النفوذ إلى نشاطهم التجاري وتفوقهم في مضمار الاقتصاد . ويعد السبأيون بحق أقدم الشعوب العربية التي خطت خطوة واسعة نحو الحضارة ، ويرجع ذلك إلى ما حبتها به الطبيعة من خصوبة التربة ، ومن نصيب موفور من الأمطار ، ومركز جغرافي ممتاز على الطريق التجاري بين الشرق والغرب ، وما تنتجه بلادهم من حاصلات وجدت لها طريقا إلى أسواق الغرب ، ولعل أهمها البخور والعطور

والتوابل ، فضلاً عما كان يرد إليها من حاصلات بلاد الشرق مثل اللؤلؤ من خليج العرب والأنسجة والسيوف من الهند والحرير من الصين ، والرقيق والعاج وريش النعام والذهب من ساحل أفريقية الشرقية . واستطاع السبأيون أن يحتكروا التجارة الشرقية بفضل مهارتهم في ركوب البحر ، ومعرفة مسالكه وموانئه ورياحه ، وكانت متاجرهم تنقل من باب المندب بالمراكب عبر البحر الأحمر بوادي الحمامات ، ومنه في النيل إلى البحر المتوسط ، ومنه تأخذ طريقها إلى موانئ الغرب . ومن باب المندب كذلك ، تتجر المراكب جنوبا في المحيط الهندي إلى سواحل شرقي أفريقية وموانيه الهامة[٢] . وفي العصر الحميري الأول (١١٥ق. م - ٣٠٠م) توسعت العلاقة مع بلاد أفريقية الشرقية . وتشير المراجع إلى أن في هذا العصر نزحت جماعة من اليمن وحضرموت إلى الساحل الأفريقي ، ووضعوا أساس الحضارة التي ازدهرت في بلاد الحبشة ، وكان يغذيها وفود جماعات عربية في أزمنة متعددة . ويرجع تأسيس دولة أكسوم الحبشية في القرن الأول الميلادي إلى هذه الجماعات العربية المهاجرة ، وكانت أكسوم نواة الدولة الحبشية فيما بعد . ولم يقتصر نفوذ العرب الجنوبيين على الحبشة ، بل توغلوا إلى جنوب وادي النيل الأوسط . والمعروف أن الحميريين أسسوا مجدهم على أساس تجاري ، فكانوا الوارثين لأسلافهم المعينيين والسبأيين في احتكار التجارة الشرقية، ودأبوا على جمع حاصلات بلادهم وحاصلات أفريقية الشرقية والهند والصين ، ثم تأخذ هذه المتاجر طريقها إلى الغرب[٣] .

ومن حيث علاقة بلاد العرب ببلاد أفريقية الشرقية قبل الإسلام ، فيمكن أن نجمل القول في أن هذه العلاقة تتجه في محورين ، الأول : هو علاقة العرب ببلاد الحبشة أما الثاني : فيتصل باتصال العرب بشعوب أرض الزنج المطلة على المحيط الهندي [٤] .

أما عن اتصال العرب ببلاد الحبشة قبل الإسلام ، فتدل المعلومات التي أوردها الكتّاب والمؤرخون من اليونان والرومان ، على أن البلاد التي نعتوها بكلمة (أثيوبيا) تعني المساحات الشاسعة الممتدة جنوبي مصر من أفريقيا غرباً إلى آسيا ، وهي المنطقة التي تسكنها العناصر من ذوي البشرة المحترقة أو السوداء أو الزيتونية اللون. أما كلمة الحبشة، ومنها الأحباش، وهما اللفظان اللذان صارا في اللغة الأجنبية (Abyssinia) فيرجع أصلها إلى قبيلة عربية هي "حبش" السامية التي عبرت البحر الأحمر، مهاجرة من جنوب بلاد العرب، واستقرت في أفريقية(٥) . ويرجع أن ذلك تم في الفترة بين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد ، والغالب أن الموطن الأصلي لهذه القبيلة هو بلاد اليمن . ولما كانت اليمن خلال تلك الفترة على درجة كبيرة من التقدم والعمران في ظل ملوك سبأ ، فان هذه القبيلة لاشك كانت أرفع حضارة ومدنيه من الوطنيين المقيمين في أفريقية إبانئذ ، وهم الذين استقر الأحباش بينهم . ولم تلبث قبيلة حبش حتى سادت في موطنها الجديدة وصبغت البلاد بالصبغة الحضارية التي تميزت بها ، غير أن الوطنيين لم ينظروا بعين الارتياح أو الرضا لسيادة هؤلاء الأجانب . ومع ذلك لم يكد القرن الرابع الميلادي يطلع حتى غلب اسم هذه القبيلة السامية على المنطقة التي استوطنتها ، وعلى الوطنيين أنفسهم، فغدا الجميع أحباش ، وأصبحت كلمة الحبشة ترادف أثيوبيا(٦) . وحدود هذه المنطقة قديما ، بين النيل غربا والبحر الأحمر شرقا ، ومن النوبة شمالاً إلى ما وراء خط الاستواء جنوبا. بمعنى آخر أن الحبشة أو أثيوبيا في تلك لفترة ، تشمل ما هو معروف حاليا باسم السودان والحبشة وإرتيريا والصومال(٧) .

أما المحور الثاني الذي يتصل بكلمة "الزنج" والمقصود بها ساحل شرقي أفريقية ، فالثابت أنها المنطقة الممتدة من رأس جوردافوى في شمال الصومال إلى رأس دلجادو في موزمبيق أو سوفالا في روديسيا. وبعبارة أدق هي المنطقة التي تحتل

مساحة كبيرة في شرق أفريقيا . وتمتد بين خطي عرض [٥] شمالاً و [١٠] جنوبا. والغرب هم أهم الأمم التي اتصلت بأرض الزنج منذ القدم وأبقاهم أثرا في تلك البقعة . وكان ذلك قبل فجر الإسلام قرون عديدة. وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ، ونظام الرياح الموسمية في المحيط الهندي كما سبق القول . هذا بالإضافة إلى العامل الأساسي الذي دفع العرب لارتياد سواحل أفريقية الشرقية ، وبعض أجزائها الداخلية ، وما فيها من سلع وثروات . هذا فضلا عن دور العرب في نشر الدعوة والحضارة الإسلامية بعد ظهور السلام . وقد تعاقبت بعد ذلك الهجرات العربية والإسلامية التي كان لها الفضل الكبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية . لذلك يمكن القول بأن دوافع هذه الهجرات إلى الحبشة وارض الزنج كانت لأسباب دينيه وسياسية فضلا عن العامل الاقتصادي الذي كان بارزا في جميع الهجرات (٨).

لقد قامت الدعوة للدين الإسلامي في أثيوبيا منذ ظهوره ، ويمكن أن يؤرخ لدخول الإسلام في أثيوبيا بهجرة المسلمين الأول وإظهار النجاشي أرماح (أصحمه) للإسلام ، ثم كثر توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب ، وأضحوا يتحكمون في طرق القوافل داخل الجزيرة العربية ولاسيما بين عدن وصنعاء ، كما أسهموا بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر . وعبرت مجموعات قليلة من تجار العرب إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر ، كما اخترق عدد من هؤلاء الحدود الحبشية وأسسوا لهم مراكز استقرار بالتدريج بل إن العرب المسلمين استطاعوا بنشاطهم أن يتحكموا في ميناء عدوليس (Adulis) وهو ثغر الحبشة ، فأدى ذلك إلى حرمان الحبشة منه ، والى قطع صلاتها بالعالم الخارجي إلا عن طريقهم ، فلم يعد هناك مخرج للمنتجات الحبشية ، مما أدى في النهاية إلى

القضاء على تجارة الحبشة الخارجية وإلى قلة عدد التجار الأجانب من غير العرب بدولة أكسوم [٩] .

وفي الوقت الذي أخذت فيه مملكة أكسوم طريقها إلى الانحطاط ، كان الإسلام يسير بخطى واسعة من الساحل إلى الداخل . فاعتنقته القبائل التي تسكن شواطئ ارتيريا ، ثم انتشر بين بعض القبائل الناطقة بلغة التيجرى ، وفي جزء من قبيلة البلين وفي معظم قبائل البحر كالبني عامر والهدندوة ، وكذلك انتشر الإسلام بين كل القبائل المتفرقة المسماة "الجبرته" في ارتيريا ، وقبيلة الدناقل (الدناكل) في أثيوبيا والصومال . وتكونت على أثر ذلك مراكز استقرار عربية إسلامية على طول الساحل الشرقي لأفريقية امتدت من سواكن على الساحل الغربي للبحر الأحمر (في السودان حاليا) إلى مقديشو ومركه وبراوه (في الصومال) ، وممبسه وما لندى (في كينيا حاليا)، وزنجبار وكلوه (تنزانيا حاليا) على المحيط الهندي [١٠] .

وفي الداخل لأثيوبيا امتزج المسلمون بالوطنيين وصاهروهم ، فأخذ الإسلام ينتشر تدريجيا ، واعتنقته عناصر الساهو والعفر في شرق بلاد الحبشة ، كما امتد إلى مناطق السيدامو وشوا الشرقية في جنوب الحبشة[١١] . ولقد ساعد سيطرة العرب المسلمين على تلك الجهات ، أنهم تمكنوا من احتلال المناطق الاستراتيجية في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ومن أهم تلك المناطق مجموعة جزر الدهلك في زمن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٨)، وتتكون هذه المجموعة من عدة جزائر أهمها: دهل وحرات وكياري ودركه ونوره ونقره وكمران ، والأخيرة كبرى جزر هذه المجموعة [١٢] . كذلك تمكن العرب من احتلال جزر مافيا وبمبا وزنجبار في المحيط الهندي[١٣] . ومن المناطق الهامة التي استقر فيها العرب، ونشروا فيها الإسلام منذ ظهوره، منطقة

البجه علي الساحل الغربي للبحر الأحمر، ومن البجه الذين اعتنقوا الإسلام وتحمسوا له قبيلة بني عامر وقبيلة الهدندوة والبشاريين والأمرار . فقد كثر المسلمون في بلادهم وشجعهم على ذلك غنى منطقة البجه بمعادن الذهب والزمرد والفضة والنحاس والرصاص والحديد . وامتزج العرب بالبجاويين وصاهروهم ، وكان من نتيجة هذا دخول كثير من أهل البجه في الإسلام . وقد تزايد عدد المسلمين المهاجرين والمقيمين في منطقة المعادن بالبجه . وأشهر القبائل العربية التي استقرت بها قوم من ربيعه وقحطان ، إلا أن قبائل ربيعه كانت أقوى العناصر ، حتى سادت وغلبت على من جاورها من العرب القحطانيين (١٤) .

وفي داخل الحبشة ، تأسست مملكة إسلامية ، عرفت باسم شوا ، نسبة إلى المنطقة التي سادت فيها وتعرف باسم شوا الشرقية . وقد أشارت المصادر إلى أن تلك المملكة قامت في نهاية القرن الثالث الهجري ونهاية القرن التاسع الميلادي (٢٨٢هـ =٨٩٦م) بزعامة أسرة عربيه تنتسب إلى قبيلة مخزوم القرشية ، وهي التي ينتسب إليها خالد بن الوليد ، ويقال أن أسلاف هذه الأسرة هاجروا عبر البحر الأحمر على عهد خلافة عمر بن الخطاب برئاسة ود بن هشام لتستقر هناك في منطقة من أخصب مناطقها وهي منطقة شوا(١٥) .كذلك قامت في الحبشة مشيخات إسلامية أخرى في مناطق عدال (Adal) ومورا (Mora) وهوبات (Hobat) وجيدايا (Jidaya) ، غير أن هذه جميعا لم تعمر طويلا نظرا للخلافات والتنافس فيما بينها ، فضلا عن أن عنايتها كانت منصبه على شئون التجارة، ولاسيما تجارة الرقيق فسرعان ما طوتها أقوى الإمارات الإسلامية في الوطن الحبشي وهي أمارة أوفات (١٦) .

ولعل الفترة البارزة في التوسع الإسلامي في أثيوبيا ، تقع بين القرنين الرابع والسادس الهجريين (العاشر والثاني عشر الميلاديين) ، فهذه فترة التوسع

المنظمة للإسلام دينا ودولة من ناحية نشر العقيدة الإسلامية ، وتدعيم سلطان الممالك الإسلامية ولو على حساب بعضها البعض داخل الحبشة، فمثلا تحولت منطقة نهر جوبا للإسلام حوالي عام (١١٠٨م) ، وامتد نفوذ العرب حتى منطقة البحيرات العظمى[١٧] .

لذلك يمكن القول أن الرقعة الإسلامية داخل الحبشة ، قد امتدت امتدادا واسعا ، فأصبحت تحيط بالحبشة من الناحية الشرقية في أفريقيا الشرقية ، وتقابل اليمن في الجزيرة العربية ، لذلك وصفها المؤرخون بمنطقة " الطراز الإسلامي " لأنها على جانب البحر كالطراز له[١٨] . واشتهر في منطقة الطراز الإسلامي سبع ممالك هي : أوفات، دوارو، أرابيني، هديه، شرخا، بالي، وداره [١٩] . وارتبطت هذه الممالك الإسلامية بالعالم الإسلامي الخارجي، وتوطدت صلتها به عن طريق التجارة والحج وانتقال طلاب العلم والدراسة في المدينة المنورة ودمشق والقاهرة. وتعتبر سلطنة اوفات أقوى سلطنه إسلامية قامت في أثيوبيا بسبب تحكمها في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع ، وقد أسسها قوم من قريش من بني عبد الدار أو من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب. وسلطنة أوفات هي التي تزعمت حركة الجهاد ضد الحبشة المسيحية[٢٠] . على ذلك يمكن أن نقول أن الرقعة الإسلامية في الحبشة تفوق في مساحتها أراضي مملكة الحبشة المسيحية ، وقد أدى هذا إلى عزل مملكة الحبشة عزلا تاما عن العالم الخارجي ، ولاسيما بعد استيلاء العرب على ميناء عدل قرب مصوع (في ارتيريا حاليا) ، وهو مخرج أثيوبيا الوحيد إلى البحر الأحمر مما أدى إلى تدهور أحوال الحبشة [٢١] .

أما عن أهم العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام في أثيوبيا ، فالمعروف أن أثيوبيا تواجه جزيرة العرب ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ، والملاحة في

البحر الأحمر سهلة طول العام ، فلا تهب به زوابع وأعاصير إلا بضعة أيام في السنة ولا تستمر هذه الرياح طويلا. يضاف إلى ذلك ظروف الحياة القاسية في جزيرة العرب، فهي بلد صحراوي يعتمد أهلها على الرعي ونقل التجارة، بينما كانت الحياة على الساحل الغربي انعم وأهدأ لخصب الأرض وكثرة المطر واشتغال عدد كبير من السكان بالزراعة[٢٢] . وكانت أثيوبيا منذ القدم المهجر الطبيعي لسكان الجزيرة العربية ، أضف إلى هذه العوامل عامل آخر وهو كثرة الحروب في الجزيرة العربية التي كثيرا ما دفعت بالمغلوبين إلى حيث الأمان والحرية، كذلك كانت أثيوبيا أحد الأسواق الهامة التي يقصدها العرب لحمل التجارة منها وإليها ، فأزدحم البحر الأحمر بالسفن التي تنقل تجارة أثيوبيا إلى المراكز العربية التجارية، وكانت اليمن أهمها، ومنها تنقل التجارة عبر الجزيرة العربية إلى الشام والعراق وفارس والهند. وبفضل هجرة المسلمين إلى الحبشة زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، والعلاقات التجارية التي كانت قائمة ومستمرة بين أثيوبيا وبين جزيرة العرب، حمل المهاجرون والتجار الجدد إسلامهم معهم ، ومن ثم ابتدأ الإسلام يظهر في أثيوبيا ويتغلغل فيها بمقدار ما يتغلغل هؤلاء التجار، ويستقر فيها بمقدار ما يستقرون. ثم تقدمت الحضارة وازدهرت في الدولة الإسلامية تحت حكم الأمويين والعباسيين ، فنشطت الحركة التجارية، ونشطت المراكز التجارية وازدحمت بالعرب النازلين فيها والذين توغلوا في الداخل في طلب مواد التجارة ، فازداد عدد العرب المسلمين . وثمة عامل هام أدى إلى انتشار الإسلام في أثيوبيا ، وظهور الإمارات الإسلامية فيها، هو تلك الأحداث المتتالية في الدولة الإسلامية ، سواء أكانت أحداثاً سياسية أو اقتصادية دعت الناس إلى الهجرة. وأول تلك الأحداث التي تعرضت لها الدولة الإسلامية في بدء تكوينها هي حركة الردة . وكان اليمنيون والحضارمة أول هؤلاء المهاجرين إلى أثيوبيا نتيجة لحروب الردة التي أخضعت جزيرة العرب لسيادة قريش . وحمل هؤلاء إسلامهم معهم ولم يرتدوا عنه . وفي أيام الأمويين هاجرت جماعات عربيه

كبيره إلى ساحل شرقي أفريقية أهمها جماعة الزيدية - التي سيرد تفصيلها - الأمر الذي جعل الأمويين يستولون على جزر الدهلك لمراقبة الجماعات العربية التي قصدت أثيوبيا وغيرها فرارا من بطش بني أمية[٢٣] ولما تمكن العباسيون من طرد الأمويون ، هاجر الأخيرون إلى مناطق مختلفة ، فاستقرت جماعات منهم في بلاد النوبة ، وواصل بعضهم السير إلى أعالي النيل ، وذهب آخرون إلى مصوع، واستقر إخوان لهم في أثيوبيا والصومال[٢٤] . وكانت الفتن التي انتشرت خلال حكم العباسيين كالصراع بين الأمين والمأمون والنزاع بين الشيعة والعباسيين من جهة ، والعباسيين والخوارج من جهة أخرى ، فرصة لهجرة بعض القبائل العربية إلى أثيوبيا حيث الأمن والاستقرار بالإضافة إلى الخصب ووفرة الموارد . وقد نمت العلاقات بين مسلمى الحبشة والعواصم الإسلامية الكبرى في ذلك الوقت . وبدأ مسلمو الحبشة في إرسال أبنائهم إلى المدينة المنورة ودمشق والقاهرة وغيرها لإتمام تعليمهم في الجامع الأزهر أو الجامع الأموي . وقد ساعد انتشار الإسلام في أثيوبيا في بعض المناطق عوامل هامة منها انسحاب أثيوبيا ومعها المسيحيين عن بعض المناطق الساحلية الصحراوية الجافة الحارة ليحتلها المسلمون، ومن ثم نشأت فيها الإمارات الإسلامية واعتنقت شعوب تلك المنطقة الإسلام عن رضى وعقيدة واقتناع ، وقد رأت أن في الإسلام دين المساواة والحرية، بالإضافة إلى أنها رأت في الإسلام منقذا لها من الرق والوقوع في أيدي تجار الرقيق، وأصبحت تلك الشعوب بجانب العرب دعاة للدعوة الإسلامية وحملة لواء الثقافة الإسلامية[٢٥] .

أما ساحل شرق أفريقية ، المشهور بساحل الزنج ، فالراجح أنه عرف الإسلام في حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقد أشارت بعض الروايات أن جعفر بن أبي طالب حينما خرج مهاجرا أسس في طريقه مراكز للدعوة في ارتيريا والصومال ، بمساعدة القبائل العربية المستوطنة هناك. لذلك صار الصوماليون

من أكبر المتحمسين لنشر الدعوة الإسلامية ، بل أصبحت الصومال بلاد إسلامية خالصه منذ فجر الإسلام ، وبداية انتشاره[٢٦] ومنذ ذلك الحين ، ومع ازدياد قوة العرب المسلمين وتفوقهم البحري ، وسيطرتهم على الملاحة في المحيط الهندي ، توافدت على ساحل الزنج الأفريقي مجموعات ضخمة من دعاة المسلمين العرب ، فأنشأوا المراكز العربية للتجارة ونشر الدعوة التي أصبح من أهمها مقديشو وممبسه وبراوة ومركه ومالندى وكلوة وزنجبار ، وكانت الهجرات العربيه التي حدثت في زمن الفتنة الكبرى وفي أعقاب مقتل الخليفة الثالث عثمان ابن عفان وخلافة علي بن أبى طالب من أهم الهجرات العربية التي استقرت في ساحل أفريقية الشرقية ،والراجح أنهم من الخوارج الذين هزمهم علي بن أبى طالب في موقعة النهروان . وفي أيام دولة بني أميه هاجرت جماعات عربيه من سوريا والعراق والجزيرة العربية ،وأسسوا لهم دولة صغيرة بالقرب من لامو (في الصومال) ،وقد حدثت تلك الهجرة في خلافة عبد الملك بن مروان، وسبب تلك الهجرات ، هو الاضطرابات التي سادت في البلاد الإسلامية بسبب خروج عبد الله ابن الزبير وحركة الخوارج وحركة عبد الرحمن بن الأشعث الملقب بأسد الفرات . وقد أرسل عبد الملك بن مروان في أعقاب تلك الهجرات ، فرقا عربيه يقودها أخوه حمزه ، وقد نجحت تلك الفرقة في تأسيس مدن تطورت وأصبحت إمارات عربيه هامة مثل بيت ومالندي وممبسه وزنجبار ، وقامت بدور كبير في نشر الإسلام بين القبائل الافريقية التي كان من أهمها البانتو والزولو والبوشمن[٢٧] .

وفي زمن عبد الملك بن مروان (٦٥هـ - ٨٥هـ) (٦٨٥- ٧٠٥م) كذلك كانت هجرة سليمان وسعيد ، وهما شيخان عربيان من عمان من العبادية من قبيلة الأزد . وقد تحركت هذه الهجرة من ساحل البحر العربي في عمان عبر المحيط الهندي خلال الفترة من (٧٥ إلى ٩٥هـ / ٦٩٤- ٧٠٤م) بقيادة سليمان

وسعيد ابن عباد الجلندى من قبيلة الأزد ،وهما من شيوخ العرب الذين حكموا عمان في أيام الدولة الأموية ،وثاروا في وجه الخليفة عبد الملك . وقد وصل هؤلاء المهاجرون إلى أرخبيل لامو (على ساحل الصومال) الذي يتمتع بخصائص هامة منها خصوبة الأرض، وصلاحية مينائه العظيم للرسو والإقلاع ، بجانب الوفرة في منتجات تلك البلاد المتمثلة في العاج والذهب والصوف والجلد والتوابل والأخشاب بالإضافة إلي عنصر الرقيق الذي يساعدهم في أعباء في التجارة والملاحة [٢٨] .لذلك أصبحت منطقة أرخبيل لامو من أهم مناطق الدعوة الإسلامية على طول الساحل، ومن ثم إلى الداخل الأفريقي في كينيا ويوغنده وتنجانيقا[٢٩] .

ومن الهجرات العربية الهامة التي ساعدت على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في أرض الزنج الإسلامية في الساحل الأفريقي الشرقي ، هجرة العرب الزيدية التي حدثت في آواخر أيام الدولة الأموية في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان وهؤلاء الزيدية هم أتباع زيد بن علي زين العابدين الذي هزمته جيوش الأمويين زمن خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣) ، وانتهى الأمر بمقتله عام (١٢٢هـ) وفرار اتباعه إلى جهات كثيرة من أهمها ساحل افريقية الشرقي . فوصلت هذه الجماعة إلى مقديشو ، وحكموا في منطقة بنادر بعد أن كونوا لهم دولة عاشت في الساحل أكثر من مائتي سنه، فنشروا الإسلام وزرعوا الأراضي بعد أن استفادوا فائدة كبيره من مياه نهرى جوبا وشبيلي . إلا أن الظروف قد اضطرتهم للانسحاب من الساحل إلى الداخل بسبب مجئ هجرة عربيه أخرى ، هي هجرة الأخوة السبعة من ساحل الأحساء فرارا من أعمال القرامطة الوحشيه في الجزيرة العربية ، فجاء الأخوة السبعة إلى ساحل أفريقية الشرقي وهم شافعية المذهب ، فاصطدموا عام (٩١٣م) بجماعة الزيدية الشيعة الذين انهزموا وانسحبوا إلى الداخل الأفريقي ، حيث وجدوا جماعات أفريقية في داخل الصومال وكينيا ، هي جماعات قبائل الجالا التي رحبت بهم ، واعتنقت الإسلام على يديهم[٣٠] .

أما هجرة الأخوة السبعة الذين سبقت الإشارة إليهم ، قد حدثت في العصر العباسي الثاني ، وهي من الهجرات الهامة في ساحل أفريقية الشرقي ، وقد تحركت إلى هناك في بداية القرن العاشر في حوالي عام (٣٠١هـ ٩١٣م) من الأحساء عاصمة دولة القرامطة الذين نشروا الرعب في أنحاء الجزيرة العربية وسوريا والعراق . وقد تمكن الأخوة السبعة في فترة وجيزه من الاستيلاء على معظم الساحل وعلى الأخص ساحل بنادر الذي يسيطر على معظم بلاد الصومال المطلة على المحيط الهندى . وقد امتد نفوذ هذه الجماعة العربية إلى جنوبي ممبسه، كما وصلوا إلى جزيرة مدغشقر ، ولم تمضي فترة قصيرة حتى أصبح كل الساحل شافعيا على المذهب السني [٣١] . وتمكن الأخوة السبعة من تكوين دولة قويه عاصمتها مقديشو استمرت من عام (٩١٣- إلى عام ٩٧٥م) ، حيث جاءت جماعة إسلامية أخرى قضت على تلك الدولة ، والجماعة الجديدة ، هي جماعة فارسيه، كونت لها دولة استمرت منذ ذلك التاريخ حتى مجئ البرتغاليين لهذا الساحل في عام ١٤٩٧م[٣٢] .

ومن خلال هذا العرض السريع لموجات الهجرات العربية المتلاحقة في أثيوبيا أرض الزنج ، يمكن أن نقول أن الإسلام واللغة العربية ، قد ظفرا بنجاح كبير في هذه البلاد ، الأمر الذي أدى إلى تقدم تلك البلاد وتطورها بسبب انتشار الإسلام واللغة العربية. فقد أصبحت هذه البلاد عن طريقة الإسلام والعلوم الإسلامية العربية عظيمة الحضارة والتقدم ، لأن الإسلام شكل عادات السكان وطور أحوالهم . لأن المدن والمراكز والإمارات التي أمها أو أسسها المسلمون في شرقي أفريقية ظلت لقرون عديدة مراكز نشاط ومدنيه ، وقواعد لنشر الثقافة الإسلامية بين القبائل الأفريقية في الساحل وداخله . وتطورت هذه المدن والمراكز الإسلامية بفضل تجمع العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وفاس وغيرها .

وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة هذه المدن الإسلامية الزاهرة حدود الساحل أمثال: زيلع ومقديشو وبراوه ومركه ولامو وممبسه ومالندى وكلوه وسوفالا ، يضاف إلى ذلك جزر زنجبار وبمبا ومافيا ، التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية، وظلت الصبغة العربية هي البارزة والمميزة في هذا الساحل خلال فترة العصور الوسطى . فأسهم العرب في هذه البلاد بالآداب والعادات التي اتصفوا بها، وشاعت هذه الآداب بين بقية المجتمعات التي تعيش في هذا الساحل الأفريقي وفي داخله . ولقد بقيت الثقافة والحضارة الإسلامية ، بل ظلت تعيش وتنتشر حتى ذهاب نفوذ العرب السياسي عند مجيء البرتغاليين للساحل في القرن الخامس عشر الميلادي(٣٣) .

ولابد من القول أن أعلام المسلمين في أثيوبيا وبلاد ساحل الزنج، فكروا بالعقلية العربية الإسلامية ، وكتبوا باللغة العربية ، وهم في إنتاجهم ونشاطهم إنما يعبرون عن حضارة عربية وإسلامية ، ولا غرابة في ذلك وهم الذين نبتوا في ظل إدارة إسلامية ، وعاشوا في رعاية الدولة الإسلامية وكنفها .

فالدين الإسلامي عامل هام من عوامل الانسجام بين الشعوب التي تدين به . والدين الإسلامي فضلا عن أنه عقيدة ، فانه كذلك نظام اجتماعي كامل، ومجموعة من الأخلاق والقواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها . لقد كان ومازال المجتمع في ساحل شرقي أفريقية يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة في صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، ولكنها بعد إسلامها وبسببه أخذت تنصهر جميعها في بوتقة الحضارة الإسلامية . واختلطت الدماء والنظم اختلاطا رائعا ساعد عليه التزاوج بين العرب وأهل البلاد المحليين ، ومن هذا الاختلاط والدماء نشأ جيل جديد عرف في التاريخ باسم العنصر السواحيلي ، يتكلم اللغة السواحيلية ويدين بدين واحد هو الإسلام الذي وحد

بين هذه الشعوب المختلفة ، وكون منها – خلال العصور الوسطى – ما يصح أن يسمى أمة واحدة ، لها آداب واحدة ، وثقافة واحدة ، يفسر ذلك جهاد المسلمين المتصل على طول الساحل الممتد من سوفالا جنوبا حتى مقديشو شمالا عند سيطرة البرتغاليين الذين حاولوا ضرب الحركة الإسلامية في هذه المنطقة والقضاء عليها(٣٤) .

ومنذ أن تأسست المدن العربية في تلك المنطقة ، استمر تعلم اللغة العربية ، وقامت هذه المدن بجهود مضنيه في نشر الإسلام بين قبائل الدناقل والجالا والبانتو الوثنية . ووجدت اللغة العربية في تلك البلاد تربة خصبه ، بل ظلت كذلك حتى عصر الاستعمار البرتغالي . وعندما وصل فاسكو داجاما إلي الساحل الأفريقي الشرقي عام (١٤٩٧م)، وجد معظم أهل هذه البلاد يتكلم اللغة العربية، كما وجد القرآن الكريم شريعتهم . كما وجد البرتغاليون والأوروبيون من بعدهم عددا كبيرا من المدارس التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية في مقديشو وممبسه وكلوه وزيلع . كذلك وجد البرتغاليون ثم الإنجليز من بعد ذلك ، وجدوا جماعات من القبائل الأفريقية تتقن اللغة العربية ، وتعني بإنشاء المدارس الخاصة لتعليم القرآن الكريم ولغته . ورغم الجهود التي بذلها الأوروبيون للقضاء على اللغة العربية في تلك الجهات ، وتحويل أنظار الأفريقيين عن مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة وبغداد وغيرها من عواصم العالم الإسلامي الكبرى ، فانهم فشلوا فشلا ذريعا ، إذ كان المسلمون والمستعربون من الإفريقيين يعدون إلى إنشاء مدارسهم ومؤسساتهم الثقافية في المناطق الوثنية النائية كما في زنجبار وكينيا وتنزانيا . ولا يزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في بلاد شرقي أفريقية ، في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية ، وحتى في أسماء النباتات والمدن والحيوان والأعلام (٣٥) .

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في شرقي افريقية بعهود الإمارات الإفريقية الإسلامية ، فقد كانت اللغة العربية ، اللغة الرسمية السائدة ، واستخدمت في شتى الأغراض وأوفت بها ، لقد استخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء ، ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي. ووجد في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربيه خاصة لمخاطبة حكام تلك البلاد . لابد من تصدير المكاتبات بها. كذلك كانت اللغة العربية هي السائدة في تسجيل شواهد القبور ، وقد عثر على عدد كبير من المقابر في مقديشو ولامو وبراوة(٣٦) . ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في الساحل دون غيره قبل ظهور الاستعمار في الساحل. وأصبح الدين الإسلامي أساس التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية. (٣٧) .

وفي مجال التعليم والحركة العلمية ، وهو أخصب الميادين إنتاجاً في المكتبة العربية ، كان أساس التعليم العربي الإسلامي في تلك البلاد ، حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية . وأشهر مراكز الدراسات العربية الإسلامية زيلع ومقديشو ومركه وبراوة وممبسه وكلوة. ولقد ساعد الازدهار والرخاء التجاري على قيام نهضة علميه وثقافية شامخة . فقد كثرت الخلاوى وانتشرت على طول الساحل، وزادت حلقات الدرس التي كان يقوم فيها علماء نابهون في علوم اللغة العربية والفقه والتفسير حيث يفد إليها الطلاب من أنحاء متفرقة. هذا ولم تقتصر العلوم الدينية على الرجال ، وإنما امتدت لتشمل النساء أيضاً ، فقد نلن حظهن من القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغة العربية . وكانت حلقات الدراسة تعقد في المساجد ، وفي بيوت الفقهاء حيث يأتي الطلاب في حماس شديد (٣٨) .

ويتضح من هذا العرض السريع، أن دور العرب كان بارزا في كافة أوجه الحياة العامة في بلاد شرقي أفريقية فأصبحت هذه البلاد إسلامية خالصه، كما انتشرت اللغة العربية على نطاق واسع وامتد أثرها وتأثيرها حتى العصر الحديث ، فهي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكم والإدارة والقضاء، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من بلاد الصومال وارتيريا وتنزانيا وزنجبار مع وجود اللغات المحلية ، وظل الإسلام وهو الغالب تدين به معظم شعوب تلك البلاد ، وذلك بفضل الهجرات العربية المتلاحقة منذ ظهور الإسلام ، وخلال العصور الإسلامية المختلفة .

الهوامش

(١) للمزيد عن التفصيلات ، انظر جورج فاضلو حوراني . العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور الوسطى وأوائل العصور القديمة . (القاهرة ، ١٩٥٨ م) ص ٣١ ، ٣٤ – ٣٥ ،
R.Reusch . History of East Africa (New york 1961) PP.11 ff R.Coupland . East Africa and its Invaders. (oxford) (1938) PP. 15 – 18 .

(٢) أرض الزنج ممتدة من رأس جوردافوي شمالاً في جنوب باب المندب بقليل ، على مقربة من الصومال الشمالي التي عرفها المؤرخون والجغرافيون في العصور الوسطى باسم بلاد بونت Paunt ، وتمتد أرض الزنج هذه إلى بلاد سوفالا في موزنبيق أو روديسيا .... وبونت Paunt أو بنت Punt، مشتقة من أصل سامية تعني أرض الجنوب الأقصى ، ويعتقد أن سكان بونت كانوا ينتشرون حتى رأس حافون بالقرب من سوفالا في أقصى جنوب أفريقية (روديسيا حاليا) . وقد أشار المسعودي إلى هذه المنطقة ببلاد جفوني . أنظر ، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي . مروج الذهب ومعادن الجوهر . (القاهرة ، ١٣٨٤ هـ / ١٩١٤ م) جـ١ ، ص ١٠٧ ، حمدي السيد . الصومال (القاهرة ، ١٩٥٠ م) ص ٣٦ ، . Reusch, Ibid. PP.11 ff

(٣) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي. معجم البلدان(بيروت، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦ م) جـ٣ ، ص ٣٤٣ وما بعدها ، عبد المجيد عابدين . بين الحبشة والعرب . (القاهرة ، ١٩٤٧ م) ص ٢٤ ، أحمد فخري . دراسات في تاريخ الشرق القديم (القاهرة ، ١٩٦٣ م) ص ١٢٥ – ١٢٦ ، جواد علي . المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد ، ١٩٧٧ م) جـ١ ، ص ٤٤ – ٤٦ ، غيثان بن علي بن جريس . " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (العدد الثامن ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م) ص ٤١٢ وما بعدها .

(٤) حسن إبراهيم حسن . انتشار الإسلام في القارة الأفريقية . (القاهرة ، ١٩٦٣ م) ص ٢٦ – ٢٧ ، C.N. Stigand . The Land of Zing (london , 1913) PP . 29 See also , Coupland , op. Cit. , pp.18 ff & Reusch pp. 11 – 12 , 13 – 14 ; A. Alwi Haji Hassan . " The Arabian Commercial Background in Pre-Islamic time " Islamic Culture Vol. LXl – No – 2 (1987) PP.78 ff .

(٥) ورد في بعض المراجع العربية أن الحبش من نسل حبش بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح . أنظر معلومات أكثر في ، جلال الدين السيوطي . أزهار العروش في أخبار الحبوش، مخطوط ، ومصور عن نسخة بالاسكوريال، ميكروملم رقم (٣٧) تاريخ (دار الكتب في القاهرة) ، عبد الرحمن بن الجوزي ، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش . مخطوط ومصور عن نسخة بالاسكوريال ، ميكروفلم رقم (٢٩) تاريخ دار الكتب بالقاهرة ، الشاطر بوصيلي عبد الجليل . معالم تاريخ السودان ووادي النيل (القاهرة ، ١٩٥٧ م) ص ٧ ، الحفني القناني . الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان (مخطوط بدار الكتب بالقاهرة) ، عبد الحميد العبادي . " أحباش قريش هل كانوا عرباً أو حبشاً " مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (١٩٣٣) جـ٤ ، ص ١٠١ – ١٠٢ ، غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية . تقديم ومراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور

(الأسكندرية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) جـ١ ، ص ١١ وما بعدها .

Patricia Crone. Meccan Trade and the Rise of Islam(oxford, 1987) PP. 124 ff.

(٦) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٨١ ، الشاطر بوصيلي ، المرجع السابق ، ص ٧ وما بعدها ، يوسف فضل حسن . دراسات في تاريخ السودان (جامعة الخرطوم ، ١٩٧٥ م) جـ١ ، ص٣ وما بعدها ، السر أحمد العراقي . " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في أثيوبيا والصومال " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة الإسلامية . الخرطوم ٢٨/٣٠ يوليو / تموز (١٩٨٣ م) (بغداد ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ١٦٤ وما بعدها ، عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ١٦٧ – ١٦٩ ،

Sir E. A.W. Budge.
A History of Ethiopia & Abyssinia. Vol . I, PP . 120.

(٧) رسمت حدود الحبشة الحالية بمقتضى معاهدة أديس أبابا (١٩٠٢م) بينها وبين السودان ، وذلك من ناحية الشمال والشمال الغربي وحدودها الشمالية الشرقية أرتيريا والصومال بأقسامه ، ويحدها من الجنوب أفريقية الشرقية البريطانية .

See, Budge. op. Cit, PP. 122 f; J.S. Trimingham. Islam in Ethiopia (London, 1962) PP. 6 – 7 .

(٨) حمدي السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٦ ، جورج حوراني ، المرجع السابق ، ص ٣١ وما بعدها ، مصطفى محمد مسعد . الإسلام والنوبه في العصور الوسطى (القاهرة ، ١٩٦٠ م) ص ٥ وما بعدها ، السر أحمد العراقي " أرض الزنج الإسلامية في العصور الوسطى " مجلة كلية الآداب بجامعة أم درمان الإسلامية (العدد (٢) ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م) ص ١٥٩ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام "مجلة المؤرخ العربي (القاهرة ، ١٩٩٣ م) العدد الأول ، المجلد الأول ، ص ١٢٩ وما بعدها .

Stigand, op. Cit, 29 ff; Reusch, op. Cit, PP. 11 ff .

(٩) الشاطر بوصيلي ، المرجع السابق ، ص ٩ وما بعدها ، عبد المجيد عابدين ، المرجع السابق ، ص ١٦ – ١٧ ، مصطفى مسعد . المرجع السابق ، ص ١٦ وما بعدها . أنظر كذلك :

H.R. Hall. The Ancient History of the Near East (London , 1954) p . 246 ; Encyc . , of Islam , Art " Abyssinia". P. 99 .

(١٠) ذكرت هذه المراكز مرتبة من الشمال إلى الجنوب وآخرها سوفالا في أقصى الجنوب وتقع قرب مصب نهر ريفي جنوب نهر زمبيري . وللمزيد من التفصيلات أنظر ، يوسف فضل " انتشار الإسلام في السودان وادي النيل " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة الإسلامية (الخرطوم ٢٨/٢٠ يوليو / تموز ١٩٨٣ م) (بغداد ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٢٥ وما بعدها ، السر العراقي " الإسلام ومراكز الثقافة " ص ١٥٩ ،

Coupland, op. Cit, PP. 22 – 25 .

(١١) أنظر ، المسعودي المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥١ – ٥٢ ، السر العراقي " أرض الزنج الإسلامية ... " ص ١٥٨ وما بعدها ،

Stigand, op. Cit, P. 30 ff; Trimingham, op. Cit, PP. 51- 60.

(١٢) وللمزيد من التفصيلات، الحفني القنائي ، المصدر السابق، ص ٩ وما بعدها، المقريزي ، الإلمام من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (القاهرة ، د.ت) ص ٢٢ – ٢٣ ، عبد الشافي غنيم عبد القادر " البحر الأحمر طريقا للدعوة الإسلامية " البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة أبحاث الأسبوع العلمي ١٠ – ١٥ مارس ١٩٧٩ م (القاهرة ، ١٩٨٠ م) ص ٧٨ وما بعدها .

(١٣) أنظر محمد بن حبيب . كتاب المنمق في أخبار قريش ، تحقيق خورشيد أحمد فاروق ، (بيروت ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٥ م) ص ٣١ وما بعدها ، غيثان علي جريس " العرب في مقديشو ... " ص ١٢٨ وما بعدها
Reusch, Ibid, PP. 153 ff; J.S. Trimingham. Islam in East Africa (london, 1964) PP. 18 – 19; Enricu Ceruli. Encyc. Of Islam, Art. " Makadishu " Vol. III , P. 165.

(١٤) للمزيد من التفصيلات أنظر محمد بن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ، د.ت) جـ٣ ، ص ٥٩٨ وما بعدها ، عبد الرحمن بن عبد الحكيم . كتاب فتوح مصر وأخبارها (ليدن ، ١٩٢٠ م) ص ١٧٣ – ١٧٤ ، ١٨٨ أحمد البلاذري . فتوح البلدان . تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة ، د.ت) ٢٨٠ – ٢٨١ ، عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ بن خلدون (بيروت ، د.ت) جـ٢ ، ص ٨٤ – ٩٠ ، ١١٤ – ١١٥ ، المسعودي . المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٨٩ ، أبو العباس أحمد القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة الانشاء (القاهرة ، ١٩٠٦ م) جـ٥ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

(١٥) حمدي السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٥٠ – ٣٥١ ، عبد الفتاح زكي . الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية (القاهرة ، ١٩٦٥ م) جـ١ ، ص ٧٧ ، أنظر كذلك :
Trimingham, Islam in Ethiopia, PP. 50 – 51.

(١٦) القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٤ ، السر أحمد العراقي ، " الإسلام ومراكز الثقافة ... " ص ١٥٨ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص ١١ وما بعدها ، ٢٦٠ وما بعدها . Trimingham, Ibid, PP. 62 - 63 .

(١٧) Trimingham, Ibid, PP. 62 - 63

(١٨) القلقشندي ، المصدر السابق ، جـ٥ ، ص ٣٢٤ – ٣٢٥ ، عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ، ص ٧٧ وما بعدها .

(١٩) أنظر ابن فضل الله العمري . مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (القاهرة ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م) جـ١ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢٠) أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ابن بطوطة . تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (القاهرة ، ١٣٢٢ هـ) جـ٢ ، ص ٧٣ – ٧٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، جـ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها ، أنظر أيضاً :
Budge, op. Cit, pp. 273 –274 ; Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. 47 – 48 .

(٢٢) انظر :
Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. 33 – 43 ; Budge pp. 140, 190 - 191 .

(٢٣) المسعودي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٥١ – ٥٢ ، المقريزي ، الإلمام من بأرض الحبشة ص ٢٢ ، الحفني ، الجواهر الحسان ، ص ١٥ – ١٦ .
Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. 51 – 60 .

(٢٤) الحفني ، الجواهر الحسان ، ص ١٥ وما بعدها ، أنظر كذلك ، المقريزي ، الخطط (طبعة القاهرة ، د.ت) ص ١٩٤ – ١٩٥ ، المسعودي ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٨٩ ، القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .

(٢٥) وللمزيد من التفصيلات أنظر ، توماس آرنولد . الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين (القاهرة ، ١٩٤٧ م) ص ٢٨٧ ، عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ٧٧ وما بعدها ،
Encyc. of Islam. Art"Makadishu" PP. 165 – 166 .

(٢٦) أنظر ، راشد البراوي . الصومال الكبير حقيقة وهدف (القاهرة ، ١٩٦١ م) ص ١٠ ، ١٩ – ٢٠ ، توماس آرنولد ، المرجع السابق ، ص ٢٨٧ وما بعدها ، أنظر أيضاً ، سيد أمير علي . مختصر تاريخ العرب (القاهرة ، ١٩٦٧ م) ص ٢٦١ – ٢٦٦ ، غيثان بن علي بن جريس " العرب في مقديشو ... " ص ١٢٨ وما بعدها .

(٢٧) المصادر نفسها ، أنظر أيضاً Stigand, op. Cit, p. 30 ff

(٢٨) وللمزيد من التوضيحات أنظر ،

Marsh & Kingsnorth: An Introduction to the History of East Africa (London, 1966) PP. 7 – 8 ; M.L. Dames & Hakyut – The Book of Daurte Barbosa (Londn, 1918) Vol. 3 (1) PP. 6 – 10 .

(٢٩) أنظر تفصيلات أكثر أبو عثمان الجاحظ . التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب (بيروت ، ١٩٦٦ م) ص ٢٤ وما بعدها ، شمس الدين المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن ، ١٨٧٧ م) ، ص ٧٩ ، ٩٧ وما بعدها ، أنظر أيضاً ،

Reusch, Hist. of East Africa, PP. 153 ff.

(٣٠) قبائل الجالا من أكثر القبائل في الصومال في الوقت الحاضر ، أنظر . حمدي السيد ، المرجع السابق، ص ٣٥٠ ، كذلك أنظر :

Trimingham, Islam in East Africa, PP. 4 – 5 .

(٣١) سيد أمير علي ، المرجع السابق ، ص ٢٦١ – ٢٦٦ .

(٣٢) المقصود بتلك الدولة الإسلامية التي استمرت في الإزدهار حتى مجيء البرتغاليين للساحل عام (١٤٩٧ م) هي أمبراطورية الزنج الإسلامية التي تعرف في المصادر أيضاً باسم سلطنة كلوة الإسلامية التي أسسها الشيرازيون بزعامة علي بن حسن الشيرازي عام (٩٧٥ م) في كلوة (تنزانيا حالياً) .

(٣٣) Freeman & Grenville . The East African Coast (Clarendon – Press, 1962) PP. 36 – 37 .

(٣٤) حسن إبراهيم حسن . انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ص ٢٣٩ – ٢٤٠ ، صلاح العقاد . زنجبار (القاهرة ، ١٩٥٩ م) ص ٢١ – ٢٢ ، أنظر أيضاً :

Reusch, op. cit, PP. 219 – 220 .

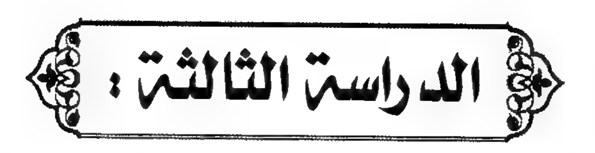
(٣٥) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٤٩ . كذلك أنظر :

Duffy James. Portuguese Africa (London, 1961), PP. 31 – 34 ; M.L.Dames. The Voyage of Pedro al-Vares Cabral To Brazil and India. (London, 1938) . PP. 78 ff; R. Sidney & P.D.J.P. Welch Portuguese Rule and Spanish Crown in South Africa 1581 – 1641 . (Cape Town and Johannsdurge, 1950) PP. 1681 ff.

(٣٦) حمدي السيد ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ – ٣٢٧ .

(٣٧) حسن إبراهيم حسن . المرجع السابق ، ص ٢٣٩ ، حمدي السيد ، المرجع نفسه ، ٣٤٦ .

(٣٨) شهاب الدين عرب فقيه . فتوح الحبشة (تحفة الزمان) ، مخطوط نشرة مع مقدمة بالفرنسية (رينيه باسية ، حققه فهيم محمد شلتوت (القاهرة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) ص ٧٥ وما بعدها ، حمدي السيد، المرجع السابق ، ص ٣٢٦ إلى ٣٥٣ . انظر كذلك ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (القاهرة ١٣٥٣ هـ) جـ١ ، ص ٢٣٢ ، أنظر أيضاً ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي . المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق أحمد نجاتي (القاهرة ، ١٩٥٦ م) جـ١ ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ، شهاب الدين بن فضل العمري ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ – ١٨٥ ، المقريزي ، الإلمام ، ص ٩ ، محمد بن علي الشوكاني . البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (القاهرة ، ١٣٨٤ هـ) جـ٢ ، ص ٤٠٢ ، عبد القادر شيخ عبد الله . تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو ، ١٩٧٨ م) ص ٢١ – ٢٢ .



الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

(❖) دراسة قدمت في هيئة محاضرة بقسم التاريخ في كلية الآداب جامعة الأسكندرية ثم نشرت في مجلة الكلية نفسها المجلد (٤٥) العام الجامعي ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧/٩٦ م ص ١٣١ – ١٦١ .

الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمال وغرب أفريقيا في العصور الإسلامية الوسيطة

الثابت أن أعظم الثقافات وأقواها تأثيراً في حضارة شمالي وغربي أفريقية هي التي تعود إلى عصر الإسلام ، حتى إن العالم الأوروبي ، ظل لبضعة قرون ، يعتقد أن بلاد السودان عامة والصحراء في شمالها ليست سوى جزء من العالم الإسلامي[١] . لقد حدث أن اعتنق معظم سكان الحزام السوداني الإسلام بحماس[٢] ، وعن طريق الإسلام دخل قدر كبير من مظاهر الحضارة الإسلامية البلاد ، وبرز في رحاب الإسلام ، بتلك البلاد ، عدد كبير من العلماء الأفريقيين السود الذين كتبوا باللغة العربية في شتى فنون المعرفة ، ومن بينها التاريخ الوطني لبلادهم[٣] . ثم بالإسلام ظهرت الدول الإسلامية في أفريقية ، التي ناضلت ضد الاستعمار الأوروبي . إذن لم يخطئ المؤرخون حين قالوا :- إن بالإسلام يبدأ العصر التاريخي لأفريقية السوداء. والمقصود بالعصر التاريخي هنا ، ازدهار الحضارة الأفريقية الوطنية الإسلامية ، والحق أن العصر الذهبي في تاريخ البلاد الإسلامية الأفريقية ، أو تاريخ السودان الأوسط والغربي، بمعنى آخر ، هو العصر الوسيط . ففي ذلك العصر ، برزت الخصائص المميزة للحياة الإنسانية في تلك البلاد ، وقامت حكومات ونظم إدارية متقدمة ، ويمثل الإسلام القوة الدافعة المحركة ، التي خطت بالحياة في أفريقية الإسلامية تلك الخطوات الحضارية القوية[٤] .

ففي الحقبة التي تمتد من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، إلى حوالي منتصف القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، حفلت بلاد غرب أفريقية بالآلاف من العلماء والرحالة والتجار المسلمين من شتى أصقاع

العالم الإسلامي ، من المشرق ، ووادي النيل بصفة عامة ، كما سافر عدد كبير من مسلمي غربي أفريقية لأداء فريضة الحج وطلب العلم في الأزهر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ، وشمال أفريقية ، ونهضت تلك البلاد التي أمها المسلمون الأفريقيون لشتى الأغراض ، بما ينبغي عليها من الوفاء ،الذي سجله التاريخ ، من تيسير الرحلة وحسن الاستقبال وتذليل سبل العلم ، بجانب تبادل المنافع التجارية ، بل اختلطت دماء أهل البلاد بغيرهم من المسلمين ، مما زاد الرابطة ووثق العلاقة. وأدى هذا كله إلى تجاوز شهرة المدن الأفريقية الزاهرة ، حدود القارة ،أمثال : كومبي صالح في غانه ، ومالي ، وجني ، وتنبكت (تمبكتو) ،وولاته ، وتكده ونقاره ،وكنو ، وكاتسينا ، وصكت وغيرها(٥) .

لقد تطلعت بلاد السودان الأوسط والغربي إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنيّة ، ولم تحُلْ وعورة الصحراء دون اجتيازها ، فطرق القوافل – التي تعد بالعشرات – تخترقها منذ أقدم العصور . ويمكن التماس ثلاثة منابع رئيسة للتأثير الإسلامي في أفريقية السوداء عامة ، وهي:-

١- من شمال أفريقية عبر الصحراء إلى حوض النيجر الأوسط والأعلى .
٢- المنبع المصري عن طريق النوبة وطرق القوافل الشرقية إلى برنو فبلاد الهوسا.
٣- من بلاد العرب عبر البحر الأحمر إلى الحبشة ثم بلاد اليوروبا والأشانتي .

وعن هذه المنابع الثلاثة ، وصلت الثقافة العربية والإسلامية إلى العناصر السوداء ، وساعد على ذلك وقوع مصر والسودان في طريق الحج ، واهتمام أولي الأمر فيها بتيسير أمور السفر إلى الأراضي المقدسة منذ فجر الإسلام ، بل إن شمال أفريقيا ووادي النيل عامة ، كانا من أهم المراكز والمنابع التي زحفت منها

الدعوة الإسلامية ، وكانت مصر ، ثم المغرب ، أسبق الأقطار إلى اعتناق الإسلام ، ثم زحف الإسلام جنوباً مخترقاً الصحراء إلى بلاد النوبة وبلاد غربي أفريقية(٦) .

وقد أنتشر الإسلام مبكرا في بلاد غرب أفريقية ، ومن الأدلة التاريخية على ذلك ، ماذكره البكري ، من أنه حوالي عام (٦٠هـ/٦٧٩م) ، كان يوجد بالحي الإسلامي بمدينة غانه أو كومبي صالح ، عاصمة إمبراطورية غانه ، اثناعشر مسجدا ، وقد زار البكري غانه عام (٤٥٩هـ/١٠٦٦م) ، وذلك قبل سقوطها بقليل، وأدرك فيها هذا العدد من المساجد ، بجانب عدد من المدارس القرآنية والإسلامية بالقسم الإسلامي(٧) . وأورد البكري ، كذلك ، أن بني أمية أرسلوا جيشا في صدر الإسلام لفتح بلاد السودان، وأن ذرية هذا الجيش استقرت في بلاد غانة ، وأن حملة إسلامية كانت موجهة لمطاردة البربر ، وصلت في حركتها إلى بلاد السنغال حوالي عام (١٠٢هـ/٧٢٠م) وعادت بكميات كبيرة من الذهب(٨) . وعن القلقشندي أن أهل غانه أسلموا أول الفتح(٩) وقد أسلم أحد ملوك غانه في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) وهو تلوتان بن تكلان ، ويقال إنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين(١٠) ويقال - كذلك - إن أربعة من جيش عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) (٧١٧-٧٢٠م) هاجروا إلى كانم ، وأن بعض بني أميه توجهوا إلى كانم عند محنتهم مع بني العباس(١١) . ولاشك أن لهذه التحركات الإسلامية تأثيراً جزئياً في التعريف بالإسلام في تلك البلاد منذ زمن مبكر ، وهي خلاصة لأدلة تاريخية على قدم الإسلام في غرب أفريقية، توضح أن العلاقات بين هذه البلاد وشمال أفريقيا بل وآسيا وأوروبا ترجع إلى زمن سحيق، وهي علاقات كما بدأت تجارية تبودلت فيها منتجات وسط أفريقية وغربها بالسلع الخارجية عن طريق القوافل ، ثم نشطت حركة التبادل التجاري والمواصلات بعد دخول الجمل أفريقية حوالي القرن الأول قبل الميلاد ، كما أن

الفتوح الإسلامية لمصر وشمال أفريقية ، قد أدت إلى دفع المسلمين حتى الأندلس وفرنسا[١٢].

لذلك يمكن القول ، إن أفريقية ، وعلى الأخص غربُها ووسُطها ، لم تنعزل تجارياً وحضارياً عن شمالها ، وعن أوروبا وآسيا في أي فترة من فترات التاريخ ؛ وكان لهذا الاتصال المستمر أثره البشري في حياة الزنوج في تلك البلاد ، فضلاً عن الآثار الاقتصادية والحضارية والثقافية ، ومن بينها عقيدة الإسلام بدرجة ما ، وهناك الأثر الجنسي الذي أدى إلى ضغط العناصر البيضاء من البربر والعرب على تلك البلاد منذ أزمنة موغلة في القدم ، واختلاطهم بأهلها ، وقد أدى هذا إلى امتزاج دمائهم بالدماء الزنجية حتى تغيرت ألوان أهل غرب أفريقية ، مما يصعب معه وصفهم بالزنوج . ومن أجل هذا الاندماج ، جاء وصف المؤرخين والجغرافيين العرب لبلاد السودان دقيقاً ، فيقول الإصطخرى مثلاً عن السودان:"إنهم ليسو بنوبة ولا بِزَنْج ولا من البَجَّة ، إلا أنهم جنس أشد سواداً من الجميع وأصفى"[١٣] .

بعبارة أخرى : لقد وجد الإسلام طريقه من شمال أفريقيا إلى بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، لا عن طريق الفتح الحربي والضغط والقهر ، ولكن عن طريق التجارة والمصاهرة والاندماج والكُتُب والمدارس والمساجد ، لأنه يصعب إخضاع وقيادة القبائل الكبيرة القوية عن طريق الحرب ، بدليل أن الإسلام ، في تلك البلاد ، ظفر بأقوى القبائل وأشجعها وأكثرها عدداً وليس بالمستضعفة منها ، ثم نما وترعرع في المدن الكبرى التي أقامها المسلمون و استقروا فيها ، فنمت وكبرت واشتهرت وأدى ذلك إلى قيام الدول التاريخية الإسلامية الأفريقية الكبرى خلال فترة العصور الوسطى (القرن الثاني إلى العاشر للهجرة / الثامن إلى السادس عشر للميلاد) ،

وهي ممالك إسلامية سادت ردحاً من الزمن وأسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي إلى تلك المناطق ، كما ساعدت على نشر التراث الإسلامي . هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته تلك الممالك في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً ، فاستمر دفع الحضارة الإسلامية في أفريقيا في الانتشار والازدهار حتى بلغ مداه وانتشاره في القرن الرابع عشر للهجرة (القرن التاسع عشر الميلادي) (١٤).

لقد كان للنشاط التجاري العربي والإسلامي عبر الطريق الصحراوي الغربي منذ القرن الأول الهجري وحتى نهاية القرن الخامس منه ، الأثر الكبير في تلك النقلة الحضارية الهائلة التي حظيت بها بلاد غرب أفريقية خلال فترة العصور الوسطى ؛ لأن التجار العرب قد تمكنوا مع بداية الفتوحات الإسلامية من التوغل في مدن بلاد المغرب المختلفة ، ومن ثم في المراكز التجارية السودانية(١٥). ومن الجدير بالذكر أن التجار البربر كانوا قد سبقوا العرب في نشاطاتهم التجارية مع بلاد السودان الغربي ، كما استقروا مع العرب في ممارسة أعمالهم التجارية بتلك المناطق . وفي خلال هذا التقدم كانت الصحراء هي الطريق الرئيسة لعملية التوغل العربي التجاري إلى الجنوب، ويبدو أن هذا التوغل هو الذي هيأ المجال للعرب ليس فقط لممارسة تجارة الصحراء، بل للالتقاء ولاختلاط مع بربر الصحراء والتأثير عليهم ، وحدث الأمر نفسه بالنسبة للأفريقيين في بلاد السودان الأوسط والغربي . لذلك لعبت تجارة القوافل دوراً بارزاً في التفاعل الحضاري بين مراكز الحضارات القديمة، مثلما عملت على توسيع الاتصالات بين شمال القارة ووسطها وغربها . كما عملت هذه التجارة على تنشيط حركة المواصلات والتبادل التجاري، فازدادت المعرفة بثروات تلك البلاد ، وازدادت النقلة من وإلى بلاد السودان الغربي والأوسط على أثر دخول الجمل أفريقية - كما سبق القول - وقلت الأخطار والمخاوف التي تكتنف السفر داخل الصحراء ولوحظ هذا الازدياد

وهذا النشاط منذ القرن الرابع الميلادي تقريباً [١٦] . وكان سكان شمال أفريقية من فينيقيين ويهود وإغريق ورومان وبربر وعرب يشجعون تجارهم على تنمية علاقاتهم التجارية وغيرها مع غرب أفريقية ، وعقد هؤلاء التجار معاهدات تجارية مع مواطني غرب أفريقيا في العصور الوسطى[١٧] .

وبزيادة الاتصالات وسهولتها ، كثرت هجرات عربية من الشرق وشمال أفريقية إلى بلاد السودان جنوبي الصحراء ولاسيما بعد ظهور الإسلام . فبعد الفتح العربي الإسلامي لمصر عام (٢٠هـ - ٦٤١م)، وما تلاه من فتح شمال أفريقية ، وصلت حملات إسلامية إلى منطقة كاوار (Kawar) قرب بحيرة تشاد حوالي عام (٤٦هـ - ٦٦٦م) ، وإلى السنغال عام (١٠٢هـ - ٧٢٠م)، وأدت إلى استقرار أعدادٍ كبيرة منهم في بلاد السودان على حافة الصحراء ، وإلى اختلاط هؤلاء بالسكان الأصليين ، مما كان له أكبر الأثر في تغيير ألوان الزنوج – عبر القرون – في تلك المناطق ، حتى كان استخدام كلمة "أسود" للدلالة على سكان مناطق السافانا جنوبي الصحراء أدقَّ من كلمة زنجي[١٨] . ولكثرة الآثار الشرقية والإسلامية وتنوعها في العصر الإسلامي ، ظل العالم الأوروبي لبضعة قرون ، يعتقد أن بلاد السودان والصحراءَ في شماليها ، ليست سوى جزء من البلاد الداخلة في نطاق العالم الإسلامي[١٩] .

تمكن المسلمون في شمال أفريقية – بعد ذلك – أن يحتكروا تجارة القوافل عبر الصحراء ، بل وتمكنوا من أن يتصلوا بقلب أفريقيا اتصالاً مباشراً . ولأسباب دينية وتجارية أصر المسلمون في شمال أفريقية على احتكارهم المطلق للقيام بدور الوسيط مع الأقاليم الداخلية في أفريقية عبر الصحراء . ولذلك اقتصر نشاط التجار المسيحيين على المناطق الساحلية من بلاد شمال أفريقية[٢٠] . لهذا كله يمكن القول :- إن هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان

العرب يطلقون عليها اسم المغرب ، وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء ، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي ، وازداد بعد ذلك بدخول الإسلام في القارة الأفريقية .

ومن المعروف أن هناك ثلاثة طرق رئيسة صحراوية تربط بلاد المغرب في الشمال ببلاد السودان في الجنوب عبر الصحراء ، وهي :-

١- الطريق الشرقي : الذي يربط المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) بالسودان الغربي (كوار وكانم) عبر صحراء فزن .
٢- الطريق الأوسط : يربط المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) بالسودان الأوسط (كوكو) عبر الصحراء الوسطى .
٣- الطريق الغربي : يربط المغرب الأقصى (المملكة المغربية حاليا) بالسودان الغربي (غانة والتكرور ومناجم الذهب) عبر الصحراء الغربية [٢١] .

لقد كانت هذه الطرق تبدأ من مصر وطرابلس وتونس وتلمسان ومراكش متجهةً إلى الجنوب ، فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل إلى المراكز الرئيسة في غربي أفريقية ، مثل غانه القديمة ، وإلى تنبكت (تمبكتو) وولايات الهوسا وكانم - برنو . وقد تتصل بعض هذه الطرق في الصحراء ثم تتفرع إلى جهات مختلفة . فمثلاً القافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولاً صوب المغرب إلى أوجله ومرزوق ، وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب إلى كانم - برنو بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر جنوباً إلى أن تصل إلى غاط (Gatt) حيث تلتقي بقافلة أخرى من تونس ، ثم تتجه صوب الجنوب إلى ولايات الهوسا عن طريق أهير (Ahir) . ووصف لنا المؤرخ فاجى (Fage) تلك الصلة التجارية التي كانت قائمة بين المغرب وغرب أفريقية فيما بين القرن الخامس والقرن الثامن عشر الميلادي ، حيث ذكر عدة طرق تجاريةً

في تلك الفترة[٢٢] . ويذكر المؤرخ بوفيل (Bovil) أربعة طرق رئيسةً كانت تربط بين الشمال والجنوب وهي[٢٣] :.

١- من سجلماسة إلى ولاته ، ثم تتجه إلى بلاد السنغال وأعالي نهر النيجر حيث الذهب.
٢- ومن غدامس إلى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غاط وأهير.
٣- من طرابلس إلى البرنو ونهر تشاد ماراً بفزان وكوار .
٤- ومن قونية (Cyrenaica) إلى وداى عن طريق كفرة.

وقد أصبحت كل هذه المراكز تجارية وثقافية مشهورة، وكان فيها أسواق مشهورة يؤمها كثير من التجار من شتى البلاد المغربية. وقد قام كل منها بنشاط في نشر الإسلام والثقافة العربية في مختلف الأزمان . وكان أولئك التجار يجلبون معهم إلى غربي أفريقية تلك البضائع المطلوبة كالحرير والسروج والنحاس والملح وأدوات شتى من منسوجات ، فيبيعونها ، ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد[٢٤] .

لقد كانت هذه العلاقة التجارية بين العرب وغربي أفريقيا التي بدأت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) هي بداية انتشار الإسلام واللغة العربية في أفريقيا بصفة عامة . ولقد استمرت هذه العلاقة بطريقة سِلْمِيّة طبيعيةٍ منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في القارة الأفريقية . فالتجارة ، بطبيعة الحال ، تلزم إيجادَ لغةٍ للتخاطب بين البائع والمشتري ، كما تُولِّدُ الصلةَ الحميمة بينهما . وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية ، فمن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم ، فَوضَعَتْ هذه العلاقةُ التجاريةُ الحجرَ الأساسَ للعربية في افريقية ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلماتٍ

وتعابير في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في تلك الربوع الأفريقية ، واندمج بعضها في اللغات المحلية وخاصة بعد انتشار الإسلام ، ومما يؤكد هذا ، وجودُ كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الأفريقية مثل لغتي الهوسا والفلاني[٢٥]، وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تُصَدَّرُ إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام . ثم بالإسلام ظهرت الممالك الإسلامية الكبرى مثل غانا ومالي وصنغي وكانم ، وهي ممالك أفريقية . والراجح أن يكون الإسلام قد دخل غانا عن طريق السلْم ، وانتشر بالطريقة نفِسها ، فيكونُ التجار والدعاة الذين دخلوها أفراداً ووفوداً هم الذين قاموا بنشره ثم اتسعت رقعته كثيراً بعد حركة المرابطين ، وتوغل في غرب أفريقية ووسطها . ومما يذكر أن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة . وبفضل هذه الحركة نشطت الاتصالات التجارية والثقافية بين بلاد السودان وبين العالم الإسلامي[٢٦] . ولقد كان للثقافة الإسلامية العربية أثر واضح في حكومة غانا القديمة قبل دخول المرابطين . فالمسلمون هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فلذلك كانوا هم الذين يتولون ادارة الدواوين ، ومنهم الوزراء الذين كانوا يساعدون الملوك الوثنيين. وقد ذكر البكري ((أن تراجمة الملك من المسلمين ، وكذلك صاحبُ بيت ماله، وأكثُر وزرائه)) [٢٧] . ثم أخذت مملكة مالي دور غانا بعد اختفائها من المسرح التاريخي السياسي[٢٨] ، فواصلت عمليةَ نشر الإسلام والثقافةِ العربية الإسلامية، التي بَلَغَتْ أوجها بين القرنين الثالث والرابع للهجرة(التاسع والعاشر للميلاد) وأصبحت من كبرى الدول الإسلامية التي قامت في غربي أفريقية في تلك العصور. وكان أهلها متمسكين بالإسلام ومتحمسين له وخاصة قبيلة الماندنجو. وقد أعطى ابن بطوطة صورة واضحة لهذه المملكة عند زيارته لعاصمتها مالي في سنة (٧٥٣هـ /١٣٥٢م)، وقد أعجب بشدة عنايتهم بحفظ القرآن الكريم حيث

قال : ((وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصيُر في حفظه فلا تُفَكّ عنهم حتى يحفظوه ، ولقد دخلتُ على القاضي يوم العيد وأولادُه مقيدون ، فقلت له : ألاَ تُسَرِّحُهم؟ فقال : لا أفعل حتى يحفظوا القرآن)). وقال أيضاً : "مررت يوماً بشاب من أهل مالي حسن الصورة ، عليه ثياب فاخرة ، وفي رجله قيد ثقيل ، فقلت لمن كان معي :- ما فعل هذا ؟ أَقَتَلَ؟ ففهم عني الشاب وضحك ، وقيل لي :- إنما قُيِّدَ حتى يحفظ القرآن"(٢٩).

هذا ، ويتضح مما سبق أن الإسلام قد دخل غربي أفريقيا ووسطها أولاً بطريقة سلمية ، وهي طريقة التجارة والدعوة . وبما أن دولة غانه كانت أقدم دولة أفريقية في تلك المنطقة ، فمن الطبيعي أن يدخل الإسلام ثم ينتشر منها إلى البلاد المجاورة . وبعد سيطرة المرابطين على دولة غانا ، وسيطرة المسلمين التامة على طرق القوافل التجارية منذ مطلع القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، أخذ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة عن طريق الفتح والتجارة والدعوة . وبهذا اتسع نطاق الإسلام إلى البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى . وفي ظل هذا الازدهار وتلك الحماية التي وجدتها تجارة القوافل ، تسربت الثقافة العربية الإسلامية إلى بلاد جديدة لم تطأها أقدام المسلمين ، فوصلوا أراضي دندي ، ويوري ، ونوبى ، ثم توغلوا جنوباً حتى بلاد الأشانتي وداهومى(٣٠) .

تلا انتشار الإسلام ، أن انتشرت اللغة العربية ، وقد ساعد على انتشارها والتمسك بها فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الأفريقية في السودان الأوسط والغربي قد ادعت الأصول الشرقية . لقد ادّعى ملوك مالي والتكرور وصنغي وبرنو والهوسا والفلانيين وغيرهم ، أنهم انحدروا أصلاً من العرب وأن أسلافهم الأوائل جاءوا من الشرق ، ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقيا الإسلامية هجرة القبائل إلى تلك

البلاد واستقرارها فيها، وهذه الهجرات قديمة وسابقة على دخول الإسلام، وازدادت بانتشار الإسلام في القارة الأفريقية. ثم إن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل شوا (في تشاد) والفلاني والماندنجو[٣١]. وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشمال والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية، ولم تحُلْ وعورة الصحراء دون اجتيازها[٣٢].

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في غربي أفريقية بعهود الممالك الإسلامية الأفريقية الكبرى في غانا ومالي وصنغي ثم برنو، وممالك الهوسا والتكاررة والفلانيين. فقد كانت اللغة العربية الرسمية السائدة فيها واستُخْدِمتْ في شتى الأغراض وأَوْفَتْ بها. لقد استخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء، ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي الخارجي. ووجد في الدواوين الرسمية زمنَ دولة المماليك صيغ عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد، لابد من تصدير المكاتبات بها[٣٣].

لذلك يتضح من هذا العرض السريع، أن اللغة العربية كانت اللغة الأم في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية، واستمرت كذلك حتى قيام الخلافة الصكتيه التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في بداية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) في شمال نيجيريا وعاشت حتى مطلع القرن العشرين. فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكومة، كما أصبحت لغة تخاطبٍ في كثير من بلاد نجرتيا،[٣٤] مع وجود اللغات المحلية كلغة الهوسا والفلاني والبرنو وغيرها، ثم هي من بعد، لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات. وبمعنى آخر:- كانت

اللغة العربية هي اللغة السائدة (Lingua Franca) وقد تفانى ملوك تلك البلاد في نشر الإسلام واللغة العربية بين الزنوج . وذكر ابن حوقل أن ملك أودغست (تيبو تان) كان شديد الحماس لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب[٣٥] . وكانت اللغة العربية في غانه وولاته ونيمه (Nima) هي لغةَ العبادة والثقافة الوحيدةَ في البلاد، وهذا بجانب كونها لغة التجارةِ المستعملةَ في التبادل التجاري والمكاتبات ، واحتلت هذه اللغة في غانه وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها ؛ إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة الدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في تلك العصور ، أكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلمام سكان غربي أفريقية باللغة العربية ، يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينية في العصر الوسيط[٣٦].

وكما سبق . فإن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل الأفريقية لبث العقيدة الصحيحة . وأقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر الذين استقروا في غانه وغيرها من بلاد السودان ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية ، بدليل استعانة ملوك غانه بهم في أَجَلِّ أعمالهم .

وبالإضافة إلى الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام في غانه، فهناك عامل آخر ساعد على نشره في الممالك المجاورة لها ، وذلك هو الهجرة التي

قام بها التجار المسلمون من غانة إلى المدن الأخرى ، وخاصة إِثْـرَ غزوِ قبائلِ الصوصو الوثنيةِ لغانا والاستيلاءِ عليها[٣٧] ،فانتشروا في البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير في نشر الدين والثقافة العربية في أفريقية .

وتعد مرحلة انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية على أيدي ملوك مالي أيضاً من المراحل الهامة في تاريخ تطور وانتشار اللغة العربية على نطاق واسع في بلاد السودان الأوسط والغربي . ففي هذه المرحلة ازدهرت الحركة العلمية ، وعُرِف عن السلطان كنكن موسى أنه استقدم عدداً كبيراً من العلماء ولاسيما من الحجاز ومصر والمغرب والأندلس[٣٨] ، فامتلأت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء . وكان ازدهار حركة التبادل التجاري بين مالي والخوارج ، من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مالي[٣٩] . ومن المدن التي اشتُهِرَت بكثرة علمائها : تنبكت (تمبكتو) ومالي وجنى وجاو[٤٠] ، حتى إنه عندما تدهورت دولة مالي سياسياً بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في قلب أفريقية . وأهم مركز ثقافي في تنبكت (تمبكتو) : مسجد سنكري أو جامعة سنكري ، ففيها كان العلماء من كل فنون العلوم الإسلامية ، وأكثر العلماء من البيض من قبيلة جدالة بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه أحمد بابا الذي نقل عنه السعدي الكثير مما أورده في كتابه " تاريخ السودان "[٤١] .

وقد وُجِدت المدارس الكثيرة في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد ، مثل مدارس غانة ومالي . ويقول ابن بطوطة عن أهل مدينة مالي : إنهم قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلبُ علمٍ[٤٢] . وبجانب الاهتمام بالقرآن ، كما ذكر ابن بطوطة ، هناك الاهتمام بلغة القرآن ، وهي اللغة العربية التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي غربي أفريقية عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة

تكتب باللغة العربية . ويقول توماس أرنولد " غدت اللغة العربية لغة تخاطبٍ بين قبائل نصف القارة "(٤٣) . ويقول ديشان (Deschan) : " ولم تكتف قبائل الممالك الأفريقية بدخول الإسلام ، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد (٤٤) .

وهناك خصائص معينة في نطق الحروف العربية بين مسلمي غربي أفريقية . وأما طريقة الكتابة ، فهي طريقة المغاربة ، ومما يوضح أثر شمالي أفريقية في ذلك، قول القلقشندى " وكتاباتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة وقد ورد إلى السلطان الناصر كتاب موسى (سلطان مالي) بالخط المغربي"(٤٥) .

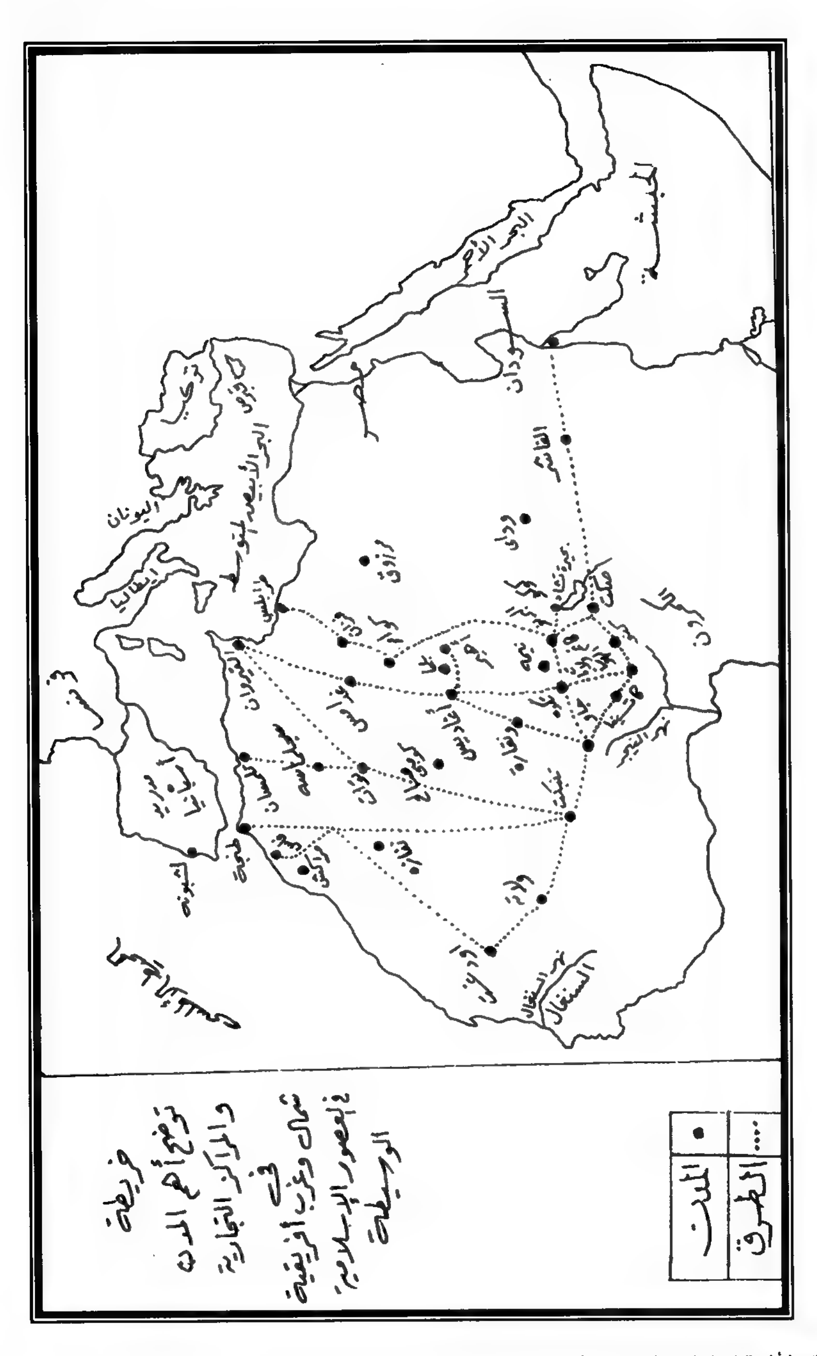
ساعد ازدهار إمبراطورية مالي الإسلامية واتساعُ رقعتها وعظمة ملوك المسلمين وتفانيهم من أجل خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية ، ولاسيما لغاتُ الهوسا وصنغي والفلاني ، فاستخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة الفلانيه ولاتزال إلى اليوم .

كذلك يضم إلى هذا الدور ما قامت بة مملكة كانم_ برنو من جهود كبيرة لنشر الإسلام ولغته العربية ، تلك المملكة ، التي تأسست قبل القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ثم دخل إليها الإسلام عن طريق التجار أولاً ثم انتشر تدريجياً ، كما دخلت اللغة العربية وانتشرت ، ولقد ساعد في انتشارها وجود عدد كبير من العرب فيها ، ووجود صلة تجارية وثقافية وسياسية مع البلاد العربية الإسلامية . والمشهور أن الإسلام وصل إلى كانم من مصر مباشرة (٤٦) . ومن أشهر دعاة الإسلام في كانم محمد بن ماني في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) . واشتهر حكامُ برنو بحماستهم للدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية ، حتى إن الماي عثمان بن زينب (ت٧٠٠هـ /١٣٠٠م) ادّعى أنه من نسل عثمان بن عفان (٤٧).

كان العامل التجاري من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول بحيرة تشاد وماجاورها ، وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من طرابلس وتتجه إلى الجنوب عن طريق فزان وبلما إلى أن تصل إلى كانم ، وهذا مما سهل وصول التجار المسلمين إليها ، وبالتالي دخولُ الإسلام . فلاشك أن التجار هم الذين أدخلوا الإسلام إلى تلك المنطقة . وقد ذكر محمد بلو ابن الشيخ عثمان بن فودي في كتابه إنفاق الميسور: أن الإسلام دخل كانم عن طريق التجار والمسافرين . وأضاف محمد بلو أن أهل هذه البلاد يهتمون بقراءة القرآن وتجويده وحفظه ، والكتابة باللغة العربية منذ وقت بعيد(٤٨) .

وفي خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، شهدت مملكة برنو عصراً مزدهراً بالفتوحات والتقدم السياسي والثقافي ، ذلك هو عصر الملك إدريس ألوما (٩٧٩- ١٠١٢هـ /١٥٧١- ١٦٠٣م) ،وهو الملك العادل الشجاع التقي ، حسب مايصفه لنا مؤرخه أحمد بن فرطوا(Fartuwa) فقد قام هذا الملك بعدة غزوات ، واستولى على المناطق الواقعة في غربي كنو كلها حتى وصل إلى كنو (في شمال نيجيريا)، وهكذا وصلت مملكة برنو إلى أوجها (٤٩) وكانت كذلك إلى أن ظهرت الثورة الإصلاحية التي قام بها الشيخ عثمان بن فودي في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي).

لقد استطاع ملوك كانم وملوك برنو في أيام ازدهار دولتهم إيجاد علاقة سياسية بين دولتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة مصر وطربلس وتونس ومراكش، وكذلك الحجاز بسبب الحج (٥٠) . وقد أورد لنا المؤرخون بعض المراسلات التي جرت بين هذه المملكة وتلك البلاد العربية . والظاهر أن هذه العلاقة بدأت بسبب الحج ، إذ إنه من المعروف : أن كثيراً من ملوك كانم _ برنو كانوا يؤدون تلك


خريطة
توضح أهم المدن
والمراكز التجارية
في
شمال وغرب أفريقية
في العصور الإسلامية
الوسيطة
المدن
الطرق

الفريـضة ، ويـذكر لنـا ابـن خلـدون وصـول رسـول مـن كـانم في سـنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م) إلى أبي عبد الله محمد (المستنصر الأول) أحد خلفاء بني حفص بتونس ، وكان الرسول يحمل معه هدايا ثمينة إلى الخليفة(٥١). وقد أورد أيضاً القلقشندي نص الرسالة التي كتبها ملك برنو عثمان بري بن إدريس (٧٩٤-٧٩٦هـ - ١٣٩٣م) إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق بمصر يستنجد به ضد أعدائه(٥٢) .

ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية ، الإسلامية في تلك المنطقة ، فقد انتشر فيها التعليم ، وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء ، ومما ساعد في نشر اللغة العربية : وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها الذين اشتهروا باسم قبيلة شوا (Shawa) وهذه القبيلة – التي سبقت الإشارة إليها – تسكن الحدود الشرقية للبرنو بجوار نهر تشاد(٥٣) .

مما تقدم ، نستطيع أن نقول : إن حركة التبادل التجاري بين شمالي وغرب أفريقية ، ونشاطها المستمر ، وازدهار التجارة واستمرارها على مر الأزمان والأجيال ، قد ساعد إلى حد كبير في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في القارة الأفريقية جنوب الصحراء ، والفضل يرجع إلى التجار والدعاة الذين قاموا بالمخاطرة واجتازوا الصعاب. ويعتبر ذلك من أهم الإيجابيات لدخول الإسلام وانتشار الثقافة الإسلامية في المغرب وأفريقيا ، فساعد كذلك على توسيع شبكة الاتصالات الإنسانية والاقتصادية داخل القارة السمراء فأتيحت – بفعل ذلك – لبقية العالم، شرقاً وغرباً فرصة الاستفادة منها ، وتنمية ثروته وموارده . وإن استقرار العرب في المدن والمراكز الأفريقية في شمالي وغربي الصحراء . وبرزت أولى نتائج هذا التواجد بإيجاد مؤسسات إسلامية ثابتة في المدن الأفريقية

التي ازدهرت في العصور الوسطى بالتجارة والثقافة وعامل الدين ، وهذه المؤسسات تتمثل في المساجد ومراكز التعليم ، وقد وصلت قمة ازدهارها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، كما قامت هذه المؤسسات – بدورها – في تعزيز علاقات الاختلاط بين المجموعات السكانية المختلفة في داخل هذه المدن التجارية والثقافية . وبازدياد توغل وانتشار التجار العرب في المراكز التجارية المختلفة في بلاد غربي أفريقية ، نتج عن ذلك نشوء عدة مناطق استقرار ثابتة ، تجارية وإسلامية . فمن بين تلك المراكز الناشئة في السودان الغربي – على سبيل المثال – كان هناك الحي الإسلامي في مدينة غانة ، تلك المدينة التي شهدت نشاط التجار العرب كالمغاربة والمصريين والحجازيين والعراقيين وأهل الشام واليمانيين(٥٤) ، الذين استقروا وانتشروا في تلك البلاد ، لاسيما أن مدينة غانة كانت المدخل الوحيد للوصول إلى مناجم الذهب الواقعة جنوبها . وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) استمر الوجود التجاري في مدينة غانة وغيرها في الازدياد(٥٥) ولعل من أوضح نتائج هذا التواجد هو ازديادُ قيمة التجارة في غانة ، إضافة إلى نمو الاتصالات التجارية مابين غانة من جهة وما بين مناطق المغرب الأوسط والأقصى من جهة أخرى . وقد ساعد وجود التجار العرب في المراكز التجارية في السودان الغربي ، بل توغُلهم المكثف فيه ، على حدوث عمليات الاختلاط والتزاوج بين العرب والزنوج في مراكز التجارة السودانية الأفريقية في بلاد غربي أفريقية ، كما أدى إلى قيام النشاطات التجارية الواسعة بين المراكز التجارية في الشمال والمراكز التجارية في الجنوب . وأصبحت تلك المراكز بدورها مراكز لقاء بين العرب والأفريقيين في جنوبي الصحراء ، ويظهر أثر ذلك واضحاً في التأثير الإسلامي الحضاري في تلك المنطقة منذ دخول الإسلام فيها في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) إلى أن ازدهر في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) (٥٦) .

الحواشي والتعليقات

(١) للمزيد من التوضيحات انظر .محمد محمد زيتون ."العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري "مجلة كلية العلوم الاجتماعية .جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .العدد (٣) (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)ص٢١١ومابعدها.
H.H. Johnston. A History of the Colonization of Africa by An Alien Races (Cambridge, 1913) pp.15 -20 ; B - Davidson. Old Africa Re – discovered (London , 1959) pp.70-73.

(٢) ويقال إن بلاد السودان ، تعني بلاد السود ،ومن ثم فإن كلمة السودان المأخوذة من هذا اللفظ تدل على جميع البقاع التي يقطنها السود من قارة أفريقية . وقد جرى العرب وكذلك الأوربيون على قصر هذه التسمية على الجزء الشمالي من تلك الأقطار ،أو إطلاقها بصفة أعمّ على تلك المنطقة شبه الصحراوية من أفريقية التي تغلغل فيها الإسلام ،وتقسم المنطقة من الناحية العملية إلى ثلاث أقسام هي :- (١) السودان الغربي ،ويشمل حوض نهر السنغال ونهر غمبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا والحوض الأوسط لنهر النيجر . (٢) السودان الأوسط ،ويشمل حوض بحيرة تشاد. (٣) السودان الشرقي.وهناك تعريف آخر لبلاد السودان في العصور الوسطى ،حيث إنها المنطقة الممتدة من حوض السنغال في المحيط الأطلسي غرباً إلى ساحل الصومال في المحيط الهندي شرقاً، وهي كذلك بلاد غربي أفريقية .للمزيد من التفصيلات انظر ،عبد الله بن عمر السعدي. تاريخ السودان .تحقيق هوداس (Houdas) (باريس ،١٩٦٤م) ص ٩ و مابعدها دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ،مادة "السودان"مج ١٢،ص ٣٢٧- ٣٢٩؛السر سيد أحمد العراقي ."ملامح تطور الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي "مجلة التاريخ والمستقبل ،كلية الآداب ،جامعة المنيا ،المجلد الثالث ،العدد الثاني (١٩٩٣م) ص ٥٦٩.

(٣) للمزيد انظر .إبراهيم علي طرخان ."قيام امبراطورية مالي الإسلامية " دراسات في التاريخ القومي الأفريقي .مستخرج من مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد الأول سنة (١٩٧٠م) مطبعة جامعة القاهرة ،١٩٧٠.ص ٤- ٦. محمد محمد زيتون "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ..." ص٢١٩- ٢٢١

(٤) انظر معلومات أكثر في :عماد الدين إسماعيل أبو الفداء .تقويم البلدان .تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان (باريس:دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠م)ص١٥١و مابعدها، محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة .رحلة ابن بطوطة ،المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .تحقيق علي المنتصر الكتاني ، (بيروت :مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)جـ٢، ص٧٨١- ٧٩٨، إبراهيم علي طرخان."الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي "مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد (٢) (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)(القاهرة:دار النهضة للطباعة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص٩

(٥) عبد الرحمن السعدي .تاريخ السودان ، ص٢٥ و مابعدها ،أمين محمود . "طريق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي " مجلة الفيصل (١٨) (١٣٩٨هـ/١٩٦٨م)ص١٩ - ٢٢ .وللمزيد من التفصيلات عن الصلات بين الجزء الغربي من العالم الإسلامي وحواضر العالم الإسلامي الشرقية في الحجاز والشام والعراق وفارس انظر ،محمد بن أحمد بن جبير . رحلة ابن جبير : (بيروت : دار الكتاب اللبناني د.ت)

ص ٤١ و مابعدها .غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية .تقديم ومراجعة : أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور (الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) جـ١ ، ص٤١-٥٨ ، محمد محمد إبراهيم زغروت "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين مجلة الدارة ،العدد (١) سنة (١١) (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص١١٥ومابعدها ، السر سيد أحمد العراقي"انتشار اللغة العربية في بلاد غربي أفريقية عبر التاريخ "مجلة دراسات أفريقية.المركز الإسلامي بالخرطوم ، العدد (١) رجب (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ،ص١٠٢- ١٠٣.

.S.M. Imamuddin , , Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt in the tenth Century A.C ., Islamic Culture. Vol .(38)(1964). Pp.9-14.

(٦) للمزيد من التوضيحات انظر .عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم. كتاب : فتوح مصر وأخبارها (ليدن :مطبعة بريل، ١٩٢٠م)ص١٧٠ و مابعدها ،أحمد بن يحي بن جابر البلاذري . فتوح البلدان (بيروت:دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)ص٢١٤ومابعدها ، محمد محمد زيتون . ص٢١٢ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس " الطرق التجارية البرية و البحرية المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة "مجلة العرب ، جـ٧- ٨ سنة (٢٦)(١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص٤٤٧ و مابعدها ، غيثان بن علي بن جريس" تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .العدد (٨) رجب (١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ص٤١٢ومابعدها .

(٧) أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري ."المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب " وهو جزء من كتاب المسالك والممالك .نشره راندون (Randon) (الجزائر : د.ن ،١٨٥٧م) ص ١٧٤- ١٧٥.

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ . للمزيد من التفصيلات انظر أيضاً .آدم عبد الله الألوري . موجز تاريخ نيجيريا (بيروت :د.ن ،١٩٦٥م)

(٩) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي . صبح الأعشى في صناعة الإنشا.(القاهرة :طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٠٦م) جـ٥ ،ص٢٨٤.

(١٠) عبد الرحمن السعدي .تاريخ السودان ، ص٤٣ و مابعدها ؛دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية ، مادة "السودان " مج ١٢ ،ص٣٢٨ و ما بعدها .

R. Palmer . The Bornu Sahara and Sudan (London 1936) pp. 6-9,149.

(١١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي .معجم البلدان (بيروت :دار صادر، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)جـ٤ ،٤٣٢؛ إبراهيم علي طرخان ." غانة في العصور الوسطى "المجلة التاريخية المصرية (التي تصدر عن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية)مج١٣ ،(١٩٦٧)ص٥١- ٥٤.

(١٢) عمرو بن بحر الجاحظ. كتاب التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب .(بيروت : دار الكتاب الجديد ،١٩٦٦م)ص٣٤؛ آدم الألو ري. موجز تاريخ نيجيريا ،ص٣٥.

J.Fage. An Introduction to the History of west Africa (Cambridge, 1959) pp.21-22, Nehemiah Levizion ." The Long March of Islam in the western Sudan" in the middle Ages of African History, ed .by. Roland Oliver (London , 1967) pp.13-14.

(١٣) أبو إسحاق إبراهيم الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي .كتاب مسالك الممالك . تحقيق ام دي غوي (ليدن :مطبعةبريل ،١٩٢٧م) ص٢٩- ٣٠. وللمزيد من التفصيلات عن اختلاط أهل غرب ووسط أفريقية بمن حولهم من الشعوب انظر .أبو القاسم ابن حوقل النصيبي . كتاب صورة الأرض . تحقيق ام.دي غوي (ليدن :مطبعة بريل، ١٩٣٩م)،ص١٠٤و مابعدها ؛أبو علي أحمد بن رسته . كتاب الأعلاق النفيسة. تحقيق ام دي غوي (ليدن :مطبعة بريل ، ١٨٩١م) ص٣٤٧ و مابعدها .محمد زغروت

"العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..." ص١١٨ و مابعدها ؛محمد زيتون "العلاقات بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ..."ص٢١١ ومابعدها ،
S.M. Imamuddin ,,Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah …,, pp.12 ff.

(١٤) للمزيد من التفصيلات انظر : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق إم . دي . غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٨٧٦ م) ، ص ٢١٥ ، وما بعدها ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله المعروف بالشريف الأدريسي . كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م) جـ١ ، ص ٢٢ وما بعدها .
E.W.Bovil. The Golden Trade of the moors (London, 1961) PP. 42-3 , S.J. Hogben . The Muhammadan Emirates of Nigeria (London , 1930) PP. 4-26, M. Shinnie. An Ancient African Kingdom (London, 1965) PP. 86-88, H.Johnston. AHistory of Colonization PP. 49-50, R.J. H. Church . West Africa (London, , 1961) PP. XXIV .

(١٥) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر(بيروت : د . ن، ١٩٦٧- ١٩٦٨م) جـ٦ ، ص٧ ، ٤١١- ٤١٢. ولمزيد من التوضيحات انظر عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة : كتاب المسالك والممالك. تحقيق ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م) ٩٢- ٩٤، ١٥٣ وما بعدها ، وأبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ، المعروف بابن الفقيه . مختصر كتاب البلدان . تحقيق ام . دي غوي (ليدن : مطبعة بريل ، ١٣٠٢هـ/١٨٨م) ص ٧٨ وما بعدها ، محمد زغروت . "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..."ص١٢١ وما بعدها .

(١٦) محمد زغروت " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..."، ص١٢٠ وما بعدها ، إبراهيم علي طرخان " البرتغاليون في غرب أفريقيا " حوليات كلية الآداب جامعة القاهرة . (مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٧م) مج ٢٥، جـ١(مايو ١٩٦٣م) ص ١٢- ٢٧.
H.Johnston. A History of the Colonization pp . 15 -20,24.

(١٧) عبد الرحمن السعدي . تاريخ السودان ، ص١١ وما بعدها ، دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية . مادة " السودان " مج ١٢، ص٣٢٦ وما بعدها .

(١٨) الإصطخري ، مسالك الممالك ، ص٣٤- ٣٥؛ ابن حوقل . صورة الأرض، ص١٠٤ وما بعدها ، ياقوت الحموي . معجم البلدان ، جـ٢، ص٣٨، جـ٤، ٤٣١- ٤٣٢

(١٩) محمد زيتون . " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب..." ص٢١١ ومابعدها
H.Johnston. A History of the Colonization, pp. 15 -20; B.Davidson. Old Africa, pp.70-73.

(٢٠) للمزيد من التفصيلات انظر . السر سيد أحمد العراقي " تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري (مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . معهد البحوث والدراسات العربية . (بغداد ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص١٤٧- ١٤٨.
S.M. Imamuddin ,Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah …,,pp.10 ff.

(٢١) محمد زغروت "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..." ص١١٥ و مابعدها ؛ أمين محمود عبد الله " طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي" ص ١٩- ٢١ ؛ غيثان بن علي بن جريس .بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية جـ١ ، ص٤٤ و مابعدها .

(٢٢) J.Fage. An Atlas of African History (Cambridge, 1958) pp.17-18.

(٢٣) E.W. Bovil. The Golden Trade of the Moors, pp.52-53

(٢٤) للمزيد من التفصيلات ،انظر :الجاحظ : التبصر بالتجارة ،ص ٣٤،المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٢١٥ و مابعدها ، السر سيد أحمد العراقي : " تجارة القوافل وأثرها الحضاري" ، ص١٥١- ١٥٢.
S.M. Imamuddin ,,Commercial Reletion of Spain with Ifriqiyah,, pp.11 ff.

(٢٥) ولغة الفلاني تعرف باسم لغة الفولي أو الفلدي ، وهي اللغة التي تتحدث بها قبيلة الفلاني أو الفُلاَنِيّون المنتشرون في بلاد غربي أفريقيا حتى غرب بلاد السودان الحالية (جمهورية السودان)

(٢٦) البكري ، من كتاب المسالك والممالك ،ص١٧٥- ١٧٧ ، محمد زيتون "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ..." ص٢١٢ و مابعدها .

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. 61-62,J.S. Trimingham . Islam in West Africa (Oxford,1959) pp. 13-15.

(٢٧) البكري ، من كتاب المسالك والممالك ، ص١٧٨ و مابعدها

(٢٨) ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار ،جـ٢، ٧٨١و مابعدها

E . W . Bovil . The Golden Trade , pp . 90 - 92 ; Encyclopodia of Islam , Vol.4,pp.489-491.

(٢٩) ابن بطوطة ،تحفة النظار في غرائب الأمصار،جـ٢، ص٧٩٠- ٧٩١

(٣٠) عبد الرحمن السعدي .تاريخ السودان،ص٩و مابعدها . وللمزيد من التفصيلات انظر .محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي :إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ،تحقيق وتنج(Whitting)(لندن ، ١٩٥١م) ،وحققة أيضا أبو بكر قمي في القاهرة (١٩٦٤م) ص٤- ٣ ،حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الإفريقية (القاهرة د.ن، ١٩٦٣م) ص٩٩ ،السر سيد أحمد العراقي . نظام الحكم في الخلافة الصكتيه (١٨٠٤- ١٩٠٣م) (الخرطوم د.ن، ١٩٨٣م)ص١٥- ١٧ ،

H.A.S. Johnston .The Fulani Empire of Sokoto (London ,1967)pp.17-19;Murray Last . The Sokoto Caliphate(London ,1967) pp. 46-7.

(٣١) قبائل الماندنجو أكبر القبائل الأفريقية في غربي أفريقية في العصور الوسطى ، ومن أول من اعتنق الإسلام ،وهم مؤسسو مملكة (مالي) الإسلامية .أما الفلاني فقد سبقت الإشارة إليهم ،وهم الذين أسسوا الخلافة الصكتية بقيادة المجاهد الأكبر عثمان بن فودي ،ولهم دور كبير في نشر الإسلام ،في بلاد السودان الأوسط والغربي منذ القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)

(٣٢) للمزيد من التفصيلات ،انظر .محمد زغروت ."العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..." ص١٨٨و مابعدها

E.W. Bovil . The Golden Trade, pp. 44 ff; S.M. Imamuddin. ,,Commercial Relation of Spain With Ifriqiyah..,, 12 ff.

(٣٣) إبراهيم طرخان ."الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي ..." ص٣٦ . ولمزيد من التفصيلات ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية المترجمة إلى اللغة العربية : مادة " السودان" مج ١٢، ص ٣٢٨ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسة والثقافة في ظل الإسلام ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد(١). مج (١) (القاهرة ،١٩٩٣م)، ص١٣٣ وما بعدها .

(٣٤) نجرتيا ، تسمية أطلقها المؤرخ الروماني بليني (Plinns) نسبة إلى نهر النيجر . وبليني (مات حوالي ١١٥م) هو الذي أطلق على نهر النيجر اسمه اشتهر به (Nigris) ، ومعناه نيل الأجناس السوداء . انظر ، إبراهيم طرخان ."الإسلام واللغة العربية ..." ص٨ وما بعدها .

(٣٥) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٩٨ - ١٠٤، ١٠١وما بعدها .

(٣٦) إبراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية (القاهرة : د.ن، ١٩٧٣م) ص١٥٤- ١٥٧،

E.W. Bovil.The Golden Trade, PP. 42 ff, S.M. Imamuddin. "Commercial Relation of Spain,, PP. 12 ff.

(٣٧) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ٢، ص٧٨٦ وما بعدها،

E.W. Bovil. The Golden Trade, pp. ٩٠-١٠٠

(٣٨) ابن بطوطة ، تحفة النظار ، جـ٢ ، ص٧٨٥ وما بعدها ، إبراهيم طرخان . دولة مالي الإسلامية ، ص١٥١ ، محمد محمد زيتون ، " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ..." ص٢١١ وما بعدها .

(٣٩) الإدريسي ، كتاب نزهة المشتاق ،جـ١ ، ص٢٢ وما بعدها . ابن بطوطة ، تحفة النظار ، جـ٢ ، ص٧٨٥، إبراهيم طرخان : دولة مالي الإسلامية ، ص١٥١- ١٥٢.

(٤٠) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، ١٥٢ ، وما بعدها .

(٤١) عبد الرحمن السعدي ، تاريخ السودان . ص ١٤ وما بعدها . إبراهيم طرخان دولة مالي الإسلامية ، ص١٥٥ وما بعدها . وأحمد بابا يلقب بالتنبكتي من (تنبكت أوتمبكتو) في (جمهورية مالي حاليا)، وهو من أشهر علماء غرب أفريقية في العصور الوسطى ، وكذلك السعدي من علماء أفريقية المشاهير وله مصدر تاريخي جيد عن بلاد السودان تحت عنوان : (تاريخ السودان).

(٤٢) ابن بطوطة ، تحفة النظار، جـ٢، ص٧٨١

(٤٣) توماس أرنولد .الدعوة إلى الإسلام . ترجمة : حسن إبراهيم حسن ، وعبد المجيد عابدين (القاهرة : د.ن، ١٩٥٧م) ص٣٤٩.

(٤٤) ديشان (H.Deschan). الديانات في أفريقية السوداء . ترجمة : أحمد صادق (القاهرة : د.ن، ١٩٦٩م) ص١٣٢- ١٣٣٠

(٤٥) القلقشندي ، صبح الأعشى ، جـ٥، ٢٩٨. ولمزيد من التفصيلات انظر : محمد زيتون : "العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب ..."، ص٢١٦، وما بعدها .

(٤٦) إبراهيم طرخان : امبراطورية البرنو الإسلامية (القاهرة : د.ن ، ١٩٧٥م) ١١٢- ١١٣، محمد زغروت . " العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..." ص١١٩ وما بعدها ،
S.M. Imamuddin ,, Commercial Relation of Spain with Ifriqyah...,,pp. 13-14.

(٤٧) إبراهيم طرخان . امبراطورية البرنو الإسلام ، ص١١٣، وما بعدها .

(٤٨) محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي . إنفاق الميسور في تاريخ بلادالتكرور ، ص١٠- ١١

(٤٩) أحمد بن فرطوا. تاريخ ابن ادريس وغزواته (كنو :د.ن، ١٩٣٢م) ص ١٣٦- ١٣٧.

(٥٠) محمد زيتون :" العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب..." ص٢٢٢ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس : بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ، جـ١، ص٢٣- ٢٥ ، ٤٢- ٥٠، ٢٥٩ وما بعدها ،
S.M. Imamuddin Relation of Spain with Ifriyah and Egypt ...,, pp.12-14.

(٥١) ابن خلدون ، كتاب العبر ، جـ٣، ص١٣٦- ١٣٧. (ويذكر الناصري أيضا في كتاب : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، جـ٥ ، ص١٠٤ وما بعدها " أن رسول ملك برنو قدم إلى المنصور في سنة (٩٩٠هـ) ومعه هدية إليه من العبيد والإماء والكساء فقوبل بحفاوة عظيمة. وكان ملك البرنو يطلب من أمير المؤمنين المنصور المدد من العساكر والبنادق ومدافع النار ، فاشترط عليه أن يدخل في بيعته أولاً ، فقبل الرسول ذلك وكتب صورة البيعة التي أخذها الرسول إلى ملك برنو.

(٥٢) القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٨،ص١١٦ وما بعدها .

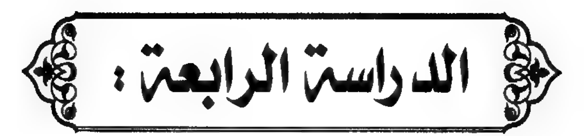
(٥٣) هاجرت قبيلة شوا إلى البرنو في أواخر القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ، ويقال إنهم كانوا من قبيلة بني هلال التي طردت من مصر في العهد الفاطمي ،طردهم الخليفة الفاطمي المستنصر. واشتهرت هذه القبيلة بالشجاعة و البطش ؛ ولذلك استفاد منهم ملوك البرنو في الجيش . انظر
Akin mabogunje. The Land and the people of West Africa (Ibadan,1972) pp.27-9.

---

(٥٤) لمزيد من التفصيلات انظر ،ابن خلدون :كتاب العبر ،جـ٦ ، ٢٢,٤١ ، ابن حوقل، صورة الأرض.ص ٦٠ ، البكري ،كتاب المسالك والممالك ، ١٥٨ ، ياقوت الحموي معجم البلدان ،طبعة مصر (١٩٠٦م) جـ٤ ، ص ١٨٢ ، محمد زيتون : " العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية في المغرب"،ص٢١٦ ، و مابعدها ،محمد إبراهيم زغروت . "العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها..."ص ١٢٣ ، و مابعدها ،
S.M. Imamuddin.Commercial Relation of Spain with Ifriqiyah and Egypt.... pp.9-14.

(٥٥) البكري ،كتاب المسالك و الممالك ،ص ١٥٧- ١٧٦.

(٥٦) صباح إبراهيم الشيخلي. "النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي حتى نهاية القرن الخامس الهجري"مجلة تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية (بغداد ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٢٩- ٤٤ ، محمد زغروت "العلاقات الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها ..." ص١١٦ ، و مابعدها



الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط

(*) نشرت هذه الدراسة في مجلة المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) مارس (١٩٩٧) ص ١٦٥ – ١٩١ .

الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط

لعبت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرقي أفريقية دوراً هاماً في تشكيل تاريخ تلك المنطقة اقتصادياً وسياسياً ودينياً ؛ ذلك أن الإمارات والمراكز التي أنشأها العرب المسلمون في كل من أثيوبيا والصومال أسهمت إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى الساحل الأفريقي وعلى الأخص أثيوبيا والصومال ، ومن ثم إلى الداخل[١] .

لم تكن سواحل أثيوبيا والصومال مجهولة لدى شعوب العالم الخارجي من أقدم العصور ، فقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن وجود صلات قديمة ومستمرة بين هذه السواحل وشعوب العالم الأخرى ، ليس فقط الشعوب القريبة جغرافياً ، ولكن أيضاً الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين. وقد اشتغل العرب كذلك بالدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية والتجارية . وأشهر الرواد العرب الذين تحدثوا عن الساحل الشرقي لأفريقية من الناحية العملية والنظرية هم : المسعودي وابن حوقل والإدريسي وياقوت الحموي وابن بطوطة والقلقشندي والمقريزي وأبو الفداء وغيرهم[٢].

وظهر تقدم العرب في فنون الملاحة وما تقتضيه من معارف ، أهمها معرفة الطرق البحرية الآمنة ، ونظام سير الرياح ومواقيتها ومواقع البلاد والجزر واختراع الآلات التي تساعدهم على الملاحة مثل البوصلة والإبرة المغناطيسية فضلاً عن رسم الخرائط . والعرب الذين اشتهروا بصناعة السفن هم عرب

الجنوب في الجزيرة العربية ، ولاسيما عرب عمان. وقد عرف عرب عمان بمهارتهم في صناعة السفن وتفوقهم في أعمال الملاحة ، وسارت سفنهم في المحيط الهندي حتى وصلت سواحل شرق أفريقية[٣] .

والثابت أن العرب هم أهم الشعوب التي اتصلت بأثيوبيا والصومال منذ القدم ، وأبقاهم أثراً في تلك البقعة من القارة ، وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافي ، وقد نشطوا في الاتصال بأثيوبيا والصومال منذ زمن دول معين وسبأ وحمير التي كان لها نشاط كبير في الحركة التجارية البرية والبحرية ، وتمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم في المحيط الهندي وسواحل أفريقية الشرقية . كما كان لعرب الحجاز دور كبير في الاتصال والتجارة ، وقد سيطروا سيطرة تامة على التجارة وطرق القوافل بعد تدهور دول الجنوب منذ القرن السادس الميلادي[٤].

وقد قامت الدعوة للدين الإسلامي في أثيوبيا منذ ظهوره ، ويمكن أن يؤرخ لدخول الإسلام في أثيوبيا بهجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ، وخاصة بعد أن أظهر النجاشي أرماح (أصحمة) إعتناقه للإسلام . وتدفقت على أثر ذلك مجموعات ضخمه من دعاة الإسلام من عرب وغيرهم لإنشاء مراكز عربية ثابته ، ونشر الإسلام بين القبائل التي كان من أهمها :الصوماليون والأحباش والدناقل والجالا والبجه والبانتو ، ومن بينهم الإريتريون وغيرهم . ثم كثر توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب ، وأصبحوا يتحكمون في طرق القوافل داخل الجزيرة العربية ولاسيما بين عدن وصنعاء ، كما أسهموا بنشاط كبير في التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر . وعبرت مجموعات قليلة من تجار العرب إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر ، كما اخترق عدد من هؤلاء الحدود الحبشية وأسسوا لهم مراكز

استقرار بالتدريج ، بل إن العرب المسلمين استطاعوا بنشاطهم أن يتحكموا في ميناء عدوليس (Adulis) وهو ثغر الحبشة وميناؤها العظيم(٥) .

كانت مملكة أكسوم الحبشة المسيحية في ذلك الوقت في طريقها إلى الانحطاط ، وفي الوقت نفسه كان الإسلام ينتشر بخطى واسعة من الساحل إلى الداخل حيث بدأ المسلمون في الإمتزاج بالوطنيين وصاهروهم ، فأخذ الإسلام ينتشر تدريجياً ، فأعتنقته عناصر الساهو والعفر في شرقي الحبشة ، كما أنه امتد إلى مناطق السيدامو وشوا الشرقية في جنوبي الحبشة(٦) . وانتشر المسلمون شمالاً في ارتيريا ومنطقة البجه ، وشجعهم على ذلك غنى تلك المناطق بمعادن الذهب والزمرد والفضة والنحاس والرصاص والحديد . وقد تزايد عدد المسلمين في الحبشة وإرتريا ومنطقة البجه ، وأشتهر من القبائل العربية التي استقرت في هذه المناطق قوم من ربيعة وقحطان ، إلا أن قبائل ربيعة كانت أقوى العناصر ، حتى سادت وغلبت على ما جاورها من العرب القحطانيين(٧).

لقد امتدت الرقعة الإسلامية على طول منطقة القرن الأفريقي وفي داخلها حتى منطقة وادي النيل الجنوبي والأوسط ، حيث قامت مشيخات إسلامية في فترة التوسع الإسلامي البارزة التي تقع مابين القرنين الرابع والسادس الهجريين (العاشر والثاني عشر الميلاديين) ، وهي فترة التوسع لمنظمة الإسلام ديناً ودولة من ناحية نشر العقيدة الإسلامية وتدعيم سلطان المماليك والمشيخات الإسلامية داخل البلاد الحبشية ، وعلى حساب مملكة أكسوم الحبشية المتداعية . وقد تحولت كل منطقة نهر جوبا للإسلام ، وامتدت الرقعة الإسلامية حتى منطقة البحيرات العظمى وذلك في عام (٥٠٢هـ/١١٠٨م) (٨).

لقد تلا قيام المشيخات الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها مثل عدال وهر وهوبات ، التي لم تعمر طويلاً نظراً للخلافات التي قامت فيما بينها فضلاً عن عنايتها كانت منصبة على شئون التجارة ، ولاسيما تجارة الرقيق ، تلا ذلك قيام ممالك إسلامية قوية ومزدهرة أصبحت تحيط بالحبشة المسيحية من كل جانب ، وأصبحت هذه الممالك الإسلامية تسيطر على كل الرقعة الإسلامية الممتدة من سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي وأجزاء من أفريقية الشرقية الممتدة من الساحل إلى الداخل الأفريقي ، وأصبحت بذلك الوضع الجغرافي الممتاز تحيط بالحبشة من الناحية الشرقية وتقابل اليمن في الجزيرة العربية ، ولأجل ذلك الوضع الجغرافي نعتها المؤرخون بمنطقة الطراز الإسلامي ، لأنها على جانب البحر كالطراز له [٩] . واشتهر في هذا الطراز إمارات سبع أو ممالك سبع وهي أوفات ، دوارو ، أربيني ، هدية ، شرخا ، بالي ، وداره [١٠] وهذه عدا مشيخات الساحل الصومالي التي امتدت على طول الساحل المعروف بساحل الزنج [١١] . وقد أفردنا لمملكة أوفات الإسلامية حيزاً خاصاً في مقالين مختلفين[١٢] .

لقد اتسم تكوين هذه الممالك بالطابع السلمي التجاري أو الاقتصادي بصفة عامة ، ثم إن هذه الممالك ارتبطت بالعالم الإسلامي ، وتوطدت صلتها به عن طريق التجارة والحج وانتقال طلاب العلم للدراسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة . وصار لرواد الثقافة الإسلامية أروقة خاصة بهذه المراكز ، فهناك رواق أهل الزيلع بالمسجد الأموي بدمشق ، وكذلك أفرد رواق لهؤلاء بالأزهر يعرف برواق الجبرتية [١٣].

لقد ظلت هذه الممالك التي أمها المسلمون لقرون عديدة مراكز نشاط ومدنية ، وارتكزت شهرتها على أنها وسيطه بين عواصم العالم الإسلامي الكبرى وبقية أجزاء أفريقية المجاورة في نقل الفكر والثقافة الإسلامية .

وتطورت هذه الممالك الإسلامية بفضل تجمع العلماء والفقهاء الذين وفدوا إليها من مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد والقاهرة . لذلك ظلت الصبغة العربية هي البارزة والمميزة في منطقة القرن الإفريقي خلال فترة العصور الإسلامية الوسيطة ، فأسهم العرب في هذه البلاد بالآداب والعادات التي اتصفوا بها ، وظلت الثقافة العربية تشع وتنتشر حتى بعد ذهاب النفوذ العربي الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري(التاسع عشر الميلادي). وكان أعلام المسلمين في هذه البلاد يفكرون بالعقلية العربية الإسلامية ،ويكتبون باللغة العربية ،وهم في إنتاجهم ونشاطهم إنما يعبرون عن حضارة عربية إسلامية سادة في منطقة الطراز الإسلامي ردحا من الزمن(١٤) .

وعلى الرغم من أن المجتمع الإسلامي في بلاد القرن الأفريقي يتكون من أجناس متعددة ، وأمم مختلفة في صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، فإنها بعد إسلامها وبسببه أخذت تنصهر جميعاً في بوتقة الحضارة الإسلامية في ظل رعاية دول الطراز الإسلامي وكنفها ؛ لان الدين الإسلامي عامل هام من عوامل الانسجام بين الشعوب التي تدين به ، والدين الإسلامي فضلا عن انه عقيدة ، فإنه كذلك نظام اجتماعي كامل ، ومجموعة من الأخلاق والقواعد والأنظمة التي يستطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها (١٥) .

١- سلطنة أوفات :-

كانت سلطنة اوفات هي أقوى سلطنة إسلامية قامت في الحبشة بسبب تحكمها في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع ، وقد أسسها قوم من قريش من بني عبد الدار أو من بني هاشم من ولد عقيل بن أبي طالب ، قدم أولهم من الحجاز واستوطنوا مدينة أوفات ، وقد اشتهر قوم منهم بالصلاح ، وظهر من بينهم رجل يسمى عمر ويلقب " ولشمع " حكم مدينة أوفات وأعمالها

واعترف بسلطان النجاشي . ولم يتضح تاريخ أوفات إلا في حوالي (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م) حين أورث عمر هذه المملكة لأولاده الأربعة أو الخمسة الذين تولوا عرشها واحداً بعد الآخر ، وذلك بموافقة ملك الحبشة . إلا أن سلطنة أوفات هي التي تزعمت حركة الجهاد ضد الحبشة ، وقامت مع غيرها من دول الطراز الإسلامي بدور كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية [١٦] .

٢ـ سلطنة بالي:ـ

تقع جنوب سلطنة دارة ، ويحدها شمالاً نهر وبيي ، ومن الجنوب نهر حرانا إلى دوريا ، وبهذا الوضع تتحكم في وادي الصومال ، والعنصر الغالب في سكانها عنصر السيداما ، ويسكن جنوبه فريق من عنصر الجالا . وتعتبر هذه السلطنة أكثر بلاد الزيلع خصوبة ، وتختلف عن شقيقاتها الإسلامية في أن الملك لم يظل كغيرها ، محفوظاً في أسرة معنيه ، بل حدث في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) أن انتقل الحكم إلى رجل ليس من بيوت الملك ، وذلك بمساعدة ملك الحبشة [١٧] . وفي بقية المظاهر تقترب هذه السلطنة من السلطنات الإسلامية وتسير المعاملة فيها بالتبادل ، وأهلها على المذهب الحنفي [١٨] .

٣ـ سلطنة هدية:ـ

تقع إلى الغرب من دول الطراز الإسلامي وتجاور أرابيني ، وتشغل مساحة واسعة بين نهري هواش وجيبي ، وليست حدودها معروفة بدقة شأنها كشأن باقي الولايات الإسلامية وتتكون من(٨) مقاطعات [١٩] ، وبرغم أنها دون أوفات في المساحة والامكانيات، فإنها أقوى المماليك السبع وأكثرها خيلاً ورجالاً ، ويقال إن عدد جنودها بلغت نحواً من (٤٠) ألف فارس سوى الرجالة الذين يبلغون ضعف

هذا العدد تقريباً. ومع أن الطبقة الحاكمة فيها إسلامية ، فإن أغلب رعاياها على الوثنية ، وهؤلاء الرعايا من السيداما والجوارجي والشابو ، وهذا الأخير خليط من العنصرين الأولين [٢٠] .

وتقترن شهرة هدية بتجارة الخصيان من الذين يجلبون إليها وهؤلاء يعرفون في مصر باسم الطواشية ، وقد حضر ملك الحبشة هذه العملية الوحشية ، غير أن اللصوص مافتئوا يسطون على العبيد ويأتون بهم إلى بلدة وشلو القريبة من هدية ، وسكان وشلو هذه همج متبربرون، يخصى العبيد عندهم لدرايتهم بالخصي ، وهذا هام لتجار النخاسة، إذا إن الخصي أرفع ثمناً من غيره ، وبعد إتمام عملية الخصي يحمل هؤلاء إلى هدية حيث يعالجون مرة أخرى حتى يبرأوا نظراً لأن مجرى البول يكون قد انسد بسبب القيح عند الخصي ، ولأهل هدية دراية بعملية العلاج والتطبيب ، ومع ذلك فإن العدد الذي يموت من الخصيان بسبب هذه العملية أكثر من الذي تكتب له الحياة ليباع مصدراً من هدية[٢١]

٤ـ سلطنة دارة :ـ

تقع على حدود أوفات الغربية وشمال شرقي هدية في منطقة السيداما . وتعدّ أضعف اخواتها حالاً ، وأقلها خيلاً ورجالاً ، ولكنها تستطيع أن تقيم جيشاً يعادل في قوته جيش أوفات إذ عنيت بهذه الناحية ' ولا تختلف كثيراً عن غيرها من الإمارات الإسلامية ، فأهلها مسلمون على المذهب الحنفي ومعاملتها بالمبادلة[٢٢].

٥ـ الإمارات الإسلامية الأخرى :ـ

أما الإمارات الإسلامية الأخرى : دوارو وأرابيني وشرخا ، فهي إمارات صغيرة قليلة الأهمية ، ولم يذكر عنها سوى أن أهلها مسلمون أحناف ، وأن عدة

عساكر الأولى تقترب من قوة أوفات في الفارس والرجال ، وفرسان الثانية نحو عشرة آلاف غير الرجالة ، بينما لا تتجاوز قوة الأخيرة ثلاثة آلاف فارس سوى الرجالة [٢٣] .

والخلاصة ، فإنه لن تكن هناك سيادة عامة مستمرة لإحدى تلك الدول التي عرفت بالطراز ، وإنما وجدت سيادات مؤقتة في بعض الفترات ، تحققت عن طريق القوة أو الدبلوماسية أو المصاهرات. وكانت في معظم الأحيان مستقلة داخلياً وتدفع الجزية أحياناً كثيرة ، وذلك عندما تنضوي تحت لواء سلطنة أوفاة أكبر دول الطراز الإسلامي في منطقة القرن الأفريقي خلال فترة العصور الإسلامية الوسيطة [٢٤] .

لقد أسهمت هذه الدول إسهاماً إيجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي والعربي في منطقة القرن الأفريقي وفي داخل بلاد أثيوبيا أو الحبشة . هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبته في تاريخ المنطقة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً . فأستمر دفع الحضارة الإسلامية في تلك المنطقة في الانتشار والازدهار حتى بلغ أقصى مداه في نهاية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) وذلك في زمن المجاهد الإسلامي الكبير أحمد الجران (أحمد بن جرا) ، حيث أشتدت الدعوة لمناهضة النصرانية ونشر الإسلام واللغة العربية في هذه البلاد[٢٥]

والثابت أن الدعوة الإسلامية في بلاد الطراز الإسلامي والحبشة المسيحيه، كما في غيرها من المناطق ، ارتبطت باللغة العربية ، لغة القرآن والعلوم الإسلامية . وسار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية ، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية[٢٦]

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في أفريقيه دون غيره ، وكانت هناك علاقة قديمة بين العرب وبين الحبشة والزنج ، وكان ذلك قبل القرن السابع الميلادي ، أي قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية . وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل ، كانت تبدأ من زيلع وهرر وسواكن وأوفات ، فتجتاز هضاب الحبشه إلى الداخل حتى منطقة البحيرات . وقد تولى العرب أمر هذه التجارة منذ أزمان بعيدة ، حيث يجتازون الصعاب ، ويخترقون الهضاب والوديان التماساً للرزق . وكان العرب ينشدون الذهب والعاج والأبنوس والرقيق والبخور ، مقابل بضائعهم التي كانوا يحضرونها معهم والتي كانت تتمثل في الحرير والسروج والسيوف والنحاس والملح وأنواع شتى من المنسوجات ، فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك(٢٧).

نستطيع القول إن هذه العلاقة التجارية بين العرب ومنطقة القرن الأفريقي والحبشة التي بدأت في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) تمثل أولية اللغة العربية في تلك البلاد ، ولقد نمت هذه العلاقة بطريقة سليمة طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام في كل بلاد أفريقية الشرقية ، فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة التخاطب بين البائع والمشتري كما تولد الصلة بينهما ، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية ، فمن الطبيعي أيضاً أن تكون هي المستعملة في ذلك الزمن ، ومن الطبيعي أيضاً أن يلتقطها التجار والأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم ، وهذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت الحجر الأساسي للغة العربية في أفريقية الشرقية ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلمات وتعابير عربية في تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجياً حتى توغلت في ربوع أفريقية ، واندمج بعضها في اللهجات المحلية ، وخاصة بعد انتشار الإسلام . ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الأفريقية

مثل لغة السواحيلي والأحباش ، وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها من اليمن وعمان والحجاز في تلك القرون الغابرة ، وهذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التي دخلت مع دخول الإسلام فنجد في اللغة السواحيلية والأثيوبية مثلاً أن أسماء هذه البضائع عربية ، فكلمة السرج والحرير والزعفران واللجام والقلم والدواة وأمثالها كلها وافدة على اللغة السواحيلية والأثيوبية ، وتنطق بتحريف بسيط [٢٨] . لذلك يمكن القول أن اللغة العربية قد تركت آثارها في عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة ، وظهر هذا الأثر واضحاً في لغة السواحيلي وبعض اللهجات الأثيوبية والصومالية والأريتريه . ويوجد في هذه اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية بل إن الحروف العربية استخدمت في كتابة اللغة السواحيلية منذ زمن مبكر ،كما استخدمت في اللغات الصومالية والامهرية[٢٩].

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها ، فضلاً عن الجانب الديني المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الأفريقية وعلى طول الساحل الشرقي الممتد من زيلع شمالاً إلى سوفالاً جنوباً ، ادعت الأصول الشرقية ، لقد ادعى ملوك أوفات وهرر وزيلع ومقديشو وكلوة وغيرهم ، أنهم انحدروا من الشرق. ومن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في أفريقية الشرقية الإسلامية هجرة القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارها فيها ، وهذه الهجرات ـ كما سبق القول ـ قديمة وسابقة على دخول الإسلام ، وازدادت بانتشار الإسلام ، ثم أن مصاهرة العرب مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل الأمهرة والدناقل والاريتريين والأحباش والصوماليين. وظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير في هذه البلاد ، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها ، فتطلعت إلى البلاد الإسلامية في الشرق والشمال الشرقي من أجل العقيدة والمدنية ، ولم تحل صعاب البحر والمحيط دون الاجتياز[٣٠].

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي بصفة خاصة، وبلاد شرقي أفريقية بوجه عام، بعهود الدول الإسلامية الكبرى، أوفات، زيلع، هدية، مقديشو وكلوة، وبقية دول الطراز الإسلامي بصفة عامة. فقد كانت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها، واستخدمت في شتى الأغراض وأوفت بها، واستخدمت في مجال الحكم والإدارة والقضاء ثم هي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول والعالم الإسلامي الخارجي. ووجد في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية لمخاطبة ملوك تلك البلاد، ولا بد من تصدير المكاتبات بها [٣١].

يتضح من هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة الدولية في العصر الإسلامي الوسيط في جميع البلاد الإسلامية، واستمرت كذلك حتى بداية التدخل الأوروبي في شئون البلاد الأفريقية الإسلامية. فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هي لغة الدين والثقافة والتجارة، ثم هي لغة الحكومة والإدارة والقضاء، كما أصبحت لغة تخاطب في كثير من بلاد الأحباش والصومال والسواحيلي عامة[٣٢]، مع وجود اللغات المحلية كلغة الأمهرا والتيجري والبني عامر والدناقل والصومال والسواحيلي، هذا بالإضافة إلى بعض اللهجات الأفريقية القديمة كلغة البانتو والبوشمن والهوتنتوت، ثم إن اللغة العربية من بعد، هي لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات[٣٣]، بمعنى آخر كانت اللغة العربية هي اللغة السائدة (Lingua Franca).

❖ مراحل انتشار اللغة العربية :-

مر ازدهار اللغة العربية الذي اقترن بانتشار الإسلام في بلاد إفريقية الشرقية بوجه عام بمراحل عديدة :-

فالمعروف أن الإسلام قد بدأ ينتشر في تلك البلاد منذ ظهوره، وقد ساهم الأفريقيون مع العرب بنشر الدعوة الإسلامية منذ مطلع القرن الأول الهجري، بل

إزدياد الهجرات العربية والإسلامية أدت إلى ازدياد الداخلين في الإسلام . فالصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة بين بلاد القرن الأفريقي(الحبشة والصومال) وبلاد العرب ، وقد كثرت هجرات المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من العرب والفرس وغيرهم . واحتكر التجار المسلمون عملية الاتصال بهذه البلاد لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد ، وهناك جهود دول الطراز الإسلامي(٣٤) ، التي تفانى ملوكها في نشر الإسلام واللغة العربية بين سكان هذه البلاد من الأمهرا والتيجري والصوماليين والأحباش والارتيريين . وقد بلغت هذه الدول ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادي عشر الميلاديين)، فقامت بدور كبير بنشر الإسلام والعلوم الإسلامية العربية (٣٥) .

وقد ذكر ابن بطوطة أن ملوك هذه البلاد كانوا شديدي الحماس لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومهم وبين القبائل الأفريقية المجاورة من ناحية الغرب والجنوب (٣٦) . وكان حماس هؤلاء الملوك من العناصر الهامة في ازدياد انتشار الإسلام ، كما أن الصلات المتنوعة والجهود البارزة لملوك دول الطراز الإسلامي قد أدت إلى اتساع رقعة البلاد الإسلامية في أفريقية الشرقية . ولما كانت الحبشة جزءاً من شرقي أفريقية ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين سكانها ، بدرجات متفاوتة ، وذلك بفضل جهود ملوك دول الطراز المجاورين لها ، أو الخاضعين لسيادتها في بعض الفترات . والراجح أن عدداً كبيراً من سكان الحبشة المسيحية قد اعتنق الإسلام ، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقها إلى بلاد الحبشة منذ زمن مبكر ، قبل قيام دول الطراز الإسلامي . وقد برزت الآثار الإسلامية في بلاد الطراز الإسلامي وفي بلاد الحبشة والقرن الأفريقي بوجه عام ، وأوضح ما كانت في هدية وأوفات ودوارو وأرابيني وشرخا وبالي وهرر وزيلع . وقد ضمت

اوفات وحدها نحو اثنى عشر مسجداً ، وكذلك هدية وهرر ، وألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية . كما أن نواحي هذه البلاد كانت ملأى بالعلماء والفقهاء والأئمة (٣٧) ، وأصبحت مدن هذه البلاد مثل أوفات وزيلع وهدية وهرر مراكز ثقافية عربية إسلامية ، كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية. وكانت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات. وتبوأت هذه اللغة في الحبشة والطراز الإسلامي المكانة التي تبوأتْها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها ، إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري في أفريقية ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوربا بتلك العصور ، وأكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة ، بأن المام سكان شرقي افريقية باللغة العربية ، يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينيه في العصر الوسيط (٣٨)

ومما يذكر أن ملوك دول الطراز الإسلامي كانوا يرسلون العلماء بين القبائل لبث العقيدة الصحيحة. وأقبل الأفريقيون المسلمون من سكان هذه البلاد على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما أمتاز به المسلمون الذين استقروا في هذه البلاد ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية ، بدليل استعانة ملوك دول الطراز بهم في أجل أعمالهم . فالمسلمون في بداية الأمر هم الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة ، فلذلك كانوا هم الذين يساعدون الملوك (٣٩)، وهذا دليل على انتشار الثقافة الإسلامية التي توسعت وانتشرت بعد ازدهار دول الطراز الإسلامي .

وبالإضافة إلى الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام في بلاد القرن الأفريقي وما جاورها شمالاً وغرباً وجنوباً ، فهناك عامل آخر ساعد على نشر الإسلام واللغة العربية في تلك البلاد المجاورة من الحبشة وارتيريا حتى الصومال الشمالي وهضبة البحيرات حتى أعالي نهر النيل الأزرق ، وتلك هي الهجرة التي قام بها التجار المسلمون من مقديشو و مركه وبراوة إلى مدن القرن الأفريقي ، وخاصة أثر غزو الشيرازيين الفرس لتلك البلاد و الاستيلاء عليها ، فانتشر التجار في هذه البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير في نشر الدين و الثقافة العربية في شرقي أفريقية(٤٠) .

لقد وجدت المدارس الكثيرة أيضاً في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد ، مثل مدارس هدية وبالي وشرخا و أوفات ،ويقول ابن بطوطه أن أهل مدينة زيلع قدماء في الإسلام ولهم ديانه وطلب علم وبجانب الاهتمام بالقران ، كما ذكر ابن بطوطه ، هناك الاهتمام بلغة القرآن ، وهي اللغة العربية التي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي شرق أفريقية عامة(٤١) . ولم تكتف قبائل هذه الدول بدخول الإسلام ، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد . وهناك خصائص معينة في نطق الحروف العربية بين مسلمي شرقي أفريقية ،أما طريقة الكتابة ، فهي طريقة الخط الكوفي .

ساعد ازدهار دول الطراز الإسلامي ، وأتساع رقعتها وعظمة ملوك المسلمين وتفانيهم من أجل خدمة الإسلام و الثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية ، ولاسيما لغات السواحيلي و الأمهرا والتيجري ، فاستخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة السواحيلية ولا تزال إلى اليوم.

كان العامل التجاري من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول هضبة الحبشة والبحيرات و ماجاورها. وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من زيلع وأوفات وتتجه إلى الجنوب عن طريق هدية وبالي إلى أن تصل أكسوم وهرر إلى داخل أثيوبيا ، وهذا مما يسهل وصول التجار المسلمين إليها وبالتالي دخول الإسلام وتعلم اللغة العربية . فلا شك أن التجار هم الذين أدخلوا الإسلام في تلك المنطقة [٤٢] .

لقد استطاع ملوك هدية وبالي وأوفات في أيام ازدهار دولهم إيجاد علاقة سياسية وتجارية بين حكوماتهم والبلاد العربية الإسلامية وخاصة الحجاز واليمن ومصر ، وبالطبع فهناك الكثير من المراسلات التي جرت بين هذه الدول وتلك البلاد العربية ، والظاهر أن العلاقة مع الحجاز كانت بسبب الحج ، إذ إن من المعروف أن كثيراً من ملوك أوفات وهدية كانوا يؤدون تلك الفريضة[٤٣] .

ولاشك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة ، فقد انتشر فيها التعليم وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء . ومما ساعد في نشر اللغة العربية وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها من اليمن ، ومن قبائل ربيعة التي أستقرت بعض بطونها في بعض مدن هذه البلاد حتى ارتيريا[٤٤] .

ويضاف إلى هذه الأدوار ما قامت به بعض القبائل العربية مثل قحطان وربيعة وبعض القبائل اليمنية مثل الأزد وغيرهم ، وقد أشتد حماس هذه القبائل لنشر الإسلام في زمن ازدهار دول هدية وبالي وأرابيني ، فانتشرت الثقافة العربية الإسلامية بفضل جهود ملوكها الذين نشروا الإسلام والثقافة الإسلامية في مناطق عديدة يقع بعضها في الهضبة الحبشية وبعضها الآخر في منطقة البحيرات

، لذلك تمثل مرحلة هذه الدول وقبائلها العربية العصر الذهبي لازدهار وانتشار اللغة العربية وتقدم العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد شرقي أفريقية(٤٥)

فعندما قام الإمام أحمد بن جرا بالجهاد ونشر الإسلام في القرن العاشر الهجري ، كان أكبر همه تحطيم الوثنية والقضاء على الحركة الصليبية النصرانية ، ونشر مبادئ الإسلام الصحيحة والثقافية العربية . ولم يكن أيضاً حكام هذه البلاد الذين نظموا دولهم وإماراتهم حسب النظم الإسلامية يدعون أنفسهم أو يدعوهم الناس سلاطين أو أمراء ، إنما كانوا يدعون مؤدبين أو معلمين أو شيوخاً لعلمهم وورعهم بالإضافة إلى أهميتهم ومكانتهم .

إن هؤلاء الحكام هم الذين يباشرون الحكم بين رعيتهم حسب الشريعة الإسلامية ، كما كانوا يباشرون الأمور السياسية أيضا ، ويؤمونهم في الصلاة ،وفضلاً عن ذلك فقد كانوا يقومون بتدريس العلوم الدينية في أوقات فراغهم ، وكانوا مثلاً في التواضع والزهد . وعلى الرغم من أن دول الطراز الإسلامي لم تفتح مدارس رسمية نظامية على النظام المدرسي الحديث ، فإنها شجعت ذلك التعليم تشجيعاً بالغاً ، فكان معظم الملوك والحكام دعاة ومعلمين ، وكذلك كان الوزراء والقضاة ، يجعلون بيوتهم مدارس ويفتحون أبوابهم على مصاريعها لطلاب العلم ولغير الطلاب من كافة المسلمين ، وكان من الطبيعي أن يقلد الطلاب قادتهم وأساتذتهم ،ومن ثم كثرت المدارس القرآنية ، وتعددت المجالس العلمية في معظم مدن دول الطراز الإسلامي وانتشر التعليم الديني ، وكثر التأليف، فأصبح ذلك العصر عصر نهضة في شتى العلوم النقلية وغيرها. ويمكن القول إن تعليم اللغة العربية قد نال أهمية كبيرة في فترة ازدهار هذه الدول (٤٦).

ولم تكن مناهج الدراسة في تلك المدارس القرآنية منظمة تنظيماً دقيقاً كالذي نعرفه الآن في المدارس ، ولم تكن محدده . لكن ينتقل الصبي في تلك

المدارس الكثيرة من المرحلة الأولية وهي المدارس القرآنية ،ويستمر بعد ذلك في تلك المدارس متنقلاً من عالم إلى آخر ،حتى يصل إلى المستوى المقصود ،ثم يدخل في سلك العلماء ويقتفي أثرهم فيدرس كما يدرسون . وكان الطلبة دائماً يعتمدون على الكتب التي تدرس وعلى المدرس الذي يدرسها على طريقة الأزهر القديم ، حيث إن أساس التعليم مبني على الشيخ والكتاب فقط . وكان الطالب يتنقل من عالم إلى آخر ، وربما كان الانتقال في بعض الأحيان من واحد إلى آخر التماساً للعلم حتى يأخذ كفايته[٤٧]. لقد عكف العلماء على تعليم اللغة العربية وتعلموها لغة وأدباً ، وألفوا بها كتباً كثيرة في شتى الفنون . ولقد أنتج العلماء والأدباء في تلك الفترة كثيراً ، وألفوا كتباً ورسائل عالجوا فيها الكثير من المشكلات الدينية و الاجتماعية والسياسية[٤٨]

لقد أعطى المجتمع الإسلامي هناك العلم والعلماء منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالماً من علماء الدين ، واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للتزود من مناهلهم العلمية . وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية ،وساعد على ذلك قرب المنطقة من موطن الحضارة الإسلامية في مكة والمدينة والقاهرة ودمشق . ونزحت إلى هذه البلاد جميع الفرق والمذاهب المعروفة –آنذاك – في العالم الإسلامي ، كما رحل كثير من أبنائها إلى تلك البلاد ، فتنوعت الحياة الثقافية . وركز سلاطين الطراز على الالتزام بخلق الإسلام في المجتمع ، وفي الإدارة الحكومية ، كما اتخذوا ألقابا متصلة بالدين كسعد الدين وجمال الدين ومعز الدين وغيرها . كما أصبح العلماء مجموعة ذات وجود مؤثر في البلاط السلطاني في الحياة الثقافية والاجتماعية في هدية وأوفات وهرر وزيلع وأرابيني . وقاد العلماء حركات الجهاد كالشيخ محمد أبي عبد الله والشيخ حق الدين الثاني وأحمد بن إبراهيم الجران ، كما تولى بعضهم مهمة السفارات كالشيخ عبد الله الزيلعي[٤٩]

ومهما يكن من أمر ، فقد ازدهرت الحركة العلمية ، وتعدد العلماء والفقهاء الذين يقومون بأمور الدولة ، وبتدريس الدين واللغة العربية التي تدون بها الدواوين على الطريقة الإسلامية . كما كان لدول الساحل الإسلامية مثل : كلوة وأوفات وهدية وأرابيني قضاة ومحاكم شرعية وأئمة للمساجد وكتبة ، مما يستدعي وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية . كما ساعد ازدهار دول الطراز واتساع رقعتها ، وعظمة ملوكها ، وتفانيهم في خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية ، على استمرار هجرة العلماء في أيام السلطان جمال الدين الثاني من سلاطين الطراز الإسلامي ، وقد نزل عدد من هؤلاء في مدينة برية عام (٨٣٤هـ / ١٤٣٠هـ) ثم انتشروا في مدن دول الطراز المختلفة [٥٠] .

وبفضل هجرة العلماء واستمرارها ظلت العقيدة والثقافة الإسلامية ثابتة ، حتى في أصعب أوقات الشدة التي تعرضت لها هذه الدول في نضالها المستمر ضد حملات الصليبين عليها من وقت لآخر ، وأدى ازدهار الحركة العلمية في ربوع هذه البلاد إلى تعدد المؤلفات العلمية وكتب الفقه والحديث والتفسير . ومن أهم ما وصل إلينا منها كتاب "تاريخ عمر ولشمع وإمبراطوريته " "للشيخ أبي بكر باعلوي" ، وفتوح الحبشة لشهاب الدين الجيزاني "عرب فقيه"[٥١].

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية ، وانتشار اللغة العربية في بلاد الطراز ، انتشار الطرق الصوفية وظهورها في شرقي إفريقيا في فترة العصور الإسلامية الوسيطة . وكان أوسع تلك الطرق انتشاراً الطريقة القادرية والشاذلية ، بجانب طرق أخرى هي الرفاعية والأحمدية والإدريسيه وغيرها . وكانت لكل طائفة زواياها الخاصة التي يجتمع فيها المريدون للذكر ، وقد امتدت الطوائف على طول مدن الساحل وجزره ، بل وامتدت لتشمل الداخل أيضاً

. وقد ساهمت هذه الطرق بقدر وافر في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في ربوع الطراز الإسلامي[٥٢] .

وفي ضوء ما تقدم ، يتضح لنا أن حركة التعليم ونشر الثقافة العربية الإسلامية قد تطورت ووصلت منزلة رفيعة خلال فترة ازدهار دول الطراز الإسلامي في الحبشة ؛ لأن هذه الدول قامت على أساس إسلامي خاضع لقوانين شرعية ونظم إسلامية ، فقد كان من الطبيعي أن تدون فيها الدواوين على الطريقة الإسلامية ، وأن يكون فيها محاكم شرعية وقضاة . لذلك أدرك المستعمرون بعد دخولهم هذه البلاد أهمية اللغة العربية حيث كانت اللغة الرسمية ولغة الثقافة ، فحاولوا بكل ما يستطيعون من قوة أن يزيلوا اللغة العربية من مكانها ، فجعلوا اللغات الانجليزية والايطالية والفرنسية هي الرسمية في تلك البلاد ، وأصبحت هذه اللغات هي لغة الدواوين والمكاتب الحكومية . كما استبدل المستعمرون الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغات واللهجات الأفريقية بالحروف اللاتينية في المدارس الحديثة التي أنشأوها ، وشجعوا الإرساليات والطوائف المسيحية في هذه البلاد ، وسهلوا لها كل الطرق والوسائل لنشر الدين المسيحي والثقافة المسيحية . وبرغم ذلك تركت اللغة العربية أثرها البارز في شعوب أفريقية المختلفة ، ويظهر ذلك واضحاً وجلياً في لغاتهم المحلية . ولا يزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية المستخدمة في شرق أفريقية في مظاهر الحياة : الدينية والثقافية والاقتصادية ، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية ، وحتى في أسماء الأعلام والمدن والحيوانات والنباتات . ولا تزال اللغة العربية متفوقة من حيث سعة الانتشار والبقاء بسبب مكانتها المقدسة؛ لأنها لغة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية .

وبعد ، فيتضح لنا أيضا أن أفريقية الشرقية قد كانت ومازالت جزءاً هاماً من دار الإسلام متميزاً في إطارها نابضاً بكل ما نبضت به الحضارة الإسلامية في أثناء القرون الإسلامية الوسيطة من ألوان الحياة الفكرية والعملية ونظمها السياسية والاجتماعية وإبداعاتها الأدبية والفنية ، متفاعلة معطياتها في كل تلك الأبواب مع معطيات مثيلاتها من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية في القارتين الآسيوية والأفريقية .

الحواشي والتعليقات

(١) للحصول على تفصيلات أكثرعن وصول ثم انتشار الإسلام في كل من بلاد الحبشة و الصومال ،انظر .جلال الدين السيوط . أزهار العروش في أخبار الحبوش . محطوط مصور عن نسخة بالأسكوريال ،ميكروفيم رقم(٢٧) تاريخ ،دار الكتب بالقاهرة؛ عبد الرحمن بن الجوزي .تنوير الغبش في فضل السودان والحبش . مخطوط مصور عن نسخةبالأسكوريال ، ميكروفيلم رقم (٢٩) تاريخ ،دار الكتب بالقاهرة ؛أبو محمد عبد الملك بن هشام .السيرة النبوية .تحقيق مصطفى السقا وآخرين (د.ت) ،جـ١ ،ص ٣٢١- ٣٢٢ ،ابن حجر العسقلاني .فتح الباري . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب (د.ت) جـ٧ ،ص١٨٨ ؛غيثان بن علي بن جريس .بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية .تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور /سعيد عبد الفتاح عاشور(الإسكندرية ،١٩٩٤م) جـ١ ،ص ١١- ٣٧ ؛للمؤلف نفسه "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام " مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .العدد (٨) رجب (١٤١٣ هـ) ص ٤١٢- ٤٣٣.
Trimingham .Islam in Ethiopia (London,1976) pp 46 ff. J. Spencer

(٢) للمزيد من التفصيلات ،انظر :أبو الحسن علي بن الحسن المسعودي .مروج الذهب ومعدن الجوهر.(القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م) جـ١ ،ص١١٢و مابعدها؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي .معجم البلدان (بيروت، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦ م) جـ٣،ص٣٤٣ و مابعدها ؛جورج فاضلو حوراني . العرب و الملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى . ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة ،١٩٥٨م) ص،٥٢ و مابعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس " العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية و الثقافية في ظل الإسلام "مجلة المؤرخ العربي . العدد الأول ، المجلد (١) (القاهرة ،١٩٩٣م) ص١٢٨- ١٥٨؛للمؤلف نفسه .الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية و الثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري (كتيب نشر من مركز بحوث كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود بأبها ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص٥و مابعدها .

(٣) محمد بن حبيب .كتاب المنمق في أخبار قريش . تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت ،١٤٠٤هـ/١٩٨٥م) ص ٤٠١ و ما بعدها ،أبو عثمان الجاحظ . التبصر بالتجارة . تحقيق حسن حسني عبد الوهاب (بيروت ،١٩٦٦م) ص٣٤ ؛إبراهيم رزقانه ،ومحمد صفي الدين. الجغرافية الطبيعية (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٢٩٢ و مابعدها .

(٤) للمزيد من التوضيحات انظر .ياقوت الحموي .معجم البلدان جـ٣،ص٣٤٢ و مابعدها ؛جواد علي .المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد ،١٩٧٧م) جـ١ص٤٤ و مابعدها ،أحمد فخرى .دراسات في تاريخ الشرق القديم (القاهرة ،١٩٦٣م) ص١٢٥ و مابعدها ؛غيثان بن علي بن جريس . الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية و الثقافية ...ص٨ ومابعدها ،للمؤلف نفسه "العرب في مقديشو ..."،ص١٢٨- ١٣١؛ جورج حوراني ،العرب و الملاحة في المحيط الهندي ، ص٢٤ و مابعدها .

Patricia Crone . Meccan Trade and the Rise of Islam ,pp.20 ff,١٢٤ ff.

(٥) وللاطلاع على تفصيلات أكثر حول علاقة العرب بالجزء الشرقي من أفريقية ، وعن انتشار الإسلام في تلك الأجزاء ،انظر .محمد بن عمر الواقدي . كتاب المغازي. تحقيق مارسدن جونس (بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) جـ٣،ص٩٨٣ و مابعدها ؛محمد بن إسحاق الفاكهي . كتاب المنتقى في أخبار أم القرى (نشرة وستنفلد) جـ٢ ،(ليبزج،١٨٥٩م) ص٤٤و مابعدها ؛يوسف فضل حسن . دراسات في تاريخ السودان (جامعة الخرطوم، ١٩٧٥م) جـ١ ، ص٣و مابعدها ، غيثان بن علي بن جريس بحوث في التاريخ و الحضارة الإسلامية ، جـ١ ،ص١١- ٢٧ ، ٢٥٧ - ٢٧٣ ؛للمؤلف نفسه "تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز"،ص٤١٤ و مابعدها ؛السر سيد أحمد العراقي ."الإسلام ومراكز الثقافية الإسلامية في اثيوبيا والصومال " ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، (الخرطوم ٢٨/٣٠يوليو/تموز١٩٨٣م) (بغداد ،١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ١٦٤ و مابعدها .

Sir E.A .W .Budge .A History of Ethiopia & Abyssinia (London, 1928) VOL.I,pp.120 ff.; Trimingham, Islam in Ethiopia, pp. ٤٤ff.

(٦) ابن هشام ،السيرة ،جـ١ ،ص٣٢٨- ٣٣٥ ،محمدبن جعفر بن جرير الطبري . تاريخ الرسل والملوك .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت ، د.ت) جـ٢ ،ص٣٢٨ و مابعدها ،عماد الدين ابن كثير .البداية و النهاية . (بيروت ،١٩٧٨م) جـ٣، ص٦٦ ، ٧١و مابعدها ، أحمد حفني القنائي . الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان (القاهرة ، ١٣٢١هـ) ص،ج؛الشاطر بوصيلي عبد الجليل . معالم تاريخ السودان ووادي النيل "القاهرة ،١٩٥٧م) ص١٦ و مابعدها .محمد محمد أمين . تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى (القاهرة ،١٩٧٧م) ص٣٣ وما بعدها ،إبراهيم علي طرخان ."الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى " المجلة التاريخية المصرية (القاهرة ،١٩٥٩م) المجلد الثامن ،ص٥ وما بعدها .عبد الشافي غنيم عبد القادر ."البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية "البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ،أبحاث الأسبوع العلمي ١٠- ١٥ مارس ١٩٧٩م (القاهرة ،١٩٨٠م) ص٧٨ و مابعدها .

(٧) للمزيد من التفصيلات انظر .المسعودي ،مروج الذهب ،جـ١ ،ص٥١- ٥٢؛ أحمد بن علي المقريزي . الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (القاهرة ،د.ت) ص٢٢ و مابعدها ،أحمد حفني القنائي .الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ،ص ١٥- ١٦ ،يوسف فضل "انتشار الإسلام في سودان وادي النيل " ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة الإسلامية (الخرطوم ٢٨/٣٠يوليو تموز ١٩٨٣م) (بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٢٥ و مابعدها ،غيثان بن علي بن جريس ."الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى .مجلة المؤرخ العربي ،العدد الثالث ،المجلد (١) (القاهرة ،١٩٩٥م) ص٧٤- ٧٧ ،للمؤلف نفسه."سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ/١٢٠٠- ١٥٠٠م)"مجلة المؤرخ المصري .العدد (١٦) (يوليو/١٩٩٦م)ص١٥٧- ١٦٠؛

Trimingham, Islam in Ethiopia,pp.5-7)C.N. Stigand. The Land of Zing(London, 1913) pp.104 ff,R.Reusch.History of East Africa, pp. 18-20; Yusuf Fadl Hassan .The Arabs and the Sudan (Khartoum, 1973) pp.59-66

(٨) أبو العباس أحمد القلقشندي .صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (القاهر ، ١٩٠٦م)؛حسن أحمد محمود .الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٤٣٥ و مابعدها ؛ جامع عمر عيسى .الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد وشرق أفريقية ..."ص٧١- ٧٢.

Trimingham, Islam in Ethiopoa , pp . 5 , 7 , 32 -ff. Kamerer, Abyssinie et la Mer Rauge (Le Cairo ,1929) pp.57ff.

(٩) للمزيد عن تلك الدول الإسلامية التي ظهرت في القرن الأفريقي خلال العصر الإسلامي الوسيط، انظر .المقريزي ،الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ،ص٢١و مابعدها ؛إبراهيم طرخان " الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة ..."ص٣٠ و مابعدها ؛محمد المعتصم سيد .دول إسلامية في شرق أفريقيا (هرر و الصومال) (القاهرة ،١٩٦٤م) ص٢٥ و مابعدها ؛ ترمنجهام .الإسلام في شرق أفريقيا –ترجمة محمد عاطف النداوي (القاهرة ، ١٩٧٣م)ص٣٢ومابعدها.غيثان بن علي بن جريس"سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي و علاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط"،بحث منشور في كتابنا بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية (الإسكندرية :دار السماح،١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ج٢،ص ١٥٧– ١٩٥ .

(١٠) للمزيد انظر ،أحمد القنائي،الجواهرالحسان في تاريخ الحشان،ص١٥و مابعدها، المقريزي،الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام،ص٢٣ و مابعدها، إبراهيم طرخان" الإسلام والمملك الإسلامية بالحبشة " ، ص٣٣و مابعدها .

(١١) حمدي السيد. الصومال قديماو حديثا (مقديشو ،١٩٦٥م) جـ١ ،ص٢٧ و مابعدها ؛إبراهيم طرخان ،الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة ،ص ٣٢ و مابعدها .

(١٢) لقد أفردنا بحثين مستقلين عن مملكة أوفات الإسلامية ،أحدهما بعنوان :- "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ/١٢٠٠- ١٥٠٠م) ، وتم نشرة في مجلة المؤرخ المصري ،وقد أشرنا لهذا البحث في ملاحظة (٧) من هذه الدراسة . أما البحث الثاني فهو بعنوان :- "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط " ص ١٥٨ وما بعدها .

(١٣) للمزيد انظر .محمد بن حبيب .كتاب المنمق في أخبار قريش ،ص٣٣ و ما بعدها ، محمد بن عبد الله اللواتي (ابن بطوطة) .رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار .(بيروت . ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م) جـ١ ، ص ٢٦٩ ومابعدها ؛حسن إبراهيم حسن . انتشار الإسلام في القارة الأفريقية (القاهرة ،١٩٦٣م) ص٢٦ و مابعدها ؛ غيثان بن علي بن جريس ."العرب في مقديشو ..." ص١٣١ و مابعدها .

(١٤) حسن أحمد محمود .الإسلام و الثقافة العربية في أفريقيا ،ص٤٣١ و مابعدها ، سير توماس أرنولد .الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن و آخرين (القاهرة ،١٩٧٠ م) ص٣٧٢ و مابعدها،عبد القادر شيخ عبد الله. تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو،١٩٧٨م) ص ١١ و مابعدها .

(١٥) للاطلاع على تفصيلات أكثر عن انتشار الدين الإسلامي بين الشعوب الأفريقية ،وذلك لما يتميز به الإسلام من محاسن ومناقب تختلف عن الأديان الأخرى،سير توماس أرنولد .الدعوة إلى الإسلام ،ص٢٢٣و مابعدها ،حسن إبراهيم .انتشار الإسلام في القارة الأفريقية ،ص٢٤ و مابعدها .

(١٦) للمزيد من التفصيلات عن مملكة أوفات ،انظر .غيثان بن علي بن جريس "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ..." ص١٥٣- ١٨٩،للمؤلف نفسه "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي و علاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط ص ١٦٠ وما بعدها .

(١٧) انظر القلقشندي ،صبح الأعشى ،جـ٥ ،ص٣٣٢و مابعدها.

(١٨) عماد الدين أبو الفداء .كتاب تقويم البلدان (باريس ،١٨٤٠م) ص،١٦٠- ١٦١؛ القلقشندي ،صبح الأعشى ،جـ٨ ،ص١٣٠.

(١٩) أبو الفداء ،كتاب تقويم البلدان ،ص١٦٠،الشاطر بوصيلي عبد الجليل .معالم تاريخ سودان ووادي النيل ،ص٦- ٧.

Trimingham, Islam in Ethiopia,pp.58-9.

(٢٠) للمزيد من التفصيلات عن مملكة هدية .انظر :أبو الفداء ،كتاب تقويم البلدان ، ص١٦٠و مابعدها ؛زاهر رياض . الإسلام في أثيوبيا في العصور الوسطى (القاهرة ،١٩٦٤م) ص٩٥- ٩٧.
Trimingham, Islam in Ethiopia pp.60-2.

(٢١) للمزيد انظر ،إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة "ص٣٤- ٣٧.

(٢٢) القلقشندى ،صبح الأعشى جـ٥ ،ص٣٣٤ و مابعدها ، إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة ..." ص ٣٣ و مابعدها .

(٢٣) انظر ،القلقشندي ،صبح الأعشى ،جـ٥ ،ص ٣٣٥ و مابعدها ،إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة " ص ٣٦- ٣٨.

(٢٤) حمدي السيد .الصومال قديما و حديثاً ،ص٣٩٤ و مابعدها ،غيثان بن علي بن جريس " سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠- ٩٠٠هـ...) ص ١٥٣ و مابعدها .

(٢٥) لمزيد من التفصيلات ،انظر شهاب الدين أحمد بن عبد القادر عرب فقيه .تحفة الزمان (أو) فتوح الحبشة . مخطوط نشرة مع مقدمة بالفرنسية ،رينيه باسيه ،وحققه فهيم محمد شلتوت (القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص٧٥- ٧٩؛فتحي غيث .الإسلام و الحبشة عبر التاريخ (القاهرة ،د.ت) ص٥٣و مابعدها .

(٢٦) انظر ،عبد الشافي غنيم عبد القادر "البحر الأحمر طريق للدعوة الإسلامية " ص٧٩ و مابعدها ؛يوسف فضل "انتشار الإسلام في السودان ووادي النيل " ، ص٢٧ و مابعدها ؛السر سيد أحمد العراقي " الإسلام و مراكز الثقافة الإسلامية في اثيوبيا و الصومال "،ص ١٦٦و مابعدها.

(٢٧) الجاحظ ،التبصر بالتجارة ،ص٣٣ و مابعدها ،شمس الدين المقدسي .أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .تحقيق دي غوي (ليدن ،١٨٧٧م) ص٧٩ ، ٩٧، إبراهيم طرخان "الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة "ص ٣٨و مابعدها .

(٢٨) عبد الرحمن زكي .الإسلام و المسلمون في شرق إفريقية (القاهرة ،١٩٦٥م) ص٧٧ و مابعدها ؛سير توماس أرنولد . الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٧٨ ، ٣٦٩ و مابعدها .

(٢٩) عبد الرحمن زكي ،الإسلام و المسلمون في شرق إفريقية ،ص٧٦ و ما بعدها ؛ السر سيد أحمد العراقي "الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في أثيوبيا والصومال "ص١٦٨ وما بعدها .

(٣٠) لمزيد من التفصيلات ، انظر ،حسن أحمد محمود .الإسلام و الثقافة العربية في أفريقيا ،ص١٣٤ و مابعدها ،عبد الرحمن زكي .الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية ،ص ٧٧ و مابعدها ..

(٣١) للمزيد انظر ،شهاب الدين بن فضل الله العمري .مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق أحمد زكي باشا (القاهرة ،١٩٢٤م) حـ١ ، ص١١- ١٢ ؛ انظر كذلك الجزء الثاني من هذا الكتاب الذي لازال مخطوطاً بجامعة الأزهر تحت رقم (٦٧٣٥/٤٤١) القلقشندى ،صبح الأعشى ،جـ٥ ،ص٣٢٣و مابعدها .

(٣٢) ابن بطوطة ،تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأمصار ، جـ١ ،ص٦٨ ،و مابعدها .

(٣٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،جـ٢ ،ورقة ١٨٤و مابعدها ،ابن بطوطة . تحفة النظار في غرائب الأمصار ، جـ١ ،ص٢٦٩و مابعدها .

(٣٤) لمزيد من التفصيلات انظر ،فاضلو حوراني .العرب و الملاحة في المحيط الهندي ، ص٥١ ومابعدها ؛محمد محمد أمين .تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى ،ص٣٢و مابعدها ،غيثان بن علي بن جريس . بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية ،جـ١ ،ص١١- ٣٧ ،للمؤلف نفسه "الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية " ص٧١ ومابعدها ، للمؤلف نفسه "الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية و الثقافية ... " ص٩و مابعدها ،للمؤلف نفسه ايضاً "سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠-

٩٠٠هـ/١٢٠٠-١٥٠٠م) ص١٥٣-١٨٩.

(٣٥) ابن بطوطة. تحفة النظار في غريب الأمطار، ص٢٦٨، المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص٢٧ وما بعدها. محمد محمد أمين. تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، ص٣١ وما بعدها غيثان بن علي بن جريس "العرب في مقديشو..." ص١٢٩وما بعدها.

(٣٦) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ١، ص٢٦٩ و مابعدها.

(٣٧) لمزيد من التفصيلات انظر، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص٣٢٣-٣٢٧؛العمري، مسالك الأبصار، جـ١، ص١٢-١٥؛زاهر رياض. الإسلام في اثيوبيا، ص٦٤ و مابعدها؛عبد المجيد عابدين بين الحبشة والعرب، ص٢٤٢ و مابعدها.

(٣٨) توماس أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص٨٧،وللإطلاع على تفصيلات أكثر انظر، محمد المعتصم سيد. دول إسلامية شرق افريقيا (هرر والصومال)، ص٣٦ و مابعدها، حسن أحمد محمود. الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٤٢٦ و مابعدها.

(٣٩) انظر، إبراهيم طرخان، الإسلام و الممالك الإسلامية بالحبشة في العصور الوسطى، ص٣٧-٤٠.

(٤٠) الشاطر بوصيلي. معالم تاريخ السودان ووادي النيل، ص٥٣-٥٥، غيثان بن علي بن جريس "العرب في مقديشو..."، ص١٣٢و مابعدها؛

Trimingham, Islam in Ethiopia. Pp.18-21.

(٤١) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار، جـ١، ص٢٧٩و مابعدها.

(٤٢) لمزيد من التفصيلات، انظر. عبد الرحمن بن خلدون. مقدمة ابن خلدون (القاهرة، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨) جـ٢، ص٥٧١-٥٧٣؛شهاب الدين عرب فقيه، تحفة الزمان (فتوح الحبشة)، ص١٧-٢٣.

(٤٣) حمدي السيد. الصومال قديماً وحديثاً، ص٣١٧ و مابعدها؛حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص٢٤٠-٢٤٢، صلاح العقاد. زنجبار (القاهرة، ١٩٥٩م) ص٢٢-٢١٠؛غيثان بن علي بن جريس "سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الأفريقي و علاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط...." ص ١٦٢ وما بعدها.

(٤٤) لمزيد من المعلومات، انظر. شمس الدين الأنصاري الدمشقي. نخبة الدهر في عجائب البر و البحر (بطرسبورج، ١٢٨١هـ/١٨٦٥) ص١٦٢-١٦٣؛ حمدي السيد. الصومال قديماً وحديثاً، ص٣٤٦.

(٤٥) حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص٢٣٩-٢٤٢.

(٤٦) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص٧-٩؛المقريزي، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، ص١٣٣-١٣٥.

(٤٧) عبد القادر شيخ عبد الله. تاريخ التعليم في الصومال (مقديشو، ١٩٧٨م)، ص١٤ و مابعدها

Freeman & Grenville, The East African Coast, pp. 39-41, Reusch, History of East Africa, pp. 154-5.

(٤٨) حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص٢٤٦و مابعدها.

Marsh & kingsnorth. An Introduction to the History of East Africa (London, 1966)pp.31-4.

(٤٩) لمزيد من التفصيلات، انظر. ابن بطوطة. تحفة النظار. جـ١، ص٩٣-٩٤، ١٠٧، ٢٦٨ و مابعدها ؛حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص٢٤١ و مابعدها.

(٥٠) حسن إبراهيم حسن. انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص٢٤٤و مابعدها،

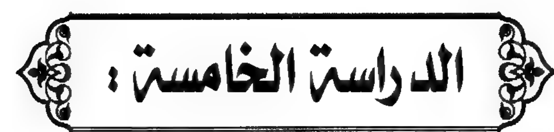
Freeman & Grenville The East African Coast pp. 172-3; Reusch, History of East African pp. 123-129.

(٥١) شهاب الدين عرب فقيه. تحفة الزمان (فتوح الحبشة)، ص١٧-٢٥.

(٥٢) Trimingham, Islam in Ethiopia pp.135-7

Marsh & Kingsnorth, An Introduction to the History of East Africa, pp. 23 ff.





جنوب السعودية في كتاب :

مرتفعات الجزيرة العربية

لهاري سانت جون فيلبي

(❖)بحث قدم في ندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة تحت عنوان " العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة " والتي عقدت في الفترة الممتدة من (١١ — ١٢ /١٠/١٤٢٥ هـ الموافق ٢٤ — ٢٥ /١١/٢٠٠٤ م . وقد نشر هذا البحث في كتاب مداولات الندوة والذي عنوانه : " العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة " . حصاد رقم (١٢) . (القاهرة : منشورات اتحاد المؤرخين ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، ص ٢٤١ — ٢٧٦ .

محتويات بحث

جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية
لهاري سانت جون فيلبي
(دراسة تاريخية تحليلية)

جنوب السعودية في كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي : دراسة تاريخية تحليلية .

أولاً : مقدمة :

إن شبه الجزيرة العربية ، جنوبيها بعامة، وبلاد عسير وجازان ونجران بخاصة من المناطق التي عانت،عبر العصور الإسلامية ، قصوراً في تدوين تاريخها وتراثها، إنما كان ذلك لعدة أسباب منها :

١- بعدها عن مواطن الحضارات الإسلامية في كل من الشام والعراق وفارس ومصر وبلاد المغرب وغيرها ، فبعد خروج مقر الخلافة الإسلامية من شبه الجزيرة في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شابها فقر في تدوين تراثها وحضارتها.

٢- إن صعوبة التضاريس في أجزاء عديدة من شبه الجزيرة العربية ، مثل : بعض النواحي في جازان ونجران وعسير وما حولها ، ما جعلها في معزل عن بقية بلدان العالم ، كذلك وجعلها منسية في أغلب كتب التراث الإسلامي خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة [١].

أما وضع جنوب البلاد السعودية في العصر الحديث والمعاصر فإنه أحسن حالاً من العهود الإسلامية السابقة ، حيث بدأ الاهتمام بها من الناحية العلمية والفكرية ، فظهر خلال القرنين الماضيين عدد من المؤرخين بدأوا الكتابة عنها وإبراز أهميتها السياسية والحضارية[٢] ، ولم يقتصر هذا الاهتمام على المراجع والمصادر العربية فحسب، بل ظهر بعض الأوربيين الذين أدرجوها ضمن بعض مؤلفاتهم[٣] ، ثم وفد بعض الرحالة الأوربيين إليها ، فدونوا عنها كتباً لخصوا

فيها رحلاتهم وتجاربهم ومشاهداتهم في تلك الربوع ، كما سجلوا وجهات نظرهم عن تاريخ وآداب وحضارة هذه البلاد . وعلى الرغم من أن بعض هؤلاء الرحالة الأوربيين جاءوا إلى منطقتنا المعنية بالدراسة لأهداف معينة ، لكنهم بدون شك جمعوا لنا مادة علمية قيمة صورت لنا مظاهر الحياة السياسية والحضارية في عموم جنوب السعودية ، ثم إن مدوناتهم التي وصلتنا تعد حقيقة من المراجع الجيدة التي دونت تاريخ هذه البلاد في فترة لم يكن قد دون عنها الشيئ الكثير(٤) . ولقد قصرت دراستي في هذه الورقة على كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي ، وذلك لعدة أهداف منها : -

١- صلتنا القديمة بقراءة الكتاب في نسخته الأصلية (باللغة الإنجليزية) ثم الحديث عنه بشكل مختصر في ورقة قدمت : لندوة اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨ – ١٠ / شعبان ١٤٢٠ هـ - الموافق ١٦ – ١٨ نوفمبر / ١٩٩٩ م) تحت عنوان : ((إقليم عسير في عيون الرحالة الأوربيين)) (٥) . ثم وصول دعوة إلينا من أستاذنا الكريم الأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور رئيس اتحاد المؤرخين العرب خلال عام (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) يخبرنا فيها بأن ندوة هذا العام التي يقيمها الاتحاد سوف تكون تحت عنوان : العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة ، لهذا قررت الرجوع إلى هذا الكتاب بشكل عام ، لأنه لم يقتصر على إقليم عسير فقط ، وإنما شمل معظم الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، والممتدة من السليل شرقاً إلى الطائف ، ثم إلى عسير وجازان ونجران جنوباً بالإضافة إلى المنطقة الساحلية الممتدة من جازان إلى مكة المكرمة(٦).

٢- رجوعنا هذه المرة إلى هذا الكتاب في نسخته العربية وليس في نسخته الأصلية ، كما حدث معنا من قبل ، لأن مكتبة العبيكان مشكورة

قد قامت منذ زمن بالعكوف على ترجمة بعض مؤلفات فيلبي[٧]، وهذا الكتاب الذي نحن بصدده في هذا البحث يعد من أفضل كتب ودراسات فيلبي عن شبه الجزيرة العربية ، وقد قام بترجمته على نفقة آل العبيكان الدكتور/ حسن مصطفى حسن، ثم أوكل إلينا مراجعة الكتاب وتدقيق معلوماته وكتابة تقديم له ، لهذا اضطررت العيش مع مادة الكتاب قرابة سنة كاملة راجعت النص الأصلي مع النصوص المترجمة ، ثم ذهبت إلى جميع المناطق التي زارها فيلبي فاتضح لنا الكثير من الأخطاء العلمية واللغوية عند كل من صاحب الكتاب فيلبي ، وكذلك في النسخة المترجمة ، وقد عملنا ما بوسعنا من إصلاحات وتصويبات في معظم متون الكتاب وحواشيه ، مع ذكر العديد من المصادر والمراجع التي رجعنا إليها أثناء مراجعة هذا السفر الكبير الذي يقع في مجلدين ، وفي حوالي (١٥٠٠) صفحة[٨].

٣- الدعم غير المحدود والذي وجده فيلبي من الملك عبد العزيز ، وقد لمسنا ذلك في هذا الكتاب ، وفي كتب أخرى عديدة ، فكان الملك عبد العزيز يعمل جاهداً على تسهيل جميع مهماته المادية والأمنية والاجتماعية بل يحث رجال حكومته في جميع المناطق التي زارها ، على توفير جميع مطالبه ، ودعمه بكل ما يستطيعون[٩].

٤- معظم دراسات فيلبي قائمة على الرحلات والتجوال في نواحي الجزيرة العربية ، وهذا بدون شك أمر صعب جداً ، لما يقابل من عقبات جغرافية ، وسياسية ، وأمنية واقتصادية ، واجتماعية ، ولكن هذا الرحالة تجاوزها بسبب حماية الملك عبد العزيز له ودعمه الكبير[١٠]، ثم صبره وعزيمته ، وكذلك سعة معارفه وثقافته وإتقانه اللغة العربية ، بالإضافة

إلى دبلوماسيته سواء مع الملك عبد العزيز ورجال دولته ، أو مع عامة الناس ، كل هذه الأمور مجتمعة جعلته ينجح في معظم رحلاته ، وبالتالي ترك لنا كنزاً معرفياً كبيراً أمثال هذا الكتاب الضخم الذي هو عنوان ورقتنا هذه .

ثانياً : التعريف بهاري سانت جون فيلبي (H.St.J.B. Philby) .

صاحب كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، هو هاري سانت جون فيلبي (H.St.J.B. Philby) الإنجليزي الجنسية ويدعى اختصاراً جاك أو (عبد الله فيلبي) والمولود في عام (١٨٨٥م) والمتوفى عام (١٩٦٠م) ، فهو من معاصري أحداث القرنين (الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، والتاسع عشر والعشرين الميلاديين) . انخرط بداية حياته في وظائف عدة بالحكومة البريطانية ، ثم قدم إلى شبه الجزيرة العربية في اليوم السابع عشر من تشرين الأول سنة (١٩١٧م) ، حيث ذهب من البصرة إلى الأحساء ومنها اتجه إلى الرياض ، حيث اجتمع لأول مرة بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وقد فصَّل ذلك في كتابه : أيام بلاد العرب . Arabian Days ، الذي قام بتلخيصه الأستاذ/ خيري حماد في كتابه: عبد الله فيلبي قطعة من تاريخ العرب الحديث ، ونشره في بيروت عام (١٣٨١هـ /١٩٦١م) [١١].

ويختلف فيلبي عن جميع الرحَّالة الذين قدموا إلى الجزيرة العربية في التاريخ الحديث والمعاصر؛ وذلك لغزارة مؤلفاته عن شبه الجزيرة العربية ، بل نستطيع القول بأنه امتاز بالريادة في الكتابة التاريخية عن المملكة العربية السعودية بخاصة والجزيرة العربية بعامة ، وقد ذكر عنه الشيخ حمد الجاسر قوله :

((الحقيقة التي يجب أن تقال هي أن فيلبي أسدى للجزيرة العربية يداً قصَّر عن مدها إليها من سواه)) [١٢]. أيضاً ذكر جورج رنتز (George Rentz)

في حديثه عن فيلبي ((أنه أكثر الغربيين إنتاجاً عن تاريخ هذه البلاد))[١٣] ويقصد بالبلاد ، المملكة العربية السعودية ، منوهاً في ذلك إلى أن السبب في تلك الغزارة يرجع إلى حصول فيلبي على مؤهلات الكتابة التاريخية عن هذه البلاد ، ومن أهمها معرفته التامة بجميع نواحيها ، فقد عاش في شبه الجزيرة العربية متنقلاً بين ربوعها أكثر من أربعين عاماً ، أي منذ أن وطئت قدماه أراضيها لأول مرة عام (١٣٣٦هـ/١٩١٧م) إلى وفاته عام (١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)[١٤].

وإذا كان (عبد الله فيلبي) قد بدأ حياته العملية في خدمة الإمبراطورية البريطانية ككثير من أبناء جلدته ، فإنه بعد أن جاء إلى شبه الجزيرة العربية ، والتقى بالملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ثم دان بالإسلام صار عندئذ حميم العلاقة مع الملك عبد العزيز ، وبالتالي أصبح من المقربين لدى الملك حتى إنه أرسله في عدد من المهام الخاصة بالدولة داخل البلاد وخارجها ، وذكر فيلبي كثيراً من تلك المهام في مذكراته وكتبه ومقالاته الكثيرة [١٥] .

وقد ترك لنا المؤرخ والرحالة فيلبي عدداً من المؤلفات والمقالات المتنوعة في عناوينها وأطروحاتها ، وجميعها دُوِّنت باللغة الرئيسة التي يتكلمها فيلبي ، وهي اللغة الإنجليزية ، وبعضها قد ترجم إلى اللغة العربية [١٦]، ومن تلك المؤلفات . (حسب الطبعات التي وقفت عليها) .

١- كتاب : قلب الجزيرة العربية . طبع في نيويورك سنة (١٩٢٣م)
٢- كتاب : تاريخ الحجاز المعاصر . طبع في لندن سنة (١٩٢٥م).
٣- كتاب : جزيرة العرب الوهابيين . طبع في لندن سنة (١٩٢٨م) .
٤- كتاب : الجزيرة العربية . وقد نشرته دار(ارنست لتد) في سنة (١٩٣٠م) .

٥- كتاب : الربع الخالي . طبع في لندن سنة (١٩٣٣م).
٦- كتاب : النقوش في نجران . طبع في لندن سنة (١٩٤٤م).
٧- كتاب : ثلاثة نقوش في حضرموت .طبع في لندن سنة (١٩٤٥م)
٨- كتاب : أيام عربية . طبع في لندن سنة (١٩٤٨م).
٩- كتاب : الذكرى العربية . طبع في واشنطن سنة (١٩٥٢م).
١٠- كتاب : العربية السعودية . طبع في لندن سنة (١٩٥٥م).
١١- كتاب : أرض مدين . طبع في واشنطن سنة (١٩٥٥م).
١٢- كتاب : أربعون عاماً في القفر .طبع في واشنطن سنة (١٩٥٧م).
١٣- كتاب : صفقات الزيت العربي .طبع في واشنطن سنة (١٩٦٤م)
١٤- كتاب : بنات سبأ . طبع في لندن سنة (١٩٨١م).
١٥- كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية . طبع في نيويورك سنة (١٩٧٦م) (١٧).

وهناك كتب ومقالات أخرى عديدة لم نشر إليها، والغالب على معظم الدراسات التي دونها فيلبي تميزها بوفرة المعلومات الجديدة في محتوياتها وطريقة تدوينها، كما أن المشاهدة وتنوع الخبرة عند هذا الرحّالة جعلته يصبغ كتبه وأبحاثه بصبغة يسودها العمق في التحليل والتدوين . حتى إننا نجده أحياناً يخوض في جزئيات وتفاصيل دقيقة لا تتأتّى إلاّ لمن كان كثير الرحلة والتجوال، وكان شاهد عيان لتلك التفاصيل ، وعلى الرغم من أن جميع أبحاثه وموضوعاته تدور حول الجزيرة العربية ، فإنها تميزت - كما سبق القول – بالتنوع(١٨) ، ولذا سوف نقتصر في هذه الدراسة على عرض المؤلف الخامس عشر من مؤلفاته ، الآنفة الذكر، والموسوم بـ : مرتفعات الجزيرة العربية " [Arabian Highlands] .

ثالثاً : التعريف بكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، وأقسامه .

عنوان الكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية (Arabian Highlands) لمؤلفه سانت جون بريجر فيلبي أو " عبد الله فيلبي " كما عُرف بالمنطقة العربية ، وقد طبع الكتاب باللغة الإنجليزية بمطبعة جامعة كورنل أثاكا في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٦م . ويقع في (٧٧١) صفحة من القطع المتوسط ، وقامت على نشره جمعية الشرق الأوسط في واشنطن ، دي . سي(Washington , D.C)[١٩] . وقد اعتمدنا على الطبعة العربية المترجمه من قبل مكتبة العبيكان عام ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) والتي تأتي في مجلدين كبيرين [٢٠].

ونجد في بداية الطبعة الإنجليزية مقدمتين إحداهما مؤرخة بعام (١٩٤٤م) ، والثانية ترجع إلى عام (١٩٥١م) [٢١]، أما المقدمة الأولى فيبدو أن فيلبي قد دونها أثناء انتهائه من جمع ثم تدوين معلومات هذا الكتاب ، وقد أشار فيها إلى فضل جمعية الشرق الأوسط سالفة الذكر لقيامها بالدعم العلمي له ، وتكفلها بنفقات نشر كتابه هذا . كما نلاحظ أنه نوه في ذات المقدمة إلى أهمية كتابه وكونه من أفضل الكتب الأجنبية التي صُنِّفت عن النصف الجنوبي الغربي من البلاد السعودية ، ونحن نوافقه القول لما احتوى عليه هذا المصنف من معلومات متنوعة وقيمة يندر وجودها في مرجع آخر تناول هذا الجزء من الجزيرة العربية خلال الفترة الزمنية نفسها وهي العقد الرابع من القرن الميلادي الماضي [٢٢].

أما المقدمة الثانية والمؤرخة بعام (١٩٥١م) ، فليست سوى تكملة للمقدمة السابقة ، وقد أشار فيها إلى مرور سبع سنوات على كتابة مقدمة الكتاب الأولى وتوضح أنه خلال تلك السنوات بدأت أوضاع البلاد السعودية في

التحسن والنمو ، وأنه يتنبأ بمستقبل مشرق لهذه البلاد ، كما ينوه إلى تطور العلاقات السياسية والحضارية بين الحكومتين السعودية والأمريكية ، ويوضح تركيز الأمريكيين في دراساتهم وبحوثهم الأكاديمية على شبه الجزيرة العربية[٢٣] .

وهذا الكتاب الضخم ، موضوع الدراسة ، عبارة عن رحلة قام بها عبد الله فيلبي من بلدة السليل في أسفل وادي الدواسر ، وذلك بعد الانتهاء من رحلته في الربع الخالي ، والتي فصَّلها في كتابه : الربع الخالي (The Empty Quarter) الذي صدر في لندن عام (١٩٣٣م) [٢٤].

وانطلاقة فيلبي في هذه الرحلة من بلدة السليل نحو بيشة والطائف ومكة المكرمة ، وقد أشار إلى ذلك في الباب الأول من كتابه الذي قسمه إلى ستة أبواب تحتوي على ثلاثة وثلاثين فصلاً خصص لكل باب منطقة جغرافية ، ولكل فصل بلدة أو ناحية من جنوبي المملكة العربية السعودية[٢٥]، كما سوف نذكر في الصفحات التالية ، بالإضافة إلى عدد من الصور والرسوم والخرائط القيمة ، وكذلك عدة ملاحق وفهارس بأسماء الأعلام والأماكن والقبائل [٢٦]، كما يأتي في الصفحات الأولى من الجزء الأول . " كلمة الناشر " للطبعة العربية (مكتبة العبيكان) وضح فيها بعض الأسباب التي جعلته يسعى إلى ترجمة هذا الكتاب وغيره من كتب فيلبي الرائدة في موضوعاتها وتفصيلاتها[٢٧]. كما تلي هذه الكلمة سبع صفحات أخرى من تدوين المدقق والمراجع لهذا الكتاب ، أوضح فيها أهمية هذا الكتاب لما احتوى عليه من معلومات دقيقة ورئيسة في جوانب تاريخية وحضارية عديدة[٢٨].

رابعاً : دراسة وصفية للكتاب :

يحتوي الباب الأول : على ثلاثة فصول ناقشت ذهاب فيلبي من أطراف الربع الخالي الشمالية الغربية إلى مكة المكرمة ، وهذه الرحلة عبارة عن نهاية رحلته التي بدأها من الأحساء وانتهاء منها في مكة المكرمة بالحجاز[٢٩]. ذكر في الفصل الأول : ما يلي الربع الخالي ، ودون فيه ما شاهده في وادي السليل وبلاد الدواسر من قرى وهجر ، بالإضافة إلى وجود الكثير من النباتات والحيوانات وبعض الطيور المختلفة[٣٠].

أما الفصلان الثاني والثالث : فحصرهما على بيشة ، ثم البلاد الممتدة من شمال بيشة حتى مكة المكرمة ، ذكر فيها ما رأى من قرى ومواطن استيطان ، كما أوضح أهمية بيشة التجارية ، وعلاقاتها الاقتصادية مع ما جاورها من البلدان مثل اليمن ، وعسير ، والحجاز . ولم يغفل ذكر مصبات بعض الأودية الرئيسة في هذه المناطق ، مثل أودية بيشة ، ورنية ، وتربة التي تأتي مصباتها من قمم جبال السروات الواقعة إلى الغرب من هذه البلاد المشار إليها في هذين الفصلين [٣١].

الباب الثاني تحت عنوان :" الوادي الثلاثي " ، ويشتمل على سبعة فصول ، أولها بعنوان ((الملك في معسكره)) ويقصد بذلك الحديث عن مخيم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي رآه والتقى به في حج عام (١٩٣٦ م) ، كما ذكر فيلبي بعض الترتيبات التي قام بها من أجل بداية رحلته في جنوب البلاد السعودية والتي بدأها في (٢٢/ أبريل /١٩٣٦م) ، وهي موضوع بحثنا هذا ، كما ذكر أن ذهابه في هذه الرحلة بناء على توجيه من الملك عبد العزيز كي يقوم بدراسة هذه المنطقة التي تعد حلقة الوصل بين اليمن والحجاز ، كما كان عليه لأن يقف على مواقع الحدود التي رسمت بين حكومتي اليمن والسعودية في عام (١٩٣٤ م) [٣٢].

أما الفصول : الخامس ، والسادس ، والسابع ، والثامن ، والتاسع ، والعاشر ، فقد شملت الحديث عن المناطق الشرقية الرئيسة لبلاد السروات الممتدة من الطائف حتى الحدود الشمالية لبلاد نجران ، وهي الخرمة ، ورنية ، وبيشة ، وخميس مشيط ، ومرتفعات عسير وقاعدتها مدينة أبها ، وأخيراً وادي تثليث . تم تدوين هذه الفصول الستة في حوالي (٢٢٧) صفحة[٣٣]، ناقش فيها المؤلف كثيراً من التفصيلات الجغرافية : كالتضاريس ، والمناخ ، وأشار إلى كثير من النباتات والحيوانات المتواجدة في هذه المناطق ، كما تعرض لشروحات عديدة عن الزراعة ، والتجارة ، مع ذكر السلع والعملات التي كانت تتداول في الأسواق الأسبوعية وبخاصة في بيشة ، وخميس مشيط ، وأبها ، كما نوه إلى بعض الأحداث العسكرية التي حدثت في منطقة عسير خلال الحكم العثماني وحكم آل عائض على هذه البلاد[٣٤]. ولم ينس الإشارة إلى كثير من الحرف والمهن التي كان يمارسها السكان مع الإشارة إلى كثير من العادات والأعراف التي كان يقوم بها أهل هذه المنطقة ، ومنها ما يتعلق بالطعام والشراب ، واللباس ، والزينة ، والبناء والعمران ، وكذلك الزواج والاحتفالات والفنون العلمية والفكرية والشعبية . كما تعرض لذكر أسماء وأوصاف بعض الأمراء والشيوخ والوجهاء في معظم بلاد عسير[٣٥]، ولم يغفل الحديث عن بعض الآثار والنقوش والرسومات التي شاهدها في نواحي عديدة بالبلاد الممتدة من بيشة إلى أبها وتثليث[٣٦].

الباب الثالث ، بعنوان : بلاد يام [٣٧] . ويحتوي على ستة فصول وأرقامها في فصول الكتاب من (١١ – ١٦) ، وقد اشتملت جميعها على تاريخ وحضارة نجران في القديم والحديث ، ففي الفصل الأول من هذا الباب والحادي عشر من فصول الكتاب العامة ، والذي أسماه : عتبة نجران ناقش فيه وادي حبونا من الناحيتين الجغرافية والبشرية ، وأشار إلى وجود بعض الآثار الدينية القديمة في هذا الوادي[٣٨].

أما الفصول الخمسة الأخرى : فقد وضع لكل منها عنواناً مستقلاً هي : كعبة نجران ، أولى الخطى إلى نجران ، الأخدود ، الحياة في نجران ، الزيارة الثانية إلى نجران[٣٩]. وتحدث في هذه الفصول عن كثير من آثار نجران القديمة ، وتعرض للتاريخ السياسي القديم لهذه البلاد ، وبخاصة أثناء قيام ممالك الجنوب مثل : دولة معين ، وسبأ ، وحمير[٤٠] ، كما اهتم بذكر تفصيلات عن قبائل يام وفروعها ومشيخاتها الرئيسة ، ولم يغفل الإشارة إلى بعض النواحي الاجتماعية عند النجرانيين كالأطعمة والأشربة ، وكذلك بعض العادات والأعراف القبلية . وذكر أيضاً بعض المعلومات عن المكارمة الإسماعيلية في بلدة خشيوة بنجران [٤١] .

وفي الفصل الأخير من هذا الباب المدون تحت عنوان : الزيارة الثانية إلى نجران ، وذلك بعد خروجه من نجران حوالي (٨٠) يوماً ذهب فيها إلى مأرب وحضرموت وشبوة في بلاد اليمن ، وأفرد هذه الرحلة في كتاب آخر سماه : بنات سبأ[٤٢] ، ثم عاد إلى نجران مرة ثانية وتحدث عن بعض النواحي التجارية في أسواق نجران ، وأورد في نهاية هذا الفصل ثلاث صفحات تحت اسم ((قرى نجران)) ذكر فيها عدداً من القرى والبيوت والمزارع التي كانت تابعة للفروع الرئيسة في قبيلة يام[٤٣] .

الباب الرابع والموسوم بـ : الهضبة المرتفعة ، ويشتمل على سبعة فصول ، وتحتل الأرقام (١٧ – ٢٣) من فصول الكتاب الرئيسة ، وعناوينها على النحو التالي : الطريق إلى حبونا ، وادي حبونا ، وطن السفاحين ، وتثليث الأعلى ، المنابع العليا لحبونا ، تخوم الهضبة ، عودة إلى شراقب[٤٤].

عمل في تدوين هذه الفصول على نفس المنهج الذي سلكه في الفصول السابقة ، معتمداً على المشاهدة والمقابلات مع أعيان وبعض سكان هذه المناطق،

ولم يغفل الحديث عن بعض الأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت في بلاد نجران مع بعض القوى اليمنية خلال العقد الرابع من القرن الميلادي الماضي [٤٥].

الباب الخامس بعنوان : مرتفعات تهامة ويحتوي على خمسة فصول (٢٤ - ٢٨) من الفصول الرئيسة للكتاب ، وهي : وادي بيش ، منطقة صبيا ، جازان ، مرتفعات تهامة ، حدود المرتفعات[٤٦]. وفي هذه النواحي كان فيلبي قد انتقل من مرتفعات السروات إلى سهول وبعض جبال وهضاب تهامة ، وشاهد الاختلاف بين الأجزاء التهامية والسروية من حيث التضاريس ، والمناخ ، وطبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية . وهذا التباين يعود في الأساس إلى أوضاع واختلاف النواحي الجغرافية الطبيعية في المنطقتين[٤٧].

الباب السادس والأخير الذي يأتي في خمسة فصول (٢٩ – ٣٣) من فصول الكتاب والموسوم بـ : منخفضات تهامة ذكر فيه هذا الرحالة الكثير من المعلومات الخاصة بالمنطقة الممتدة على حدود اليمن والسعودية في النواحي التهامية ، ثم عاد أدراجه من جازان إلى مكة المكرمة في الحجاز[٤٨]. وأشار إلى تفصيلات قيمة عن الطريق الساحلي الذي يربط بين مكة المكرمة وجازان ، مع التوقف عند بعض المراكز الحضارية على هذا الطريق مثل : صبيا ، وبيش ، والدرب ، والقحمة ، والبرك ، وحلي ، والليث ، والقنفذة[٤٩]. ومن بلدة الليث اتجه إلى مكة المكرمة ودخلها في (١٩٣٧/٢/١٨ م) [٥٠].

خامساً : دراسة تحليلية للكتاب :

إن الموجز الوصفي الذي أوردناه عن هذا الكتاب الضخم يُعَرِّف القارئ الكريم على الإطار العام لمسيرة الرحلة التي بدأت فعلاً من مكة المكرمة ، وانتهت في مكة ، بعد حوالي عشرة شهور[٥١]، قضاها هذا الرحالة بين سكان

نواحي عديدة من جنوب المملكة العربية السعودية . وفي الصفحات التالية نتوقف مع بعض المعلومات والروايات التاريخية التي حفظها لنا فيلبي ، وقد نجد صعوبة في العثور عليها في مصادر ومراجع أخرى ، وإن ذكرها غير فيلبي فإنها تكاد تكون مضطربة ، أو ناقصة ، وغير دقيقة . ويجب القول بأن هذا الكتاب جدير لأن يكون موضوع رسالة ماجستير أو دكتوراه ، لما احتواه من معلومات وتفصيلات كثيرة تحتاج إلى التحليل والنقد والمقارنة ، مع مصادر ومراجع معاصرة ، أو متأخرة[٥٢].

وسوف نتحدث عن عناصر عديدة شملها الكتاب وهي على النحو التالي :

١- الأحوال الجغرافية :

اتصف فيلبي بخبرة واسعة في علم الرحلات ، فتراه دقيق الملاحظة عندما يدخل إلى منطقة جديدة فيذكر السمات العامة لتضاريسها ومناخها ، وأشجارها ونباتها ، وحيواناتها وطيورها وحشراتها ، بل كان مولعاً بالخروج إلى الطبيعة وصيد الطيور والحشرات[٥٣]، والتعرف على الأسماء المحلية لبعض الأشجار والنباتات . ويذكر أحياناً المناخ الذي امتازت به بعض المناطق ويقارن الأحوال المناخية في كل من الجبال والسهول وأثناء الليل والنهار ، ويشير إلى بعض المعالم الجغرافية المهمة في كل منطقة مثل : الجبال والأودية والهضاب الكبيرة والهامة، ويدون تفاصيل دقيقة عن الطرق والمسالك والجداول المائية التي تتخلل بعض المدن والقرى والأرياف . كما نوه إلى سكان المناطق التي زارها وكيف كانوا يتكيفون في مساكنهم وملابسهم وطعامهم وشرابهم مع ظروف المناخ ، واختلاف التضاريس ، فالذين يعيشون في السهول التهامية الحارة يلبسون الملابس الخفيفة ، بعكس الذين كانوا في المناطق الباردة في فصل الشتاء مثل : أبها ، وتثليث ، ونجران ، فتجدهم يحرصون على لبس الملابس الثقيلة لمحاربة البرد الذي يحل عليهم عدة شهور من السنة[٥٤] .

٢- الأوضاع السياسية والتاريخية :

إن القارئ لكتاب فيلبي : مرتفعات الجزيرة العربية ، يجده يتحدث عن التاريخ القديم من خلال الحضارات التي ظهرت في اليمن في عهد دول : معين ، وسبأ ، وحمير ، فذكر أقيالها وملوكها ، وبعض من أعمالهم ، مع أن معلوماته في هذا الجانب يشوبها الكثير من الشكوك والخلط حول عصور وأسماء أولئك الملوك ، ومن يطالع في هذه الجزئية يجب عليه أن يكون حذراً فيما دونه هذا الرحالة(٥٥)، كما أنه في معظم جولاته في أنحاء جنوبي السعودية يحرص على الوقوف على الآثار والنقوش والرسوم المتناثرة في أجزاء عديدة من تلك البلاد فيدرسها ويحللها ، وأحياناً يرسل بعض الآثار إلى المتحف البريطاني ، كما نشر بعض الدراسات عن تلك الآثار والنقوش وبخاصة ما وجده في بلاد نجران وعسير (٥٦).

وهذا الكتاب يعد من المصادر المهمة عن أوضاع جنوب السعودية في فترة حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وبخاصة خلال العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري (الرابع من العشرين الميلادي) ، فيما يتعلق بالسيطرة الكاملة لابن سعود على مناطق عسير ، وجازان ، ونجران مع الإشارة إلى الأمراء المعينين على تلك البلاد ، وكيفية اتصالاتهم وعلاقاتهم بالملك عبد العزيز وأبنائه (سعود وفيصل) (٥٧) كما وقف على معظم الحدود السعودية اليمنية المتدة من الساحل غرباً إلى حدود الربع الخالي شرقاً فذكر مواقعها ، وتحديدها على الخرائط ، وأشار إلى القبائل التي تعيش حولها من الجانبين (السعودي واليمني)، مع توضيح مواقف الدولتين من تلك الحدود والسكان القاطنين حولها . وأشار أيضاً إلى تركيبة القبائل السياسية ، وبخاصة البدوية منها المعتمدة على التنقل والترحال ، وكيفية الأعراف والعادات السائدة

بينها ، والتي كانت الضابط الإداري والسياسي الذي يضبط طريقة التعامل فيما بين أفرادها ، مع ذكر أن حكومة الملك عبد العزيز كانت تسعى جادة إلى أن يكون جميع سكان البلاد يحتكمون إلى ضوابط مالية وإدارية ونظامية قائمة على منهج الشريعة الإسلامية [٥٨] .

لم ينس هذا الرحالة من توضيح الأحداث التاريخية السياسية التي مرت على المنطقة الجنوبية ، فذكر إمارة آل عائض ونفوذها في منطقة عسير[٥٩]، ونوه إلى سيطرت الحكم العثماني والإدريسي على بعض أجزاء المنطقة[٦٠]، كما تعرض للحديث عن معارك ابن سعود والأشراف في تربة عام (١٣٣٧هـ/١٩١٩م)، مع الإشارة إلى موقعها وما خلفت من آثار عمرانية وبشرية حتى أنه شاهد الكثير من الجماجم والعظام المتناثرة في أرض المعركة التي وقعت قبل عدة سنوات من رحلته هذه[٦١]. وذكر أيضاً بعض الأحداث والحروب التي وقعت بين السعودية واليمن بخصوص الحدود عام (١٩٣٤ م) ، وتحدث عن حملة الأمير سعود بن عبد العزيز على الجيوش اليمنية ، وذكر بعض الآثار والطرق التي سلكتها تلك الحملة وما قابلها من مشكلات وصعوبات[٦٢] .

٣- النواحي الاجتماعية :

أ - طبقات المجتمع :

يغلب الطابع القبلي على البلاد التي زارها فيلبي ، فيذكر دائماً القبائل الرئيسة التي تسكن الحواضر والبوادي في جنوب السعودية ومن تلك القبائل السروية والتهامية ، البقوم والسبعان في بلاد رنية والخرمة، وشهران ، وقحطان، وقبائل عسير الرئيسة حول مدينة أبها مثل : بني مغيد، وعلكم، وربيعة ورفيدة، وبني مالك . كما تحدث عن قبيلة يام وفروعها وشيوخها وأفخاذها الرئيسة في بلاد نجران[٦٣]، وأشار إلى العديد من القبائل في بلدة ظهران الجنوب بمنطقة

عسير ، وفي بلاد فيفا ، وجازان مثل : وادعة ، وآل تليد ، والعبادل ، وبني حريص ، والعليليين ، وبني مران وغيرهم[٦٤]. وذكر بعض بيوت الأشراف الموجودة في نجران ومنطقة جازان[٦٥]، ولم ينس ذكر أسماء عشائر أخرى عديدة تقطن البلاد الساحلية الممتدة من صبيا جنوباً إلى القنفذة والليث شمالاً [٦٦].

ونجده أحياناً يتعرض لأنساب بعض القبائل فيذكر بطونها وفروعها وسلالاتها النسبية ، كما فعل مع بعض عشائر شهران ، وعسير ، ويام ، وبني حريص ، والعبادل ، وغيرهم ،ولكنه لم يكن موفقاً في ذكر المعلومات الصحيحة حول أنساب بعض هذه العشائر ، بل خلط بعضها ببعض ، وأحياناً ذكر أنساب خاطئة لفروع بعض القبائل ، وهذا ما لمسناه أثناء مراجعة الكتاب وتدقيق معلوماته مع سكان تلك القبائل في مواطنهم الرئيسة [٦٧].

والشيء الجميل في بعض صفحات الكتاب أن فيلبي ذكر بعض الأرقام والإحصائيات لعدد أفراد القبيلة أو المدينة أو القرية الواحدة ، فقد أشار إلى أن عدد أفراد قبيلة يام يقدرون بحوالي ستة آلاف (٦٠٠٠) نسمة ، معتمداً في معلوماته على بعض أعيان ووجهاء القبيلة[٦٨]. وعدد سكان وادي حبونا وما جاوره من القرى والأرياف بحوالي أربعة الآف (٤٠٠٠) نسمة من قبيلتي وادعة ويام . وتعرض لذكر بعض المواطن في منطقة جازان فأشار إلى أن سكان أبو عريش وما حولها يقدرون بـ (٢٢,٠٠٠) فرد ، وكذلك كل من فيفا وصبيا يقدر عدد سكان كل ناحية من هذه المناطق بـ (٢٥٠٠٠) نسمة[٦٩]. وهذه الإحصائيات ربما لا تكون دقيقة جداً ، ولكن ذكرها يعود إلى دقة ملاحظة هذا الرحالة واهتمامه في تدوين معلومات دقيقة وهامة .

كما كان العبيد والموالي ضمن طبقات المجتمع ، وهؤلاء في الغالب ليسوا من عناصر عربية ، وإنما قدموا إلى المنطقة مع الجيوش التركية التي

جاءت إلى هذه البلاد في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) ، ووجدت عناصر أخرى إفريقية جُلبوا إلى هذه البلاد في هيئة خدم ورقيق ، واستقروا في حماية بعض القبائل ، أو الأمراء والوجهاء حتى تم إعتاقهم . وقد شاهد فيلبي العديد من العبيد الذين كانوا يخدمون في منازل ومزارع وأملاك سادتهم في عسير ، ونجران وجازان [٧٠].

ومجتمع جنوب السعودية كان يتخلله بعض العناصر العربية وغير العربية المختلفة في مذاهبها وعقائدها . فعموم السكان كانوا ولا زالوا يدينون بالدين الإسلامي على مذهب الإمام أحمد بن حنبل . لكن وجد هناك بعض الفئات اليهودية والإسماعيلية وبخاصة في نجران وبعض أجزاء من منطقة قحطان . كظهران الجنوب وما حولها . ونجد أن معظم المصادر والمراجع في التاريخ الحديث تتجاهل الحديث في مثل هذه الموضوعات فلا تُطْرَح ولا تُنَاقش بسبب حساسيتها ، وإن ذكرتها أشارت إليها بطريقة مختصرة جداً [٧١]، لكن رحالتنا أشار إلى وجودهم . فذكر وجود مجموعة يهودية من حوالي ثمانين (٨٠) فرداً يسكن أغلبهم في بعض قرى نجران ، وقد أقاموا في تلك المواطن مستأجرين بسبب رفض ملاك الأراضي المحليين من بيعهم أو تمليكهم أي عقار . وعمل معظم أفراد تلك الفئة في الصناعات الحديدية والفضية ، ويذكر فيلبي أن أحد أفراد اليهود في نجران طلب منه المساعدة في الهجرة إلى فلسطين بسبب تقلص مصادرهم الاقتصادية ، ثم الاستقرار والأمن الذي عم البلاد تحت حكم الملك عبد العزيز ، مما أنتج قلة الطلب على صناعة الحديد التي كانوا يصنعون منه الأسلحة المختلفة[٧٢].

كما ذكر وجود بعض الأسر اليهودية التي كانت تعيش في بلدة ظهران الجنوب من بلاد وادعة القحطانية ، وكانوا يمارسون نفس المهن التي كان

يمارسها اليهود في نجران ، بل كان هذا الرحالة حريصاً على الذهاب إلى منازلهم والالتقاء بهم والسماع لآرائهم ووجهات نظرهم عن حكم الملك عبد العزيز الذي امتد إلى بلاد نجران وما حولها ، ووجدهم متشوقين إلى الجلوس معه والحديث عن الصراع العربي الإسرائيلي الذي كان جارياً في أرض فلسطين[٧٣].

أما الإسماعيلية فلم يتردد فيلبي في الحديث عن تاريخ قدومهم إلى نجران واستقرارهم ونوعية الأعمال التي يمارسونها ، وخصص الفصل التاسع عشر من كتابه للحديث عن مقر الإسماعيليين المعروفين بالمكارمة في نجران ، والذي أطلق عليه : وطن السفاحين ، وكانت مدينة بدر مقر رئاسة طائفة السفاحين من شيعة الإسماعيلية في نجران لأكثر من ثلاثة قرون وسط دعم وتأييد سياسي واقتصادي من قبائل يام العربية[٧٤]. قدم أول دعاة الإسماعيلية إلى اليمن من الهند خلال القرن السادس عشر الميلادي . وفي عام (١٧٠٦ م) استقر أحد دعاتهم في بدر من قرى وادي حبونا بعد طردهم من اليمن بواسطة أئمة الزيدية ، ونجحوا في فرض سيطرتهم على منطقة نجران خلال فترة حكم العثمانيين ، وقبل أن يضعف نفوذهم الرسمي ويختفي خلال الحكم السعودي [٧٥].

وغالبية طبقات المجتمع في البلاد التي مر عليها فيلبي يعيشون عيشة الكفاف ، وربما وجد الكثير منهم تحت خط الفقر ، لقلة الموارد الاقتصادية التي يعتمدون عليها ، ومعظمها محلية من زراعة ورعي وصيد وتجارة . إلاّ أنه كان يوجد في هذا المجتمع وبخاصة في المراكز الحضارية الأعيان والوجهاء وموظفو الدولة كالأمراء والقضاة وغيرهم ، وهم يعيشون في مستوى معيشي أفضل من غيرهم ، وقد أشار هذا الرحالة إلى العديد منهم مثل : عبد الله بن معمر أمير بيشة ، ومحمد بن ماضي أمير جازان ، والسديري وحاشيته في أبها ، وإبراهيم النشمي وبعض مرافقيه في نجران [٧٦]. كما أشار إلى بعض الوجهاء

والأعيان والشيوخ أمثال : عبد الوهاب أبو ملحة ، وسعيد بن مشيط في خميس مشيط ، وابن كدسة في بيشة ، وابن منيف ، وجابر أبو ساق ، وابن سلطان في نجران ، والبهلكي في جازان[٧٧]. وهؤلاء الأعيان وأمثالهم كانوا يمثلون طبقة المجتمع الأرستقراطي لما يمتلكونه من وجاهة ومال وصلات اجتماعية مع عامة الناس ، ومع الملك عبد العزيز ورجال حكومته

ب - معيشة المجتمع العامة :

١- وصف القرى والمنازل :

أشار فيلبي إلى طبيعة القرى في عسير وجازان ونجران ، وإلى أنواع المنازل والمرافق المحيطة بها ، وإلى نوعية مواد البناء ، فذكر الطرق المتبعة في البناء والتي تعتمد على استخدام الطين والحجارة ، أو القش والأخشاب ، وأوضح أن معظم النواحي المرتفعة في نجران وعسير كانت تستخدم الطين والحجارة في بناء منازلها وقراها ، وأحياناً كانت تبنى الأجزاء السفلية للمنزل بالحجارة ثم يستكمل الجزء العلوي من الطين ، أما الأجزاء التهامية الساحلية فكانوا يستخدمون الأخشاب والقش في بناء بيوتهم وذلك لعدم توفر الأحجار الكافية للبناء ، ثم حرصهم على توفير البرودة التي تلطف الحرارة الشديدة في تلك المناطق [٧٨] ، ويتراوح ارتفاع المنازل من دور إلى دورين ، ما عدا الأعيان والأمراء والشيوخ فأحياناً كانت منازلهم أوسع أفقياً ، ويتراوح ارتفاع بعضها ما بين أربعة إلى ستة أدوار ، وقد شاهد ذلك في بيشة ، وخميس مشيط ، وأبها ، ونجران ، وجازان ، وصبيا [٧٩]. ولأن فيلبي كان مدعوماً من الملك عبد العزيز آل سعود فقد استطاع دخول الكثير من بيوت أهل المنطقة بجميع شرائحهم ، وبالتالي تمكن من إعطاء تفصيلات دقيقة عن الأقسام الداخلية التي تتكون منها منازلهم ، لا سيما منازل الأعيان والأمراء والوجهاء ، فأوضح تقسيم بعضها إلى عدة أقسام ، مثل : قسم الضيوف ، وآخر لأفراد الأسرة ، وأقسام أخرى

تستخدم كمستودعات ، وأماكن للبهائم وغيرها[٨٠]. وأشار إلى بعض المنازل والدور التي كانت تستخدم من قبل بعض المؤسسات الحكومية ، كالإمارة والشرطة ، والقضاء وغيرها ، ومعظمها كانت مستأجرة من ملاكها[٨١]. كما شاهد طريقة تأثيث بعض المنازل ، وبخاصة عند علية القوم ، إلى جانب ملاحظته ازدحام هذه البيوت من الداخل بالزخارف المتنوعة ، وقد بهرته هذه اللمسات الجمالية فأثنى عليها ، وذكر تفرد منطقة عسير بهذا النوع من الزخارف المعمارية [٨٢].

٢- الأطعمة والأشربة واللباس والزينة :

لقد فاق فيلبي غيره من معاصريه أو ممن سبقوه حول إعطاء تفصيلات عن نوعيات الأطعمة والأشربة التي كان يتناولها سكان المنطقة أثناء زياراته لها ، والسبب الذي مكن هذا الرحالة من مشاهدة الكثير من الأطعمة والأشربة والكتابة عنها ، أن الظروف ساعدته للمكوث بعض الوقت في أجزاء عديدة من هذه البلاد ، كما تم استضافته على أكثر من وجبة ووليمة في بيوت بعض الأمراء والأعيان في المنطقة . ومن ثم أعطى تفصيلاً لا بأس به عن بعض المأكولات التي كان يتم تناولها على موائدهم . وإذا كان ذكر بعض أسماء الأطعمة والأشربة في بيوت المقتدرين مادياً من الناس ، فإن غالبية سكان المجتمع كانوا فقراء ، وكانت أغلب أطعمتهم من الحبوب التي تنتجها أراضيهم ، أو من منتوجات حيواناتهم التي يقومون على تربيتها [٨٣].

كما أشار فيلبي إلى نوعية اللباس والزينة التي شاهدها عند سكان المنطقة ، فذكر بعض الألبسة التي يستخدمها النساء والرجال في كل من بيشة، وخميس مشيط ، وأبها ، وأجزاء عديدة من بلاد تهامة الممتدة من جازان إلى مكة المكرمة[٨٤]، ونوه إلى توفر بعض الأقمشة المختلفة في أنواعها

وأشكالها . والتي كانت تباع في معظم الأسواق الأسبوعية الموجودة في أنحاء البلاد[٨٥]. وكذلك توافر العديد من أدوات الزينة المستخدمة عند الرجال والنساء مثل : الحلي ، والخناجر والأسلحة التي يتمنطق بها الرجال ، وأدوات الصباغة كالنيلة وغيرها[٨٦]، وكثير من الأشجار والنباتات المحلية التي يتزين بها الناس في أفراحهم واحتفالاتهم كالكادي ، والريحان ، والبعيثران وما شابهها من هذه الأشجار العطرية[٨٧].

٣- بعض العادات والتقاليد :

ذكر فيلبي مشاهداته لعادة الزواج المبكر من الشباب والشابات في مناطق جازان وعسير حتى إن بعضاً منهم قد يتزوج بين (١٢ – ١٣) سنة . كما نوه إلى أن صداق المرأة البكر كان عالياً بعض الشيء ، في حين أن الثيب كان يتراوح مهرها من (٢٠ – ٣٠) ريالاً . كما أكد على الطابع الاجتماعي للأسواق الأسبوعية في جنوب المملكة العربية السعودية والتي لم تكن مقتصرة على البيع والشراء ، بل كانت فرصة مناسبة لاجتماع سكان القرى والمستوطنات البعيدة . وشكل انعقاد السوق في نجران ، وربما في عسير وجازان فكان ذلك فرصة للفتيات والفتيان في البحث عن زوجات وأزواج المستقبل ضمن الأعراف والتقاليد المسموح بها ، فكانت الفتيات الصغيرات يلبسن أجمل الملابس وينسقن شعورهن بصورة جميلة في إطار البحث عن أزواج المستقبل[٨٨].

وأشار فيلبي إلى الاختلاف الواضح بين السكان في المناطق الجبلية والساحلية ، وبين نساء وسط الجزيرة وجنوبها ، حيث تميزت نساء جنوب المملكة بقدر كبير من الحرية في التنقل والعمل بجانب رجالهن ، وذكر أن عملية التحميل والنقل في جبال فيفا وبني مالك كانت شبه مقصورة على النساء[٨٩].

ووصف هذا الرحالة عادات وتقاليد الضيافة في عدد من المناطق التي قام بزيارتها مثل حديثه عن مواسم الضيافة التي وجدها عند أمير تربة ، وبيشة ، وخميس مشيط ، وأبها ، وقبائل يام في نجران ، وأمير جازان[٩٠]. كما أبدا استغرابه من سكان قرى الدرب وبيش والتي لا يأكل أهلها البيض والدجاج[٩١]. كما شارك في إحدى جلسات تعاطي القات في مدينة جازان ، والتي تستمر لعدة ساعات ، ولكنه لم يستسغ التجربة وقرر الخروج منها باكراً [٩٢].

ويذكر أيضاً أن التعليم بدأ ينتشر في جنوب البلاد السعودية ، والاهتمام بالقرآن وتلاوته كان من أهم الأمور التي يحث عليها السكان ، حتى أنه قد شاهد حفلاً في بيشة يحتفى فيه بختم القرآن ، وذكر أنه كان يحضره الشباب المحتفى بهم وعليهم ألبسة جميلة ، إلى جانب أنه يحضر مثل تلك المناسبة العديد من الأعيان والوجهاء وعلية القوم في المنطقة ، وذلك تكريماً لكتاب الله ، ثم احتفاءً وفرحة بهؤلاء الشبيبة الذين ختموا كتاب الله [٩٣].

وأشار لعادة الختان التي كانت تنفذ بطريقة قاسية عند بعض سكان المنطقة ، وأورد وصفاً لهذه العملية في وادي الريث ، وذكر أن تقاليد الختان كانت تقام في احتفال عام يسبق زواج الشخص ، يتم خلالها سلخ جلد البطن من أسفل السراة وحتى العانة مع القضيب وحتى باطن الفخذين [٩٤].

وتعرض فيلبي في أماكن عديدة من كتابه إلى المنازعات بين العشائر على بعض الحدود ، وموارد الرعي والمياه ، أو لأمر من الأمور التي يعيشونها في حياتهم اليومية ، وقد يتدخل للإصلاح بين المتخاصمين بعض الأمراء والوجهاء في المجتمع ، وأحياناً تقوم المؤسسات الحكومية بممارسة عملها في الضرب على يدي المعتدي[٩٥] ، ولكنه أشار إلى طريقة القَسَمْ الجماعي من قبل أحد الأطراف

المتنازعة كأسلوب لحل المشكلات الكبيرة بين المتخاصمين حيث يقوم أفراد العشيرة أو القبيلة التي تقبل القَسَمْ فيختارون أشخاصاً يصل عددهم أحياناً إلى الخمسين فرداً من القبيلة الأخرى لإجراء القسم ، وفي حالة عدم التزام الجميع بالقسم يسقط حق القبيلة المدعية أو المدعي عليها ، وهذا إجراء صعب بسبب قوته والتزام القبائل المتنافسة به في حالة الاحتكام إليه(٩٦).

٤ - الأحوال الاقتصادية والإدارية والمالية :

إن العنصر الاقتصادي يأتي من أكبر الموضوعات التي ذكرها فيلبي في كتابه ، فلا تخلو أي منطقة زارها من التفصيلات الجيدة في بعض الجوانب الاقتصادية المختلفة ، فتجده يشير على طول طريقه من الطائف حتى نجران إلى بعض البدو الذين يمتهنون حرفة الرعي والصيد ، بل كانت عماد معيشتهم ، فيقومون برعي الإبل والضان والماعز ، إلى جانب صيد الطيور والغزلان وما شابهها من الحيوانات . بل كان بعض أولئك البدو يجمعون الحطب من الجبال والأودية ويذهبون به إلى الأسواق القريبة منهم لبيعه والشراء بثمنه سلع أخرى(٩٧).

وذكر الإنتاج الزراعي وبخاصة الحبوب ومواسم زراعتها ومحاصيل كل منطقة ، والزكاة التي تجبيها الدولة على الحبوب . ففي بلاد عسير تأخذ الدولة نصف العشر فقط ، بسبب صعوبة الزراعة في المنطقة ، وكان دخل الدولة من هذه النواحي يقدر بحوالي (٣٠٠,٠٠٠) صاع سنوياً من القمح والشعير . أما في نجران فقد كانت الدولة تأخذ العشر كاملاً ، والذي يقدر بحوالي (٣٦٠,٠٠٠) صاع في السنة(٩٨).

وكانت الدولة توزع عشر محصول الحبوب في بعض مناطق جنوب المملكة على النحو التالي :

(٢٠ ٪) لشيوخ القبائل الرئيسة والفرعية ، و (٥ ٪) للعاملين على جمع العشور ، ويبقى للدولة حوالي (٧٥ ٪) من إجمالي العشور . وذكر أن الداخل الصافي للدولة من الحبوب أثناء الفترة التي زار فيها منطقة عسير ، يقدر بحوالي (١٦٠٠٠) ريال فرانسي سنوياً [٩٩].

ونوه إلى بعض المحاصيل الزراعية الرئيسة في المنطقة ، فكانت بلاد عسير الممتدة من بيشة إلى نجران تقوم على زراعة القمح ، والذرة ، والتمور . أما سهل تهامة من جازان إلى مكة فمعظم السكان يشتغل في زراعة الدخن والسمسم والقطن وصناعة الملح وزيت السمسم . أما مرتفعات تهامة فكانت أبرز حاصلاتها الحبوب ، والموز ، والقات ، والبن ، والقطن ، والتبغ [١٠٠]. وكانت المياه الجوفية والأمطار ، والأودية ، وبعض العيون ، والجداول المائية هي المصادر الرئيسة في ري تلك المحاصيل الزراعية المختلفة [١٠١].

أما التجارة فكانت من أهم المهن التي يمارسها السكان ، وقد أفاض هذا الرحالة في التفصيلات عن أسماء وأماكن الأسواق الأسبوعية فيها ، وما كان يعرض فيها من سلع مختلفة ، والطرق التجارية الداخلية والخارجية التي تربط أجزاء المنطقة بعضها مع بعض . كما ذكر الأسعار في بعض تلك الأسواق ، وأنواع المكاييل والمقاييس المستخدمة ، ووسائل التعامل التجاري ، مع الإشارة إلى العملات المتداولة بين الناس ، والى نشاط طريقة المقايضة بين مرتادي تلك الأسواق . وإلى دور العشائر والقبائل في حماية الأسواق التي تقام في مواطنها ، وما كان لتلك الأسواق من أنظمة وقوانين لحمايتها ، وتعامل الناس فيها براحة وأمان [١٠٢].

توقف فيلبي كثيراً مع بعض الأسواق الرئيسة مثل : أسواق بيشة ، وخميس مشيط ، وأبها ، ونجران ، وظهران الجنوب ، والقنفذة ، فوصف

حركة التعامل التجاري في تلك الأسواق ، وأسماء كبار التجار فيها ، وتواجد ممثلي الدولة من أمراء ومحتسبين وشيوخ قبائل يسعون جميعهم على أمن الناس وسير الحركة التجارية في هذه الأسواق بيسر وسهولة[١٠٣].

وأشار إلى قرار الدولة في جعل بلدة بيشة المركز الرئيس لتجارة البن القادم من اليمن إلى الجزيرة العربية ، والذي ساعد على نهوض المنطقة اقتصادياً، ولكنه أثر سلبياً على وادي الدواسر والسليل المركز التقليدي لهذه التجارة . كما أصبح سوق ظهران الجنوب أكبر أسواق المنطقة ، بعد أن قررت الحكومة جعلها المركز الأساسي لتجارة البن القادم من اليمن إلى غرب الجزيرة [١٠٤]. وذكر أيضاً سوق مدينة القنفذة على ساحل البحر الأحمر ، وكيف أثرت الرسوم الحكومية العالية على تجارة المدينة [١٠٥].

وذكر هذا الرحالة الرسوم التي كانت تتقاضاها الدولة على واردات المنطقة من اليمن ، بخاصة واردات البن حيث تصل الرسوم المفروضة إلى (٥٠٪) من قيمة السلع . وبين أن دخل الدولة السنوي للدولة من هذه التجارة يصل إلى حوالي (٧٠٠٠) ريال فرانسي سنوياً في ظهران الجنوب ، وحوالي (١٢٠٠٠) ريال فرانسي سنوياً في سوق الخوبة في منطقة جازان [١٠٦]. وعند إشارته إلى السوق التجارية في نجران ذكر معارضة الأهالي والتجار محاولة الحكومة جعل التداول المالي قاصراً على الريال السعودي مما أدى إلى الغاء العمل به [١٠٧].

وتحدث في صفحات عديدة من كتابه عن بعض الحرف والصناعات المهنية المحلية المختلفة ، مثل صناعة الفخار ، والأحجار المستخدمة في البناء ، والحبال من ألياف بعض الأشجار[١٠٨]، وذكر صناعة صبغ النيلة من نبات الأندقو ، واضباغاً أخرى من نبات القرظ والشث في جبال عسير وجازان [١٠٩]،

وأشار أيضاً إلى صناعة عصر السمسم والملح في الأجزاء التهامية مثل : جازان وما حولها ، وذكر احتكار الدولة لصناعة الملح وتسويقه على التجار المحليين (١١٠). ونوه إلى عدد من الحرف التي كان يمارسها معظم سكان جنوب السعودية ، كالنجارة ، والحدادة ، والصياغة ، وصناعة القطران الذي تطلى به أبواب المنازل ، ويعالج به جرب الإبل. وشاهد في الأسواق الأسبوعية المنتشرة في معظم البلاد التي زارها بعض الحرفيين كالحمالين الذين ينقلون السلع لمسافات بعيدة قد تصل عشرات الكيلومترات. بل كان في الأسواق من يمارس مهن البيع والشراء ، والخياطة ، والسمسرة وغيرها من الحرف ، والجوانب الاقتصادية الأخرى التي يصعب حصرها في أوراق معدودة(١١١).

وفي طيات الكتاب أشار فيلبي في مواقع كثيرة إلى سيطرة أمراء المناطق على النواحي السياسية والإدارية والاقتصادية في البلاد ، وهذا مما يدل على نفوذ دولة ابن سعود وسيطرتها على جميع البلاد التي زارها هذا الرحالة بل بدأ الوضع يحول البلاد من التفكك والتشرذم والصراعات القبلية إلى نظام سياسي إداري حديث تشرف عليه الدولة من خلال مؤسساتها وأنظمتها الإدارية الحديثة (١١٢). وصار هناك نظاماً مالياً جيداً تشرف عليه وزارة المالية ، ويمثلها في أغلب المناطق التي زارها فرع الوزارة في مدينة أبها ، وعلى رأس هذا الفرع أحد رجالات المنطقة الذين اتصفوا بالحكمة والدقة في تسيير أعمال المال في هذا الجزء الجنوبي من السعودية ، ألا وهو الشيخ / عبد الوهاب بن محمد أبو ملحة الذي كان على صلات مستمرة ومباشرة وقوية مع الملك عبد العزيز وأبنيه سعود وفيصل ، وكان يعمل معه نخبة من الرجال المخلصين أمثال عبد الله بن عبد الرحمن الملقب بـ (إبن الياس) وغيره من الأشخاص الذين ذكر فيلبي بعضهم واحتفظت الوثائق الموجودة في وزارة المالية بأسماء العشرات منهم (١١٣).

ولم يغفل فيلبي ذكر أسماء بعض المسؤولين الآخرين في إدارة البلاد كأصحاب الشرطة في بعض الحواضر ، وكذلك القضاة ، والمرشدين والدعاة ، والقائمين على جمع العشور والضرائب من المواطنين ، وأشار إلى رواتب بعضهم ، وإلى أجور البيوت التي كانت تستأجر لانشاء بعض المؤسسات وغيرها . وفصل الحديث أحياناً عن أسعار بعض السلع في الأسواق ، وفي بعض التجمعات السكانية ، كالمدن والقرى وغيرها (١١٤) .

٥- بعض جوانب الحياة العلمية والفكرية :

من النواحي التي أشار إليها هذا الرحالة وجود المواقع الأثرية والنقوش المتناثرة في بلاد عسير ونجران ، والمخلاف السليماني (جازان) . وكان من اهتماماته أيضاً جمع كثير من الطيور والحشرات وأنواع من الصخور والمواد الآثارية وأرسلها إلى المتاحف البريطانية ، وقد أرسل في إحدى المرات (١٧) صندوقاً حصيلة ما جمعه خلال خمسة شهور(١١٥). وامتاز باهتمامه بحركة النجوم وتتبعه للأنواء ، وغالباً كان يحرص على النوم خارج المنزل كي يشاهد حركة الأفلاك عن طريق أجهزة الرصد والمشاهدة التي كان يصطحبها معه في جميع رحلاته.

أما الحياة العلمية والفكرية عند سكان البلاد التي زارها فيذكر أنها كانت شبه معدومة ، فلا يوجد إلاّ عدد قليل من المتعلمين التعليم الشرعي ، الذين يقومون بإرشاد الناس ، وإمامتهم في الجمع والجماعات ، ولم يكونوا متضلعين في العلوم التي يعرفونها ، وإنما أغلبهم يغلب عليه السطحية ، وكثيراً ما يقعون في أخطاء علمية وثقافية نتيجة الجهل الذي يسود البلاد(١١٦). وفي أثناء زيارته كانت المدارس النظامية قد بدأت رحلتها في بيشة وأبها وجازان ، وبدأ الناس يرسلون أولادهم إلى هذه المدارس كي ينهلوا من العلوم والمعارف التي

تدرسها وتشرف عليها هذه المدارس ، وكان معظم القائمين على هذه المدارس قد قدموا إلى المنطقة من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وضموا إليهم بعض المتعلمين في المنطقة ، وبخاصة من كان يقوم على إرشاد الناس ، أو يعمل في بعض الكتاتيب الفردية التي كانت موجودة في بعض المراكز الحضارية قبل مجيء الحكم السعودي الحالي [(١١٧)].

ولم يغفل ذكر لمحة عن الحياة الصحية في البلاد فأشار إلى وجود مستوصف في أبها يعمل فيه طبيب هندي يعالج الأمراض البسيطة مثل : الحمى والجروح الصغيرة وغيرها ، ويذكر أن إمكانات ذلك المستوصف كانت بسيطة جداً[(١١٨)] ، وأشار إلى بعض الأمراض التي كانت تصيب الناس هناك ، ومن أشدها أمراض الحمى التي أصيب بها هو نفسه أكثر من مرة أثناء اقامته في عسير ، ونجران ، وجازان ، وكاد أن يفقد حياته مرات عديدة على أثر الإصابة بها[(١١٩)].

سادساً : الخاتمة :

والخلاصة إننا قد خرجنا من دراسة ومراجعة وتدقيق معلومات هذا الكتاب، بالعديد من النتائج ، والانطباعات ، والتوصيات نورد أهمها على النحو التالي :

١- أن هذا الكتاب غطى منطقة واسعة جداً تقدر بحوالي (١٥٠٠٠٠) ميل مربع ، كما ذكر فيلبي نفسه ، حيث شملت البلاد الممتدة من الدواسر شرقاً إلى مكة المكرمة غرباً ، ثم إلى الأطراف الجنوبية لبلاد نجران وجازان جنوباً ، والشريط الساحلي الممتد من جازان إلى جدة ، وهذه في اعتقادي مساحة تقدر بتسع مساحة المملكة العربية السعودية [(١٢٠)]. وإذا قللنا من أهمية المساحة الجغرافية التي قطعها فيلبي ، فإنه لا يمكن أن

نتجاهل ما يوجد على هذه المساحة من تباينات واختلافات في التضاريس الجغرافية ، والأحوال المناخية ، والعناصر البشرية ، والنواحي الحضارية الأخرى سواء كانت اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو فكرية ودينية وثقافية. وهذا يؤكد على صعوبة المهمة التي قام بها هذا الرحالة .

٢- من ينظر في الكتاب ويدرسه يلاحظ الجهد الضخم الذي بذله مؤلفه ، فهو لم يركز على ناحية علمية معينة ، وإنما كان شديد الملاحظة ، فإذا نزل منطقة معينة فهو يتحدث عن قضايا عديدة تشمل الملامح التاريخية والجغرافية لتلك البلاد ، كما أنه يذكر الأخبار والقضايا المعاصرة التي شاهدها ، وبالتالي فهو يدون الكثير من المعلومات الحضارية المتنوعة التي يصعب أن تجدها في مرجع آخر . ومن خلال تجوالنا في البلاد التي زارها ومقارنة أقواله وشروحاته بما شاهدنا وسمعنا تبين لنا شدة ملاحظته ، ودقة معلوماته ومصداقيته في تدوين كثير من الأخبار والروايات ،

٣- من يطالع هذه المساحة الشاسعة التي زارها فيلبي في هذا الكتاب ، فإنه يتضح أن هناك مناطق عديدة لم يزرها رجل أوربي من قبل ، بل لم يكتب عنها أحد من الأوربيين أو العرب على الإطلاق . وأخص بذلك بعض أجزاء من مناطق قحطان مثل : طريب ، والعرين ، وأجزاء من وادي تثليث ، وبلاد ظهران الجنوب ، وعقبة شراقب الواصلة بين ظهران ووادي بيش في منطقة جازان ، وبلاد بني مالك وفيفا ، وأجزاء من وادي حبونا في نجران ، ومناطق حدودية بين السعودية واليمن ، وغيرها مناطق عديدة . وان ذكرت بعض هذه المناطق في مصادر ومراجع أخرى، فذكرها كان مختصراً جداً يختلف عن الكيفية والتفصيلات التي

أوردها فيلبي في هذا الكتاب الكبير . ولا أجانب الحقيقة لو قلت إن هذا الكتاب يُعد اشمل وأفضل دراسة تكلمت عن الأجزاء الجنوبية للبلاد السعودية ، وحتى هذه اللحظة لم تظهر دراسة أدق وأشمل منه .

٤- مما يظهر في صفحات كثيرة من الكتاب ، أن من أهدافه رسم النقاط الحدودية بين السعودية واليمن ، وهذا مما شجع الملك عبد العزيز على دعم فيلبي وتشجيعه ، بل قدم له بعض الآراء والنصائح التي يتبعها أثناء ذهابه إلى تلك المناطق الحدودية . وقد عمل فيلبي كل ما في وسعه على رسم أغلب الحدود الممتدة من ساحل البحر الأحمر غرباً إلى أطراف الجبال الشرقية في نجران وبلاد قحطان ، ولكن من يقارن فيلبي مع ما ورد في بعض الوثائق والمراجع الأخرى يجد بعض الاختلافات في تسمية بعض المواطن ، وكذلك القرى والقبائل والعشائر التي تعيش على جانبي بعض النقاط الحدودية . وقد صححنا كثيراً من تلك الأسماء ، وبخاصة أثناء زيارتنا لعدد من المناطق في عام (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) . ونجد فيلبي يتميز على غيره ، ممن كتبوا عن النقاط الحدودية بين السعودية واليمن ، فهو لم يقتصر على ذكر مواقع تلك النقاط ومسمياتها وإنما ذكر كثيراً من المعلومات عن طبيعة السكان الذين يعيشون حول تلك الحدود سواء كانوا من السعودية أو اليمن ، فذكر أسماء قبائلهم وعشائرهم ، وأشار إلى بعض أعرافهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والدينية والفكرية ، بل ذكر أحياناً نوعية ملابسهم وأطعمتهم ، ومساكنهم ، بالإضافة إلى أنه كثيراً ما يذكر بعض التفصيلات عن حياتهم الاقتصادية وبخاصة التجارية مثل الأسواق الأسبوعية التي كانوا يرتادونها ، وأنواع السلع والأسعار والعملات التي كان يتم التعامل بها

في تلك الأسواق ، وأحياناً يذكر الطرق التجارية وطبيعتها الجغرافية ، التي تربط بين بعض النواحي الداخلية والخارجية في تلك الجهات .

٥- إن السائد على معظم الكتاب التنوع في مادته العلمية ، إلا أن هناك جوانب عديدة تميز فيلبي في دراستها عن غيره ، مثل : ذكر أنواع الطيور والنباتات التي كان يشاهدها في أغلب المناطق التي زارها ، كما أنه كان حريصاً على دراسة النقوش والرسوم والآثار التي تقع عينه عليها ، بالإضافة إلى أنه يشير إلى الأعيان والشخصيات البارزة في كل بلدة يزورها ، كما أنه لم ينس ذكر حالة الفقراء والبؤساء الذين كان يشاهدهم من وقت لآخر ، كما نوه إلى وجود بعض الأساطير والخرافات التي كانت سائدة في البلاد . والحقيقة أن هذا الكتاب جدير بالدراسة والتأمل إلى كل ما ورد فيه من معلومات قيمة ، وبخاصة أنه يعالج تاريخ وحضارة بلاد طواها النسيان والفقر العلمي لقرون طويلة .

٦- إن ضخامة الكتاب ، وتنوع معلوماته جعلت مؤلفه أحياناً لا يواصل شروحاته في بعض الجوانب بتسلسل وانسيابية ولكنه في مواطن عديدة يقطع الموضوع الذي يتحدث عنه ، ويخرج للحديث عن جزئية صغيرة شاهدها ، كحشرة ، أو حيوان ، أو طائر ، أو نقش ، وقد تأخذ هذه الجزئية سطوراً عديدة ، ثم يعود إلى الموضوع الرئيس الذي كان يتكلم عنه . وهذه الطريقة تقطع أفكار القارئ ، وتشوش عليه ، وربما يجد صعوبة في لملمة نفسه والرجوع إلى صلب الموضوع الأساسي . غير أن هذه السلبية وهي محدودة لا تنقص من حسن الكتاب وقيمته العلمية .

٧- من المعلوم أن فيلبي قد أعلن إسلامه ، فتراه في كثير من ثنايا الكتاب يتحدث عن نفسه مسلماً يؤدي شعائر الصلاة والحج وغيرها من ركائز

الإسلام . لكنه يتحدث أحياناً عن بعض مشاهداته متأثراً بثقافته وتربيته الأوربية . فمثلاً :رأى أحد رفاقه ومرشديه عند وصولهم إلى ناحية يوجد بها خطيبته وزوج المستقبل ، وبعد رؤيتها ومقابلتها لم يسلم عليها بالتقبيل والجلوس معها . ومثل هذا الأمر يعد طبيعياً في الثقافة الغربية ، ويختلف تماماً في العادات والأعراف بالبلاد العربية ، وخاصة المناطق البدوية والريفية المحافظة التي لا تُمكّن الرجل من خطيبته أو زوجته إلاّ بعد المرور بالعديد من القوانين الاجتماعية المبني بعضها على منهج الشريعة الإسلامية ، والبعض الآخر على مبادئ الإرث الاجتماعي . كما ذكر أن بعض البدو يختفي بنفسه في شهر رمضان فيأكل ويشرب في النهار معتقداً أنه لا يراه أحد . يورد أمثلة من هذا النوع دون أن ينوه إلى أن الله يرى الظاهر والخافي ، وأن من يقوم بمثل هذه الأعمال ربما يدل على ضعف إيمانه وأحياناً إلى جهله بالدين ، ومواطن أخرى وردت في الكتاب ولها علاقة ببعض الأعراف والنظم الحضارية ، كما لها صلات بالنواحي الشرعية ، وأخطأ فيلبي في تفسيرها وتوضيحها ، وقد عالجنا مثل هذه الأمور في حواشي الكتاب وأوضحنا الخطأ والصواب .

٨- إن هذه الدراسة التي نطرحها في هذه الأوراق ليست إلاّ مساهمة بسيطة عن أهمية هذا الكتاب ، وأنه يحتاج إلى تضافر جهود كبيرة تقوم بدراسته وتحليله ومقارنة معلوماته مع العصور السابقة واللاحقة التي مرت على هذه البلاد الواسعة . وإنني من على صفحات هذا البحث أنادي الجامعات السعودية ، أو المراكز والمؤسسات البحثية والعلمية ، كدارة الملك عبد العزيز ، أو مكتبة الملك فهد الوطنية ، أو مكتبة الملك عبد العزيز العامة وغيرها ، أن تسعى إلى عقد ندوة علمية عن إنجازات

فيلبي العلمية عن الجزيرة العربية بشكل عام وعن المملكة العربية السعودية بشكل خاص ، ومن يقوم بهذا المشروع فإنه سوف يضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية والعالمية جهود علمية جيدة حول هذه البلاد من خلال التراث الذي تركه لنا هذا المؤرخ والآثاري والرحالة الكبير.

٩- كما سبقت الإشارة – إلى أن فيلبي ذهب من السليل ووادي الدواسر ، إلى الحجاز ، ثم عاد إلى مناطق عسير ، وجازان ، ونجران ، وساحل البحر الأحمر الممتد من جازان إلى مكة المكرمة . والشيء المؤسف حقاً أن ذهابه من الطائف إلى نجران كان عبر الأجزاء الشرقية لبلاد السروات ماراً بمدينتي بيشة وأبها في بلاد عسير ، ثم عاد من نجران إلى ظهران الجنوب وسلك عقبة شراقب التي أوصلته إلى صبيا وجازان ، وعند عودته إلى مكة المكرمة رجع من الطريق المحاذية لساحل البحر الأحمر . وبهذه الكيفية فإن أعالي السروات وسفوحها الغربية الممتدة من ظهران الجنوب في بلاد قحطان جنوباً (ما عدا مدينة أبها وما حولها) إلى مدينة الطائف شمالاً ، قد خسرت وخسر أهلها الشيء الكثير لعدم مرور هذا الرحالة القدير على هذه المواطن . ومن يذهب في هذه البلاد قديماً وحديثاً فإنه يشاهد العديد من الجوانب العلمية والفكرية والحضارية الكثيرة ، ويكفي أنها مكتظة بالقرى والسكان الذين نزلوا بها وعاشوا منذ الآف السنين ، وكانوا ضمن المشاركين في التاريخ الحديث أثناء قيام الدولة السعودية الحديثة ، ويوم زيارة فيلبي المعنية في هذا البحث . ومن خلال استقرائي لتاريخ هذه المنطقة والسير في جنباتها لسنوات طويلة ، وجدتها منسية ، فلا تكاد تجد شيئاً مدوناً عن تاريخها القديم والوسيط ، وأحياناً الحديث ، وإن وجد بعض الإشارات البسيطة في الكتب الكلاسيكية القديمة ، أو

مصادر التراث الإسلامي المبكرة فهي في الواقع محدودة جداً ، وكثيراً ما يطلّع الباحث على مئات المصادر فلا يخرج إلاّ بمادة علمية غامضة . وربما وعورة أرضها في الماضي ، وصعوبة التعامل مع عشائرها وقبائلها لانغلاقهم على أنفسهم كانت من الأسباب التي تجعل العلماء وأرباب القلم والجيوش والحجاج بين اليمن والحجاز يسلكون الطرق الشرقية أو الساحلية الغربية لهذه المرتفعات السروية (١٢١). أما عدم مرور فيلبي بها فربما كان لديه سيارات تنقله من مكان لآخر ، كما حدث معه من الطائف إلى بيشة ، وكذلك في أبها ، ونجران ، وجازان ، والقنفذة . وعند مجيئه إلى المنطقة في هذه الرحلة ، لم يكن هناك طرق للسيارات في هذه المرتفعات الآنفة الذكر . ثم إن الملك عبد العزيز هو الذي رسم له خطة السير وقدم له العون مادياً ومعنوياً في جميع النواحي التي مر بها .

١٠- أما طريقتنا في مراجعة هذه الدراسة فقد ارتكزت على تصحيح أسماء الأعلام (سواء كانت مكانية ، أو زمانية ، أو إنسانية أو حيوانية) وهي كثيرة جداً ، واعتمدنا في التصحيح على عدة أمور مثل :

أ - زيارة أغلب المناطق التي جاءها فيلبي ، والالتقاء بأعيان ومتعلمي تلك النواحي ، ثم السماع منهم حول ما أورد هذا الرحالة عن بلادهم وتصحيح ما وقع فيه من أخطاء .

ب- الرجوع إلى أكثر من مائة مصدر ومرجع لمقارنة بعض ما ذكر فيلبي في كثير من القضايا ، أو للقراءة والاستزادة من هذه المصادر والمراجع التي تعرضت لبعض الجوانب العلمية الخاصة بهذه البلاد المذكورة في هذه الدراسة .

وطريقة رجوعنا إلى هذه المصادر والمراجع ثم توثيقها ، ولذلك فإننا نورد المصدر أو المرجع بمعلومات كاملة عند أول مرة يرد معنا ، وفي حالة تكراره نذكره باختصار .

وفي الختام فإنني أشكر القائمين على مكتبة العبيكان ، وعلى رأسهم الأخ الأستاذ / محمد العبيكان ، المدير العام للمطبعة والمكتبات ، والعاملين معه في إدارة النشر أمثال : الأستاذ/ عماد الريحاوي ، والأستاذ/ سارية الخطيب، والأستاذ / خالد البحيري الذين وثقوا في فمنحوني مراجعة هذا الكتاب القيم الذي استفدت منه كثيراً ، بل تعاونوا معي بشكل كبير قرابة عام من الزمان أثناء مراجعته ، وتدقيق معلوماته ، وإصلاح ما ورد به من أخطاء . كما أشكر القائمين على اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة وعلى رأسهم رئيسه الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور الذين سمحوا لي للحديث عن موضوع هذا الكتاب أمام نخبة متخصصة من المؤرخين العرب الأفاضل في بلاد مصر العظيمة، ثم نشره في مداولات الندوة التي عقدة تحت شعار : العالم العربي في الكتابات التاريخية المعاصرة .

ولا يفوتني أن أشكر كل من تعاون معي في جميع المناطق التي زرتها وزارها فيلبي قبل سبعين عاماً : في كل من بلاد عسير ، وجازان ، ونجران ، فلقد قابلت عشرات الأشخاص منهم ، وهم يتفاوتون في مناصبهم الاجتماعية ، وألقابهم الوظيفية ، وكذلك في سنوات أعمارهم ، وقد قدموا لي مساعدات كثيرة يصعب حصرها وحصر أسمائهم في هذه الأوراق المحدودة ، فلهم مني جزيل الشكر والعرفان .

كما لا أنسى شكر طلابي في برنامج الدراسات العليا الذين تعاونوا معي في تصحيح كثير من الأخطاء التي وردت في هذا الكتاب ، وبخاصة في

أسماء الأماكن والأشخاص والقبائل . ولا يفوتني شكر جميع الأخوة الزملاء في قسم العلوم الاجتماعية بجامعة الملك خالد ، الذين حددوا لي محاضرة في القسم حول هذا الكتاب بعنوان : وقفة مع جنوب الجزيرة العربية في كتاب مرتفعات الجزيرة العربية لهاري سانت جون فيلبي ، وأشكر أيضاً الأخ الزميل الدكتور / عبد الله بن حميِّد الذي قدم لي بعض الملاحظات الجيدة أثناء قراءة هذا البحث قبل نشره .

وأخيراً إنني لا أجامل أحداً ، وإنما أقول كلمة الحق ، فهذا الكتاب يعد من أفضل الكتب التي رجعت إليها على مدار ثلاثين عاماً عن هذه البلاد (جنوب البلاد السعودية) ، من حيث شموليته ودقة معلوماته إلى حد ما . والله أسأل أن يجزي من قام على ترجمته ثم طباعته ونشره خير الجزاء ، وأن يجعل أعمالنا وأعمالهم خالصة لوجهه الكريم ، كما أسأله السداد والتوفيق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سابعاً: الحواشي والتعليقات:

(١) لمزيد من التفصيلات عن تضاريس جنوب البلاد السعودية انظر: عبد الرحمن صادق الشريف. جغرافية المملكة العربية السعودية. إقليم غرب جنوب المملكة. (الرياض: دار المريخ، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م)، جـ ٢، ص ٣٣ وبعدها.

(٢) حافظ وهبة. جزيرة العرب في القرن العشرين، ط٥ (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٦٧ م)، ص ٣٣، فؤاد حمزة. في بلاد عسير، ط٢ (الرياض: مكتبة النصر، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م) ص ١٤٥، ٢٦٣ – ٢٦٩، علي أحمد عسيري. عسير من (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م – ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢ م) (دراسة تاريخية) (أبها: مطبوعات نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م) ص ٢٣ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس. صفحات من تاريخ عسير (الرياض: مطابع العبيكان، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م)، الجزءان الأول والثاني في مجلد واحد، ص ١٧ وما بعدها.

(٣) جاكلين بيرين. اكتشاف جزيرة العرب (خمسة قرون من المغامرة والعلم). ترجمة قدري قلعجي (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت) ص ٢٥١ – ٢٧٣.

(٤) المرجع نفسه. وللمزيد انظر كتابات فيلبي المختلفة (غير كتاب: مرتفعات الجزيرة ...)، والذي تعرض في أجزاء منها إلى نواح عديدة من جنوب شبه الجزيرة العربية مثل: مناطق جازان، ونجران، وعسير، وأجزاء أخرى في بلاد اليمن الحديثة. وللمزيد انظر أيضاً. محمد محمود الصياد "الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر". دراسات تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الأول. مصادر تاريخ الجزيرة العربية. (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود – الرياض سابقاً، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٩م) جـ٢، ص ٤٣٧ – ٤٤٤، عبد الشافي غنيم عبد القادر. "الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين" دراسات تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الأول. مصادر تاريخ الجزيرة العربية (الرياض: مطابع جامعة الملك سعود – الرياض سابقا، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٩ م) جـ ٢، ص ٤٢١ – ٤٣٦.

(٥) هذا البحث ناقش ثلاثة رحالة قدموا إلى منطقة عسير في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (التاسع عشر والعشرين الميلاديين)، وهم: موريس تاميزيه الفرنسي، والسير كيناهان كورنواليس، وهاري سانت جون فيلبي، ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب: العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات). (القاهرة: منشورات اتحاد المؤرخين العرب، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٤٠٩ – ٤٥٩.

(٦) انظر كتاب فيلبي: مرتفعات الجزيرة العربية، في طبعته العربية، في مجلدين كبيرين (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

(٧) قامت مكتبة العبيكان مشكورة بجهود عديدة في ترجمة العديد من مؤلفات المؤرخين والأدباء والنقاد الأجانب الذين تعرضوا في مصنفاتهم إلى الجزيرة العربية، وبخاصة المملكة العربية السعودية، ومنهم هاري سانت جون فيلبي الذي ألف هذا الكتاب، وكتب أخرى تم ترجمتها ومنها: العربية السعودية من سنوات القحط إلى بوادر الرخاء (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، و بنات سبأ: رحلة في جنوب الجزيرة العربية، (الرياض: مكتبة العبيكان / ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م)، وغيرها.

(٨) انظر الطبعة العربية من كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، جزءان .

(٩) للمزيد عن رحلات فيلبي في الجزيرة العربية ، وعلاقته بالملك عبد العزيز انظر : معلومات كثيرة في هذا الكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، بالإضافة إلى حمد الجاسر . " رحلات في البلاد العربية " مجلة العرب عام (١٤٠٩ – ١٤١٠ هـ) مج (٢٤) ، ص ١٠٥ – ١٠٨ ، عبد الله بن عبد الرحمن آل عبد الجبار . " دراسة تحليلية لكتاب (مرتفعات جزيرة العرب) لجون فيلبي " بحث مقدم في ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية ، المنعقد في الرياض بدارة الملك عبد العزيز (٢٤ – ٢٧ / رجب ١٤٢١ هـ /٢١ – ٢٤ / أكتوبر/٢٠٠٠ م) ص ١ – ٣٥ ، غيثان بن علي بن جريس ، " بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز " . قدمت هذه الدراسة في اللقاء العلمي الثالث لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربي في رحاب جامعة السلطان قابوس بعمان خلال شهر المحرم (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) ، وقد نشرت هذه الدراسة ضمن مداولات اللقاء السنوي للجمعية رقم (٣) (١٤٢٢ هـ/٢٠٠١ م) ص ٥٢٣ – ٥٩٤ . كما أعيد نشره في كتابنا الموسوم : بـ : صفحات من تاريخ عسير ، الجزءان ١+٢ ، ص ٢٧٥ – ٣٤٨ .

(١٠) عاش فيلبي في الجزيرة العربية حوالي (٤٠) عاماً ، جميعها كانت تحت رعاية وحماية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

(١١) غيثان بن علي بن جريس . بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : دار العويفي للطباعة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م) ص ١٢٥ – ١٢٦ .

(١٢) حمد الجاسر ، ص ١٠٥- ١٠٨ .

(١٣) انظر : جورج رنتز " فيلبي مؤرخاً للمملكة العربية السعودية " ترجمة وتعليق حسين محمد الغامدي . بمجلة الدرعية (السنة الأولى، عدد (٢) ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م) ص ٦١ .

(١٤) المرجع نفسه ، ص ٦١- ٦٤ .

(١٥) المرجع نفسه . انظر أيضاً تفصيلات أكثر عن فيلبي في كتاب اليزبيث مونرو (Elezabeth Monroe) الموسوم بـ . فيلبي العرب (Phily Arabia) ، والذي طبع في عام (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص ٣٠٧ – ٣١٣ . ومونرو نشرت في كتابها أوسع دراسة علمية شاملة عن فيلبي ، وقد قابلته لأول مرة عام (١٩٣٨م) ، وفي سبيل الكتابة عنه سافرت إلى كل بلد عمل فيه مثل : الباكستان ، والعراق ، والأردن ، ومصر ، وفلسطين ، ولبنان ، وجزيرة العرب مستخدمة ما تضمنته أرشيفاتها من معلومات عنه .

(١٦) البعض من كتب أو أبحاث فيلبي قد ترجمت في أماكن عديدة من العالم ، ولكن مكتبة العبيكان تعد أكبر من قام بترجمة ونشر كتب هذا الرحالة ، وبخاصة ما يدور في فلك تاريخ وحضارة وتراث المملكة العربية السعودية .

(١٧) انظر : ابن جريس ، بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر ، ١٢٦– ١٢٨ ، جورج رنتز " فيلبي مؤرخاً للمملكة ... " ص ٦١ وما بعدها .

(١٨) يذكر عن صفات فيلبي (Philby) أنه كان يطمع منذ ريعان شبابه في العظمة والشهرة ، وكان ذا مواهب متعددة ، وقدرة عجيبة في مجالات عدة كالإدارة والسياسة ، والتاريخ ، والرحلات ، والآثار ، وعلوم الطبيعة ، والاقتصاد والمال ، وكان يتقن كثيراً من اللغات القديمة والحديثة . للمزيد عن حياته وأعماله ، أنظر : كتاب فيلبي العرب (Philby Arabia) ، للأستاذة مونرو (الطبعة الإنجليزية) ، ص ٣٠٥ وما بعدها ، كما انظر أيضاً : ج . د . نورتون . " فيلبي رجل الجزيرة العربية " مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . (الكويت ، ١٣٩٥ هـ) عدد (٣) ، جمادى الثانية ، ص ١٥١ – ١٥٩ .

(١٩) ابن جريس ، بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر ، ص ١٣٨ ، وللمؤلف نفسه أنظر " إقليم عسير

في عيون الرحالة الأوربيين " منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) ص ٤١٠ وما بعدها .

(٢٠) انظر الطبعة العربية / مطبوعات مكتبة العبيكان (الرياض : ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م)

(٢١) في النسخة العربية المترجمة ، وضعت كلمة (مقدمة) على ما تم تدوينه في الأصل بلندن بتاريخ (٦/مايو/١٩٤٤م) . وكلمة " تصدير " على المكتوب في الأصل أيضاً بمكة المكرمة ، بتاريخ ١٦/سبتمبر/١٩٥١م) .

(٢٢) وقد استغرقت هذه الرحلة حوالي عشرة شهور من (٢٢/أبريل/١٩٣٦م إلى ١٨/فبراير/١٩٣٧م) .

(٢٣) انظر ما ذكره فيلبي في المقدمة والتصدير الواردة في الصفحات الأول من الجزء الأول (الطبعة العربية) ، ص ١٧ – ٢٥ .

(٢٤) والفصل الأول من كتابنا هذا يأتي تحت عنوان : <u>ما بعد الربع الخالي</u> ، جـ١ ، ص ٢٩ .

(٢٥) انظر العناصر الرئيسية في فهرس محتويات الكتاب .

(٢٦) انظر فهارس الملاحق في نهاية الجزء الثاني للكتاب .

(٢٧) الكتاب في طبعته العربية ، تظهر عليه معلومات النشر كالتالي : هاري سانت جون فيلبي . <u>مرتفعات الجزيرة العربية</u> . ترجمة الدكتور/حسن مصطفى حسن . تقديم ومراجعة وتعليق الأستاذ الدكتور / غيثان بن علي بن جريس (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) (جزءان) . (وهو ما سوف نعتمد عليه في توثيقنا خلال هذا البحث) .

(٢٨) انظر : فيلبي ، <u>مرتفعات الجزيرة العربية</u> ، جـ١ ، ص ٩ – ١٥ .

(٢٩) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٢٨ – ١٤٨ .

(٣٠) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٢٨- ٧٢ .

(٣١) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٧٣- ١٤٨ .

(٣٢) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ١٥١ – ١٦٨ .

(٣٣) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ١٦٩ – ٣٩٦ .

(٣٤) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٢٤٣ وما بعدها .

(٣٥) المرجع نفسه .

(٣٦) المرجع نفسه .

(٣٧) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٣٩٧.

(٣٨) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٣٩٩ – ٤١٠ .

(٣٩) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٤١١ – ٦١٢ .

(٤٠) ذكر فيلبي الكثير من التفصيلات عن تاريخ نجران خلال العصور التاريخية القديمة ، معتمداً في تدوين معلوماته على النقوش والآثار التي شاهدها في المنطقة ، بالإضافة إلى رجوعه إلى بعض المراجع والمصادر القديمة . ولكن في اعتقادنا أنه يجب أخذ ما أورده هذا الرحالة حول هذه الجزئية بنوع من الحيطة والحذر ، لأن هذه المنطقة لازالت تحتاج إلى تضافر جهود الآثاريين للوقوف على التاريخ الحقيقي لها في عصور ما قبل الإسلام . للمزيد انظر . فيلبي ، <u>مرتفعات الجزيرة العربية</u> ، جـ١ ، ص ٤٩٠ وما بعدها .

(٤١) المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص ٥٣٣ .

(٤٢) انظر الكتاب في نسخته العربية (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م) .

(٤٣) فيلبي ، <u>مرتفعات الجزيرة العربية</u> ، جـ١ ، ص ٦٠٩ – ٦١٢ .

(٤٤) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ٦١٩ وما بعدها .

(٤٥) المرجع نفسه.
(٤٦) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ٨٩٩ وما بعدها .
(٤٧) المرجع نفسه .
(٤٨) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٢١٦ – ١٣٢٣ .
(٤٩) المرجع نفسه .
(٥٠) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٢٦٤ – ١٣٢٠ .
(٥١) من الثلث الأخير من شهر أبريل عام (١٩٣٦ م) إلى (١٨/فبراير/١٩٣٧م).
(٥٢) إن من يقوم بدراسة هذا الكتاب ومقارنة معلوماته مع الوثائق غير المنشورة ، والرواية الشفهية ، وبعض الكتب التي خرجت عن جنوبي البلاد السعودية حتى الآن ، ثم الذهاب إلى المناطق التي زارها فيلبي ودراسة هذه الرحلة ميدانياً ، مركزاً على أساليب النقد والتحليل ، فإنه سوف يخرج لنا دراسة قيمة تفيد المكتبة العربية والإسلامية .
(٥٣) يظهر اهتمام فيلبي بالحشرات والطيور واضحاً ، فكان إذا نزل في مكان وبقي فيه لبعض الوقت يخرج إلى بعض الأودية والجبال لصيد بعض الطيور والحشرات ، ثم تحنيطها وارسالها إلى المتاحف البريطانية .
(٥٤) للمزيد عن أوضاع التضاريس والمناخ في جنوبي السعودية ، ثم نوعية الملابس التي يرتديها سكان تهامة والجبال خلال فصول السنة ، أنظر : الشريف ، جغرافية المملكة ، جـ٢ ، ص ٣٣ وما بعدها ، غيثان بن علي بن جريس . عسير دراسة تاريخية حضارية (١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ / ١٦٨٨ – ١٩٨٠ م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م) ص ٦٥ – ٧٤ .
(٥٥) انظر فيلبي ، مرتفعات الجزيرة العربية ، ج١ ، ص ٤٩٠ وما بعدها .
(٥٦) من يطالع سيرة فيلبي العلمية يجده نشر عدد كبير من الكتب بالإضافة إلى الأبحاث المتنوعة التي نشرها في المجلة الجغرافية البريطانية ، وغيرها من المجلات العلمية في الجامعات والمراكز العلمية في بريطانيا وفرنسا وأمريكا . ومعظم تلك الدراسات تدور في محيط الجزيرة العربية وما جاورها من البحار والبلدان .
(٥٧) عنصر الشخصيات من الجوانب الهامة التي برزت في كتاب فيلبي : مرتفعات الجزيرة العربية ، فلم يكن حديثه دائماً محصوراً على الملك عبد العزيز وأولاده ، وإنما كان يذكر أسماء وصفات الأمراء ، والقضاة ، ورجال الدولة الذين يقابلهم في كل مدينة أو قرية ، بل كان أحياناً يتطرق إلى وصف أحوال المجتمعات وإلى نوعية وصفات بعض الأفراد من عامة الناس في الأسواق ، أو الطرق ، أو المزارع ، أو مواطن الرعي والصيد وغيرها من الأماكن العامة .
(٥٨) إن الأعراف والتقاليد القبلية كانت هي المهيمنة على تسيير أحوال الناس ، ولكن بعد قيام الدولة السعودية الحديثة ، بدأت المؤسسات الإدارية والنظامية تحل محل الأعراف في حل مشاكل الناس وضبط شؤونهم . أنظر ، ابن جريس عسير (١١٠٠–١٤٠٠ هـ) ، ص ٩٠ وما بعدها . وللمؤلف نفسه . عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والإقتصادية) . (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩ م)، ص ١٩ – ١٠٢ .
(٥٩) انظر ، فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٢٦٥ وما بعدها .
(٦٠) المرجع نفسه ، للمزيد عن الصراعات السياسية في عسير خلال الحكم العثماني ، انظر : ابن جريس ، صفحات من تاريخ عسير جـ١ ، ص ٩١ – ١٢٠ . جـ ٢ ، ص ٢٣٥ – ٢٧٤ ، محمد أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني (الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م) جـ ٢ ، ص ١٠٣٥ وما بعدها .

(٦١) المرجع نفسه ، جـ١ ، ١٧٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ وما بعدها . للمزيد من التفصيلات عن معركة تربة بين الملك عبد العزيز والأشراف ، أنظر : عبد الله الصالح العثيمين . تاريخ المملكة العربية السعودية ، (الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٧ هـ) ، جـ٢ ،ص ١٨٣ — ١٨٥ .

(٦٢) فيلبي / مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ . للمزيد عن حملة الأمير سعود بن عبد العزيز على نجران عام (١٩٣٤م) ، انظر : العثيمين ، جـ١ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٦٣) فيلبي الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٣٩٩ وما بعدها .

(٦٤) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ٧٩٣ وما بعدها .

(٦٥) المرجع نفسه .

(٦٦) المرجع نفسه .

(٦٧) هناك بعض القبائل المتداخلة في تضاريسها ومواطن سكانها ، وبخاصة في منطقة عسير ، وجازان ، حتى أن أهل البلاد أنفسهم يقعون في الخطأ عند تحديد المواطن لبعض العشائر والقبائل . وهذا الاندماج ربما يكون أحد الأسباب الرئيسة التي جعلت فيلبي يقع في بعض الأخطاء المتعددة والتي أوضحناها في حواشي الكتاب أثناء مراجعته وتدقيق معلوماته .

(٦٨) للمزيد انظر ، فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ ١، ص ٤٦٧ — ٤٨٥ .

(٦٩) المرجع نفسه ، جـ٢، ص ٨٦٧ .

(٧٠) العناصر الأفريقية متواجدة في جنوب الجزيرة العربية منذ غزو الرومان والأحباش لبلاد اليمن في عصور ما قبل الإسلام . واستمرت الهجرات على مر التاريخ الإسلامي . ومن يتجول اليوم في أجزاء جنوب السعودية فإنه يشاهد بعض السكان من أصول أفريقية وغالبيتهم كانوا رقيق ثم أعتقوا مع مرور السنين واستوطنوا بين القبائل العربية حتى أصبحوا من أفرادها الذين ينتسبون إليها .

(٧١) وبخاصة ما يتعلق بالعنصر اليهودي الذي كان يعيش في أجزاء عديدة من جنوب البلاد السعودية مثل نجران ، وبلاد قحطان ، وأبها ، وبيشة .

(٧٢) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٥٣٦ — ٥٤١ .

(٧٣) المرجع نفسه ، جـ٢، ص ٧٣٥ وما بعدها .

(٧٤) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ٦٧٣ وما بعدها .

(٧٥) المرجع نفسه .

(٧٦) كما ذكرنا سابقاً ، بأن حديث فيلبي عن كثير من الوجهاء والشخصيات في جنوب البلاد السعودية جدير بالدراسة المستفيضة ، لما ذكر من معلومات تاريخية هامة عن أعمال ، وصفات ، وسلبيات وإيجابيات كثير من أولئك الرجال .

(٧٧) المرجع نفسه .

(٧٨) لمزيد من التفصيلات عن أنماط العمارة في جنوب البلاد السعودية انظر : ابن جريس ، عسير (١١٠٠ — ١٤٠٠ هـ)، ص ٣٧ - ٤٩ ، للمؤلف نفسه . " العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية) " مجلة المنهل ، عدد (٥٧١) مج (٦١) عام (٦٦) (شوال - ذي القعدة /١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م) ص ٢٦ - ٤٩ ، آل عبد الجبار ، ص ١٩ - ٢٠ .

(٧٩) المرجع نفسه .

(٨٠) فيلبي أفاض الحديث عن نوعية وأشكال بعض المنازل التي دخلها في بيشة ، وخميس مشيط ، وأبها ، ونجران وبعض مدن جازان الرئيسة . ونستطيع القول أن دراسة الفن المعماري في هذه المناطق ، وبخاصة القديم منه ، جدير بالدراسة . حبذا لو تصدى لهذا الموضوع أحد طلاب الدراسات العليا في الجامعات السعودية .

(٨١) المرجع نفسه .
(٨٢) المرجع نفسه .
(٨٣) للمزيد عن اللباس والزينة والأطعمة والأشربة في جنوبي البلاد السعودية خلال القرن الرابع عشر الهجري وما قبله ، انظر : ابن جريس ، عسير ١١٠٠- ١٤٠٠ هـ ، ص ٥٨ - ٧٤ . كما انظر صفحات عديدة متفرقة من كتاب فيلبي موضوع البحث .
(٨٤) المرجع نفسه .
(٨٥) المرجع نفسه .
(٨٦) المرجع نفسه .
(٨٧) المرجع نفسه .
(٨٨) فيلبي ، المرجع نفسه ، جـ١ ،ص ٥٢٩ وما بعدها . وللمزيد انظر ، فؤاد حمزة . في بلاد عسير ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ١٣١ - ١٣٣ .
(٨٩) فيلبي، مرتفعات الجزيرة ، جـ٢ ، ص ٩١٩ ، ٩٥٠ ، فؤاد حمزة ، ص ٨٠ ، ٨٢ ، ١٣٢ .
(٩٠) هذه القبائل التي زارها فيلبي من الطائف حتى جازان ونجران ، سواء في الأجزاء السروية أو التهامية ، تشتهر بالكرم وحسن الضيافة ، ولهم عادات وأعراف عديدة يمارسونها مع ضيوفهم أثناء القيام بإكرامهم وأداء الواجب تجاههم . (دراسة ميدانية قام بها الباحث خلال عام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م) وللمزيد انظر ، ابن جريس ، عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ) ، ص ، ٩٣ - ١٠٥ ، للمؤلف نفسه ، صفحات من تاريخ عسير ، جـ١+٢ ، ص ١٨٧ - ٢٣٢ .
(٩١) فيلبي المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٣٠ - ١٢٣١ .
(٩٢) المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ٨٩٠ - ٨٩١ . شجرة القات من الأشجار المنتشرة في أجزاء من منطقة جازان ، وكذلك بعض النواحي في البلاد اليمنية التهامية . وهي من الآفات الاجتماعية والاقتصادية التي يعاني منها سكان جازان ، ولها شبكات من المهربين والمتورطين في تسويقها بين عامة الناس . والحكومة السعودية بجميع أجهزتها الأمنية تعاني من أحكام السيطرة على انتشار هذه الشجرة التي تصيب آكلها بالفتور العقلي والجسمي معاً ، بالإضافة إلى أضرارها المادية وارتفاع أسعارها ، حتى أن هناك أفراد وأسر عديدة قد تصاب بالإفلاس المادي بسبب تعاطيهم أكلها .
(٩٣) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٣٩ .
(٩٤) كانت طريقة الختان في جنوب السعودية قاسية إلى درجة يصعب وصفها ، وبخاصة عند سكان البوادي والأرياف فلا يكتفي بقطع الجزء المطلوب في الختان الشرعي ، وإنما كانوا يذهبون إلى أبعد من ذلك فيقومون بسلخ الجلد من منتصف البطن إلى بطن الفخذين ، ومن يتألم أو يبكي من المختونين أثناء عملية الختان فهو جبان ، وينظر إليه من عموم أفراد قبائله نظرة ازدراء واحتقار . للمزيد أنظر ، فؤاد حمزة ، ص ١٠٩ - ١١١ ، ابن جريس ، عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠ هـ) ، ص ٨٥ - ٨٧ .
(٩٥) النزاعات القبلية تكاد تكون من أكبر المشاكل بين أفراد القبائل وأماكن الرعي والصيد ، وموارد المياه والمزارع ، وبعض الملكيات العقارية الخاصة ، فتأتي على رأس القائمة بين المتنازعين ، وأحياناً يقوم وجهاء وأعيان القبائل بالتوسط في الإصلاح بين المتخاصمين ، وقد يحال أمرهم إلى المؤسسات الحكومية ، كالقضاء ، والشرطة ، والأمارات لتفصل في أمورهم . وهناك مئات الوثائق التي تصور طبيعة مثل هذه النزاعات وكيفية التعامل معها من خلال بعض الأعراف والعادات القبلية . للمزيد من التفصيلات ، أنظر ، ابن جريس ، صفحات ، جـ ١+٢ ، ص ١٨٧ - ٢٣٣ .
(٩٦) المرجع نفسه .

(٩٧) يوجد الكثير من المعلومات التي ذكرها فيلبي طوال رحلته عن أنواع الطيور والحيوانات التي كان يشاهدها في معظم الأجزاء السرورية أو التهامية التي مر عليها . ومن يزور جنوب السعودية اليوم فإنه يشاهد الكثير من الغابات والبيئات المختلفة التي يعيش فيها الكثير من النباتات والأشجار المختلفة في أشكالها وفوائدها ، كما يجد الكثير من الطيور والزواحف والحيوانات التي تعيش في جنبات هذه البيئات المتنوعة . (مشاهدات الباحث وانطباعاته) .

(٩٨) فيلبي مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ٢٩٠ - ٢٩١ ، ٤٣٣ .

(٩٩) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ٩٢٩ .

(١٠٠) المرجع نفسه ، جـ ٢ ، ص ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٩ ، ٨٧١ .

(١٠١) لمزيد من التفصيلات عن مصادر المياه في جنوب السعودية ، وأهميتها في مهنة الزراعة ، أنظر : الشريف ، جغرافية المملكة العربية السعودية ، حـ٢ ، ص ٥٣ وما بعدها .

(١٠٢) يوجد في كتاب فيلبي عشرات المواضع التي أشار فيها إلى الأوضاع الإقتصادية وبخاصة التجارية . وللمزيد عن الحوال التجارية في جازان ونجران أنظر : ابن جريس ، عسير ١١٠٠ – ١٤٠٠ هـ ، ص ١٦٣ – ١٨٩ ، للمؤلف نفسه ، عسير في عصر الملك عبد العزيز ، ص ١٤٨ – ٢١٥ ، فؤاد حمزة ، في بلاد عسير ، ص ١١٢ وما بعدها ، شرف عبد المحسن البركاتي . الرحالة اليمانية (دمشق وبيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ١٣٨٤هـ)ص٤٧ – ٤٨ ، محمد عمر رفيع . في ربوع عسير ، ذكريات وتاريخ (القاهرة : دار العهد الجديد للطباعة ، ١٣٧٣ هـ) ص ١٩٥ وما بعدها .

(١٠٣) المراجع نفسها .

(١٠٤) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ٢١٤ ، جـ٢ ، ٧٤٢ ، ١٢٦٢ وما بعدها .

(١٠٥) المرجع نفسه .

(١٠٦) المرجع نفسه ، جـ٢ ، ص ٨٠٢ ، ١١٣٩ .

(١٠٧) المرجع نفسه ، جـ١ ، ص ٥٧١ . ولمزيد من التفصيلات عن التنظيمات المالية والإدارية في جنوب السعودية في عهد الملك عبد العزيز ، انظر : مبارك محمد الحرشني المعبدي . التنظيم الاداري والمالي في تهامة خلال الإشراف السعودي (١٣٤٥ – ١٣٥١ هـ)(جدة : شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ١٤٠٥ – ١٤٠٦ هـ) ص ٨٥ وما بعدها ، محمد بن أحمد العقيلي . تاريخ المخلاف السليماني(الرياض : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، جـ ٢ ، ص ٩٦٣ .

(١٠٨) ذكر فيلبي كثير من الحرف والصناعات المختلفة التي رآها في الجبال والسهول التهامية . وفي اعتقادي أن هذا الموضوع جدير بالدراسة فينظر إلى المعلومات التي رواها هذا الرحالة نتيجة للتجوال والمشاهد ، ثم تقارن مع ما ورد في الوثائق والمراجع المنشورة وغير المنشورة . وعن الحرف والصناعات المختلفة في منطقة عسير ، وأجزاء من تهامة أنظر ، ابن جريس ، عسير١١٠٠–١٤٠٠ هـ ، ص١٤٧– ١٦٣.

(١٠٩) المرجع نفسه .

(١١٠) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ٢ ، ص ٧٢٩ ، ٩٤٩ وما بعدها .

(١١١) لا تخلو أي ناحية جاءها فيلبي في هذه الرحلة من ذكر ما شاهده من مهن وحرف وصناعات يمتهنها سكان جنوب السعودية ، ومعظم المواد الأساسية لجميع تلك الصناعات تكاد تكون محلية ، وقليلاً ما يتم استيرادها من خارج المنطقة .

(١١٢) لمزيد من التفصيلات عن ظهور المؤسسات الإدارية الحديثة في جنوب السعودية في عهد الملك عبد العزيز انظر : ابن جريس ، عسير في عصر الملك عبد العزيز ، ص ١٩ – ١٠٣ .

(١١٣) المرجع نفسه .

(١١٤) هكذا كان فيلبي في معظم رحلاته ، فهو لا يهتم بجزئية دون أخرى وإنما يدون معلومات متنوعة

تشمل النواحي السياسية والحضارية المختلفة . وكما ذكرنا سابقاً فإن كتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، يعتبر أنموذجاً جيداً لشموليته بالمعلومات الجيدة الجديرة بالدراسة والتحليل والمقارنة .

(١١٥) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ١ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، وللمزيد انظر : عبد الله آل عبد الجبار ، ص ٢٤ وما بعدها ، ابن جريس . بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر ، ص ١٥٩ .

(١١٦) المراجع نفسها .

(١١٧) عن الحياة الفكرية والتعليمية في جنوبي البلاد السعودية خلال زيارة فيلبي لها ، انظر : غيثان بن علي بن جريس . تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤ هـ - ١٣٨٦ هـ / ١٩٣٤ - ١٩٦٦ م) . (جدة : دار البلاد للطاعة والنشر ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م) . الجزء الأول ، ص ٥٢ وما بعدها ، وللمؤلف. دراسات في تاريخ وحضارة جنوب البلاد السعودية (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م) ص ٦١ - ٨٤ .

(١١٨) فيلبي ، مرتفعات الجزيرة ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(١١٩) المرجع نفسه . ومن ينظر في كتاب فيلبي : مرتفعات الجزيرة العربية ، فإنه سوف يجده تحدث عن العديد من الأمراض التي كانت تفتك بالناس آنذاك ومن أشهرها : الحمى ، الجدري ، الطاعون ، السعال ، وبعض الأمراض المعدية المختلفة .

(١٢٠) انظر تقديمنا لكتاب : مرتفعات الجزيرة العربية ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(١٢١) ولمزيد من الإيضاح عن بلاد تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز ، انظر : عبد الله الوهيبي " الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب " مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك سعود (١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م) جـ١ ، ص ٥٣ - ٧٠ ، غيثان بن علي بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق ١ هـ - ق ١٠ هـ / ق ٧ م - ١٦ م) (الرياض : مكتبة ومطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) الجزء الأول ، ص ٣٦ وما بعدها ، للمؤلف نفسه " ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى " بحث قدم ضمن الندوة العلمية التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة من (٢٥ - ٢٧ / ٨ / ١٤٢١ هـ الموافق ٢١ - ٢٣/١١/٢٠٠٠ م) . ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ . حصاد (٨) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م) ص ١٥٧ - ٢٢٢ .

كتب وبحوث للمؤلف

كتب وبحوث للمؤلف

أ : الكتب :

١- افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية ٠(جدة – دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، أربع طبعات ، أولى وثانية وثالثة ورابعة ، (والطبعة الأولى من منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ٠

٢- بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين (أبها : مطابع مازن ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ٠

٣- صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول (جدة ، دار البلاد للطبع والنشر ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م ، ١٤١٤هـ /١٩٩٤م) (طبعتان أولى وثانية) ٠

٤- بحوث في التاريخ والحضارة الاسلامية ، الجزء الأول ، تقديم ومراجعة الأستاذ الدكتور/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، رئيس إتحاد المؤرخين العرب (الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ٠

٥- عسير : دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (١١٠٠- ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٨- ١٩٨٠م) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م) ٠

٦- تاريخ التعليم في منطقة عسير (١٣٥٤- ١٣٨٦هـ/١٩٣٤- ١٩٦٦م) الجزء الأول، (جدة:دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م) ٠

٧- الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجري٠ دراسة نشرت في هيئة كتيب بمركز بحوث كلية التربية بأبها وتم تصويره وتجليده في مطابع جامعة الملك سعود بالرياض (عام ١٤١٦هـ /١٩٩٥م) ٠

٨- أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية)٠(الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) ٠

٩- الأقليات الإسلامية في العالم (١) أفريقيا الجزء الأول٠(أبها : نادي أبها الأدبي ، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور / السر سيد أحمد العراقي)٠وقد أخرجت الطبعة الثانية في عام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)٠ كما اعيدت طباعته بمطابع العبيكان في الرياض ، خلال عام (١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .

١٠- بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية الجزء الثاني٠ (الإسكندرية : دار السماح للطباعة ، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م) ٠

١١- عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) ٠

١٢- دراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر ، (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)) ٠

١٣- بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان، ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ٠

١٤- تاريخ التعليم العام والعالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢- ١٤٢٢هـ / ١٩٨٢- ٢٠٠٢م) ، تم طباعته ونشره على نفقة وزارة التعليم العالي وجامعة الملك خالد ، بمطابع جامعة الملك سعود بالرياض،(١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) . ثم أعيدت طباعته عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (جدة : وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

١٥- دراسة عن قسمي التاريخ بفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية في أبها (١٣٩٦- ١٤٢٣هـ /١٩٧٦- ٢٠٠٢م) (النشأة – التطور – الإلغاء)(جدة :وكالة الرواد للدعاية والإعلان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

١٦- دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ - ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م) الجزء الأول (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) ٠

١٧- نجران : دراسة تاريخية حضارية (ق ١ هـ- ق ٤ هـ/ ق ٧ – ق ١٠م) (الجزء الأول) (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٤ م).

١٨- صفحات من تاريخ عسير (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) (الجزءان الأول و الثاني).
١٩- دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى القرن العاشر الهجري / السابع الميلادي إلى السادس عشر الميلادي (مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي والأدبي ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).
٢٠- القول المكتوب في تاريخ الجنوب (الرياض : مطابع العبيكان ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).
٢١- القنفذة : خلال أربعة قرون (ق ١٠- ١٤ هـ / ق ١٦ - ٢٠ م) (دراسة تاريخية حضارية) (تحت البحث والدراسة).
٢٢- نجران نمو وحضارة (دراسة وثائقية) (تحت البحث والدراسة).
٢٣- من ذكريات طالب مبتعث في كل من أمريكا وبريطانيا (مخطوط) .
٢٤- رحلات في جنوب شبه الجزيرة العربية (مخطوط) .

ب : البحوث :

١- "بلاد السراة من خلال كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني" مجلة الدارة ، ربيع الآخر والجماديان (١٤١٤هـ) ، العدد الثالث ، السنة (١٩) ، ص٧٦- ١١١ . كما أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ،عدد (٢٧) جمادى الأولى ، (١٤٢٠هـ /١٩٩٩م)،ص١٤- ٤٤ .
٢- "بلاد بني شهر وبني عمرو خلال العصر الإسلامي الوسيط" مجلة العرب (جـ٩- ١٠) سنة (٢٧) (الربيعان) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، ص٦٠٧- ٦٢٤ .
٣- " بلاد تهامة والسراة كما وصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون الأوائل"، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس (١٩٩٤م) ، ص٧٣- ١٠٠ . وقد أعيد نشرها مع بعض الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٩) (محرم / ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ص٦٣- ٩٤ .
٤- "تاريخ مخلاف جرش خلال القرون الإسلامية الأولى" مجلة العصور ، مج٩ ، جـ١، (رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ص٦٣- ٧٨ . وقد تم إعادة نشره مع بعض

الإضافات في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٢٤) (ربيع الثاني /١٤١٩هـ) ، ص٦٦- ١٠٠ .

٥- **"بلاد تهامة والسراة منذ فجر الدعوة الإسلامية حتى عهد حروب الردة "** مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، المجلد (٣٨) لعام ١٩٩١- ١٩٩٥م ، ص٤١- ٦٥ . وقد أضيف معلومات جديدة على هذه الدراسة، ثم أعيد نشرها في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣١) (رمضان/١٤٢١هـ / ٢٠٠٢م) ، ص١٧- ٤٧ .

٦- **"أعمال الخليفة المهدي العباسي الخيرية تجاه أهل الحجاز (١٥٨هـ /٧٧٤م – ١٦٩هـ /٧٨٥م) "** مجلة الدارة (رجب ، وشعبان ، ورمضان، ١٤١١هـ) العدد الرابع ، سنة (١٦) ، ص١١٣- ١٢٩ .

٧- **"الأوضاع السياسية والحضارة في الحجاز خلال عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦هـ / ٧٥٣م – ١٥٨هـ /٧٧٤م)"** ، منشور ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس ، القاهرة ، رقم السلسلة (٩٦) (١٤١١هـ /١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب، وعلى جزئين في العددين المتتالين (رجب وشعبان) و (رمضان وشوال) ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ، سنة (٢٩) من ص (٥١- ٦٣) ثم في الجزء الآخر من (١٧٥- ١٨٤) .

٨- **"تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز في صدر الإسلام"** مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .العدد الثامن. (رجب ١٤١٣هـ /١٩٩٣م) ص٤١٢- ٤٣٣ ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة في مجلة العرب ، وعلى جزئين في العددين المتتالين (ذو القعدة والحجة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ص٣١١- ٣٢٤ ، و(محرم وصفر ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ، سنة (٢٩) ، ص٤١١- ٤٥٠ .

٩- **"تاريخ عقوبة النفي منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس"** مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد السادس (المحرم ١٤١٣هـ /١٩٩٢م)

ص٥٨٨- ٦٠٩ ، وقد أعيد نشرها في مجلة المنهل، العدد (٥١٢) (شعبان ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٨٢- ٩٠ .

١٠- **"صور من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية المبكرة"** منشورة ضمن سلسلة دراسات مركز بحوث الشرق الأوسط بالقاهرة، ورقم السلسلة (٨٩) (١٤١١هـ/١٩٩١م) ، ثم أعيد نشر هذه الدراسة مع بعض الإضافات في مجلة المنهل العدد (٥١٦) عام (٦٠) المحرم ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) ، ص٦٦- ٧٥ .

١١- **"صور من تاريخ المثلة منذ فجر الإسلام حتى قيام دولة بني العباس "** مجلة الدارة ، العدد الأول ، السنة (١٨) (شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة ، ١٤١٢هـ) ، ص٨٤- ١٠١ .

١٢- **" الطرق التجارية البرية والبحرية المؤدية إلى الحجاز "** مجلة العرب ، (جـ٧ و ٨) سنة (١٦) (محرم وصفر/١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ، ص ٤٤٧ ـ ٤٦٢ .

١٣- **" أهم الحرف والصناعات في الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة "** مجلة المنهل، العدد (٤٩٢) ، مج٥٣ ،جمادى الأول والآخر(١٤١٢هـ/١٩٩١م)، ص٨٢- ٩٦ .

١٤- **" مواقف خلفاء بني العباس الخيرية تجاه أهل الحجاز" (١٣٢- ٢٣٢هـ)** ، مجلة المنهل ، العدد (٤٩٧) ، مج ٥٤ ، (المحرم ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٨٢- ٨٨ .

١٥- **"علماء الحجاز وعلاقتهم بخلفاء بني العباس (١٣٢ –٢٣٢هـ/٧٤٩- ٨٤٦م)** "مجلة المنهل ، العدد (٥١٠)،مج (٥٥)جمادى الآخر (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ص٥٠- ٥٦ ، وسبق أن نشرت في نفس مجلة المنهل العدد(٥٠٢) مج (٥٤) ، (شعبان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص٢٥- ٣٠ .

١٦- **"أهم الملابس العربية خلال العهود الإسلامية الأولى"** مجلة المنهل ، العدد (٤٩٨) ، مج٥٤ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٨- ٩٥ .

١٧- **"العرب في مقديشو وأثرهم في الحياتين السياسية والثقافية في ظل الإسلام"** مجلة المؤرخ العربي ، العدد الأول، المجلد الأول ، مارس (١٩٩٣م) ص ١٢٨- ١٥٨ . ثم أعيد نشرها مع التطوير والإضافة في مجلة المنهل، عدد (٥١٤)

مـج٥٥ ، شـوال ، ذو القعـدة (١٤١٤هـ /١٩٩٤م) ص٤٨- ٥٩ ، كمـا أضيـف عليهـا بعـض التفـصيلات والتعـديلات ونـشرت في مجلـة العـرب، سـنة (٣٠) (رمضان ،شوال) ١٤١٥هـ، (١٩٩٥م)، ص١٨٥- ٢٠٥ ٠

١٨- "المدينة المنورة .... ورقات من ذاكرة التاريخ ١٣٢- ١٦٩هـ" مجلة المنهل (العدد الـسنوي الخـاص) عـدد (٤٩٩) مـج ٥٤ (الربيعـان / ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ، ص١١٢- ١٢٠ ٠

١٩- "القـدس الـشريف خـلال القـرون الإسـلامية المبكـرة " مجلـة المنهـل (العـدد الـسنوي الخـاص) عـدد (٥٠٨) مـج ٥٥ (الربيعـان / ١٤١٤هـ /١٩٩٣م) ، ص٤٠- ٤٥ ٠

٢٠- "الإمارة في الحجاز خلال العصر العباسي الأول ١٣٢- ٢٣٢هـ / ٧٤٩- ٨٤٦م" مقالة نشرت باللغة الإنجليزية في مجلة العصور ، المجلد السابع ، الجزء الأول (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ص ١٣ – ٢١ (pp . 13 - 21)٠

٢١- "العمائم تيجان العرب"مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العـدد (٨)، محرم ١٤١٣هـ ، ص٦٦- ٧١ ٠

٢٢- "المستشرقون ونشاطهم تجاه دراسة التراث الإسلامي"، مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، العدد (٦) (محرم ، ١٤١٢هـ) ، ص٦٢- ٧٧ ٠

٢٣- "الدونمة بين اليهودية والإسلام" مجلة المنهل ، العدد (٤٩٦) مج ٥٣ ، ذو الحجة (١٤١٢هـ /١٩٩٢م) ص٩٠- ٩٦ ٠

٢٤- "يهـود الدونمـة في الميـزان" مجلـة التـضامن الإسـلامي ، الـسنة (٤٧) ، الجـزء الثامن (صفر ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ص٢٤- ٣٠ ٠

٢٥- "آراء حول التاريخ وكيفية تدريسه في الجامعة" مجلة المنهل ، العدد (٥٠٧) مج ٥٥ (صفر ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص١٢- ١٧ ، ثم أجرى عليه بعض التعـديلات ونـشرت في مجلـة القافلـة العـدد (١١) مـج٤٢ (ذو القعـدة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص٤٤- ٤٧ ٠

٢٦- "كيـف نـبني ثقافتنـا" مجلـة المنهـل ، العـدد (٥٠٦) مـج ٥٥ (المحـرم ١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ص٣٠- ٣٦ .

٢٧- "المخطوطات العربية بمكتبة كلية التربية بأبها (فرع جامعة الملك سعود)" مجلة المنهل ، العدد (٤٨٧) مج٥٢ ، (رمضان وشوال ١٤١١هـ / ١٩٩١م) ص١٩٠- ١٩٣ ٠

٢٨- "صور من التنظيمات العرفية الحديثة ببلاد عسير في ضوء بعض الوثائق المحلية" مجلة العرب، جـ٧ ،٨، سنة (٢٧) محرم وصفر (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ص٤٤٥ -٤٦١ ٠

٢٩- "من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود ورجال حكومته إلى بعض الشيوخ والعشائر العسيرية" مجلة العرب ، جـ١١، ١٢، سنة (٢٧) (الجماديان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) ، ص٧٣٥- ٧٥١ ٠

٣٠- "ملامح من حياة الأمن والاستقرار في عسير في عهد الملك عبد العزيز"، مجلة العرب ، جـ ١ ،٢ ، سنة (٢٧) (رجب وشعبان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، ص٢٧- ٤٤ ٠

٣١- "أسر الفقهاء ببلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرون المتأخرة الماضية" مجلة العرب ، جـ ٩ ،١٠ ، سنة (٢٦) (الربيعان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص٥٩٤- ٦١١ ٠

٣٢- "وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩- ١٣٣٧هـ) " مجلة العرب ، (جـ٣، ٤) ، سنة (٢٨) (رمضان وشوال، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) ، ص١٥٤- ١٧٠ القسم الأول ٠ وقد نشر هذا البحث في كتابنا : صفحات من تاريخ عسير ٠ الجزء الأول ، ٦٧- ٩٠ ٠

٣٣- "من رسائل الملك عبد العزيز آل سعود إلى الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة" ، مجلة العرب ، جـ ٥، ٦ ، سنة (٢٨) (ذو القعدة والحجة ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص٣٤١- ٣٥٩

٣٤- "العادات والتقاليد في عسير من خلال الوثائق" مجلة العرب ،جـ ٧، ٨ ، سنة (٢٨) (محرم وصفر / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ص٤٨٦- ٤٩٨ ٠

٣٥- "صور من الاحتفالات الرمضانية عبر العصور الإسلامية" ، مجلة المنهل (ضمن العدد (٥١٣) مج ٥٥ ، رمضان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) ، ص١١٣- ١١٧ ٠

٣٦- "دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة"، مجلة الدارة، العدد (٤) سنة (٢٠) رجب وشعبان ورمضان ١٤١٥هـ ، ص٤٠- ٧٠ . ثم أضيف إلى هذا البحث بعض التفصيلات وأعيد نشره في مجلة بيادر

الصادر من نادي أبها الأدبي العدد (٣٩) جمادى الأولى عام (١٤٢٤ هـ /٢٠٠٣م) ، ص١٣- ٣٤ .

٣٧- **"الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى"** مجلة المؤرخ العربي ، العدد (٣) مجلد رقم (١) مارس ١٩٩٥م ، ص٦٧- ٨٥ .

٣٨- **"جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥- ٢٧ جمادى الآخر ١٤١٥هـ / ٢٨- ١٩٩٤/١١/٣٠م) ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب "الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوروبي الأول" (منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة) (القاهرة : المطبعة الإسلامية الحديثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) ، ص٢٢٧- ٢٧١ .

٣٩- **"مهنة الطب في ضوء شريعة الإسلام "** مجلة المنهل، العدد (٥٢٣) المجلد (٥٧) العام (٦١) المحرم ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص٤٦- ٥١ .

٤٠- **"مكانة شعر اللحية والرأس عند سكان المجتمعات العربية القديمة"** مجلة الحرس الوطني ، عدد (١٣٧) سنة (١٥) رجب ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، ص ١٠٨- ١٠٩ .

٤١- **"ملامح الحياة الاجتماعية في العراق خلال عصر بن العباس"** مجلة المنهل العدد (٥٢٥) مج ٥٧ عام (٦١) الربيعان ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)،ص١٦٨- ١٧٤ .

٤٢- **"زي الطيلسان": دراسة تاريخية حضارية"** ملف بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (١٨) ربيع ثاني ١٤١٧هـ (١٩٩٦م) ، ص٦٥- ٧٤ .

٤٣- **"سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى"** (٦٠٠- ٩٠٠هـ / ١٢٠٠- ١٥٠٠م) في مجلة المؤرخ المصري العدد السادس عشر ، يوليو ١٩٩٦م (الصادرة من قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ص١٥٣- ١٨٩ .

٤٤- **"ظاهرة السمل بين التشريع والتسيس في العصور الوسطى"** نشر في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، مسلسل رقم (١٨٦) (القاهرة ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ص١- ٣٧ .

٤٥- **"الدور الحضاري لنشاط التجارة بين شمالي وغربي أفريقيا في العصور الوسطى"** مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية . المجلد (٤٥) (العام الجامعي ١٤١٧هـ / ٩٦/١٩٩٧م) ص١٣١- ١٦١ .

٤٦- **"سلطنة أوفات الإسلامية في منطقة القرن الإفريقي وعلاقاتها مع العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي الوسيط"** مجلة كلية البنات بجامعة عين شمس عدد (١٩) (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) .

٤٧- **"التعليم وحركة التحول التاريخي في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** .مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٢٠) محرم (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٢٩- ٤٦ .

٤٨- **"الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي خلال العصور الوسطى"** ، مجلة المؤرخ العربي بالقاهرة ، مجلد (١) العدد (٥) (مارس ١٩٩٧م) ص١٦٥- ١٩١ .

٤٩- **"أهم مراكز صناعة السيوف الإسلامية"** مجلة الحصاد (رجب ١٤١٤هـ / ديسمبر / ١٩٩٣م) ، ص١٦- ١٨ .

٥٠- **" أوراق من تاريخ عسير خلال عهد الملك عبد العزيز كما أملاها الشيخ/ عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)"** (دراسة وتحقيق) . مجلة بيادر الصادرة من النادي الأدبي بأبها ، عدد (٢٢) (رمضان / ١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ص٥٣- ٨٥ . كما أجرينا بعض التصويبات والإضافات على هذه المخطوطة ، وقدمناها محاضرة في مؤتمر المملكة العربية السعودية الذي أقيم في شهر شوال عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م) بالرياض .بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية . وكان عنوان تلك المحاضرة : **(ابن إلياس ورسالته في تاريخ عسير في عهد الملك عبد العزيز)** وسوف تنشر ضمن أعمال المؤتمر .

٥١- **"قراءة في مخصصات مقاطعة جيزان وملحقاتها من الموازنة العامة للمملكة عام (١٣٦١هـ) في أثناء حكم الملك عبد العزيز "** نشرت هذه المقالة في مجلة بيادر عدد (٢٥) (رمضان/١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، وهو عدد خاص بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ص١١٥- ١٣٩ ٠

٥٢- **"إقليم عسير في عيون الرحالة الأوروبيين"** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٨- ١٠ شعبان/ ١٤٢٠هـ ، الموافق ١٦- ١٨نوفمبر ١٩٩٩م) ٠ ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : العرب وأوربا عبر عصور التاريخ (بحوث ودراسات) ٠منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، ص٤٠٩- ٤٥٩ ٠ كما أضيف عليها بعض المعلومات وألقيت محاضرة في (سمنار) قسم التاريخ ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة الملك خالد في ١٤٢٠/٧/١٨هـ ، الموافق ٢٠٠٠/١٠/١٥م ٠

٥٣- **"بلاد السراة في العصر الأموي ... دراسة لبعض مظاهر الحضارة"** بحث قدم ضمن أعمال الندوة العالمية الرابعة لدراسات تاريخ الجزيرة العربية : الجزيرة العربية في العصر الأموي (الأحد – الثلاثاء ٧- ٩ من ذي القعدة ١٤٢٠هـ /١٣- ١٥ من فبراير ٢٠٠٠م) بجامعة الملك سعود – كلية الآداب ، وقد نشر هذا البحث في الكتاب الرابع من هذه الدراسات والخاصة بالعهد الأموي ، ص ١٤٩ – ١٦٤ ٠

٥٤- **"العمران في إقليم عسير خلال القرون المتأخرة الماضية (دراسة تاريخية حضارية)"** ٠ مجلة المنهل العدد (٥٧١) المجلد (٦١) العام (٦٦) شوال ذو القعدة (١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) ص٢٦- ٤٩ ٠

٥٥- **"وثائق من عسير خلال الحكم العثماني (١٢٨٩- ١٣٣٧هـ/١٨٧٣- ١٩١٩م)"** ٠ (القسم الثاني) تم نشره ضمن كتاب : صفحات من تاريخ عسير ، (الرياض ، مطابع العبيكان ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) (الجزءان الأول والثاني) ٠

٥٦- **"التعليم العالي في منطقة عسير ، بداياته ، تطوره ، آفاقه المستقبلية (١٣٩٦- ١٤٢١هـ/١٩٧٦- ٢٠٠٠م)"** ٠ بحث مقدم في ندوة التعليم العالي في

عسير: ربع قرن من الإنجاز والعطاء ، المنعقدة بمدينة أبها تحت إشراف جامعة الملك خالد في الفترة الممتدة من (٢- ١٤٢١/٨/٣هـ/٢٩ - ٣٠/ أكتوبر ٢٠٠٠م) . وقد تم نشر هذا البحث في الكتاب الذي أصدرته الجامعة بخصوص هذه الندوة تحت "سلسلة بحوث وأوراق الندوات والمؤتمرات (١)" (المركز الإعلامي بالجامعة /١٤٢٣هـ)، ص١٥٥- ٢٢٦ ، كما نشر هذا البحث أيضاً في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : "**بحوث في تاريخ عسير الحديث والمعاصر**" ، (جدة : دار العويفي للدعاية والإعلان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) ص١٨٥- ٢٧٧ ٠ كما تم الاستفادة من هذا البحث ، واجري عليه العديد من التعديلات والإضافات وقدم ورقة عمل ضمن المؤتمر العالمي عن خادم الحرمين الشريفين ، الملك فهد بن عبد العزيز بمناسبة مرور عشرين عاماً على توليه مقاليد الحكم ، والذي عقدته جامعة الملك سعود بالرياض في الفترة الممتدة من (٢٦- ١٤٢٢/٨/٢٩ هـ - ١١- ٢٠٠١/١١/٢٤ م) ، وكان عنوان هذه الورقة : ((**التعليم العالي في منطقة عسير خلال عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (١٤٠٢ – ١٤٢٢ هـ / ١٩٨٢ – ٢٠٠٢ م)**)) . وقد نشرت هذه الدراسة ضمن أعمال المؤتمر في ستة مجلات، وهي توجد في المجلد الخاص "**بالمحور التربوي**" ، الجزء الأول ، ص ٤٥٩ – ٥٣٥ .

٥٧- "**ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى**" بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة الممتدة من (٢٥- ١٤٢١/٨/٢٧هـ الموافق ٢١- ٢٠٠٠/١١/٢٣م) ، ونشرت ضمن بحوث الندوة في كتاب : **طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ** (حصاد (٨))٠ منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة ، (١٤٢١هـ /٢٠٠٠م) ٠ص١٥٧- ٢٢٢ ، كما نشرت هذه الدراسة مع دراسات أخرى في كتاب لصاحب هذه السيرة بعنوان : **دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١- ١٠هـ/ ق٧- ١٦م)** (الجزء الأول) ٠

٥٨- **"ملامح التطور الصحي في جنوبي المملكة العربية السعودية خلال القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)"** . مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي . عدد (٣٣) جمادى الأولى (١٤٢٢هـ /٢٠٠١م) ص٥١- ٨٣ .

٥٩- **"أبها مدينة المستقبل ، مقترحات ووجهات نظر"** نشرت هذه الدراسة في مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٣٥) (المحرم /١٤٢٣هـ / مايو ٢٠٠٢م) ص١٣- ٣٤ .

٦٠- **"بلاد عسير في كتابات فيلبي وفيليب ليبنز"** طبع هذا البحث ضمن أعمال الملتقى العلمي الثالث بجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد بمدينة عمان في رحاب جامعة السلطان قابوس في (المحرم عام ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) . ص٥٢٣- ٥٩٤ .

٦١- **"ملامح الحياة العلمية في بلاد تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة "** . بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين بالقاهرة في الفترة الممتدة من (١٣- ١٤٢١/٨/١٥هـ الموافق ٣٠ أكتوبر – أول نوفمبر / ٢٠٠١م) ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب : **المراكز الثقافية والعلمية في العالم العربي عبر العصور** . حصاد (٩) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ص١٩٥ ـ ٢٥٦ . كما نشرت هذه الدراسة مع غيرها من الدراسات الخاصة بصاحب هذه السيرة في كتاب له بعنوان "_ دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١هـ - ق١٠هـ/ ق٧م – ق١٦م)_ ، (الجزء الأول) .

٦٢- **" صور من الحياة الاجتماعية في بلاد السراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة "** .طبع هذا البحث ضمن أعمال اللقاء العلمي الرابع لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية والذي عقد في إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة في شهر (صفر /١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ص ٣٤٧- ٣٩٦.

٦٣- **" مخلاف جرش في الفترة الأولى من عصر الإسلام ـ دراسة تاريخية تحليلية "** بحث قدم ضمن الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في الفترة

المتدة من (١٦ ـ ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ / الموافق ٢٢ ـ ٢٤ اكتوبر ٢٠٠٢م " . ونشر ضمن بحوث الندوة في كتاب " الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى ودورها في بناء الحضارة العالمية حصاد (١٠) منشورات اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة (١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م) ، ٤٨٥ – ٥٠٧ .

٦٤- ((لماذا تستهدف السعودية بدعوى الإرهاب تحديداً منطقة عسير)) دراسة منشورة في ملحق الرسالة ، بجريدة المدينة عدد (١٤٥٤٨) السنة (٦٨) الصفحة السابعة ، (يوم الجمعة ٢٠/ذو الحجة / ١٤٢٣ هـ الموافق ٢١/ فبراير / ٢٠٠٣ م)

٦٥- ((التعليم في منطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز)) بحث منشور في كتاب : شرف الانتماء إلى مهنة التعليم . وهو عبارة عن فعاليات ولقاءات تربوية نظمتها ونشرتها إدارة التعليم في محافظة سراة عبيدة خلال العام الدراسي (١٤١٩ – ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م – ٢٠٠٠ م) ، ص ١٩- ٤٠ ٠

٦٦- ((أضواء على مصادر تدوين تاريخ وتراث جنوبي شبه الجزيرة العربية عبر أطوار التاريخ الإسلامي)) مجلة بيادر الصادرة من نادي أبها الأدبي ، عدد (٤١) شهر المحرم (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م) ، ص ١٧ – ٢٩ ٠



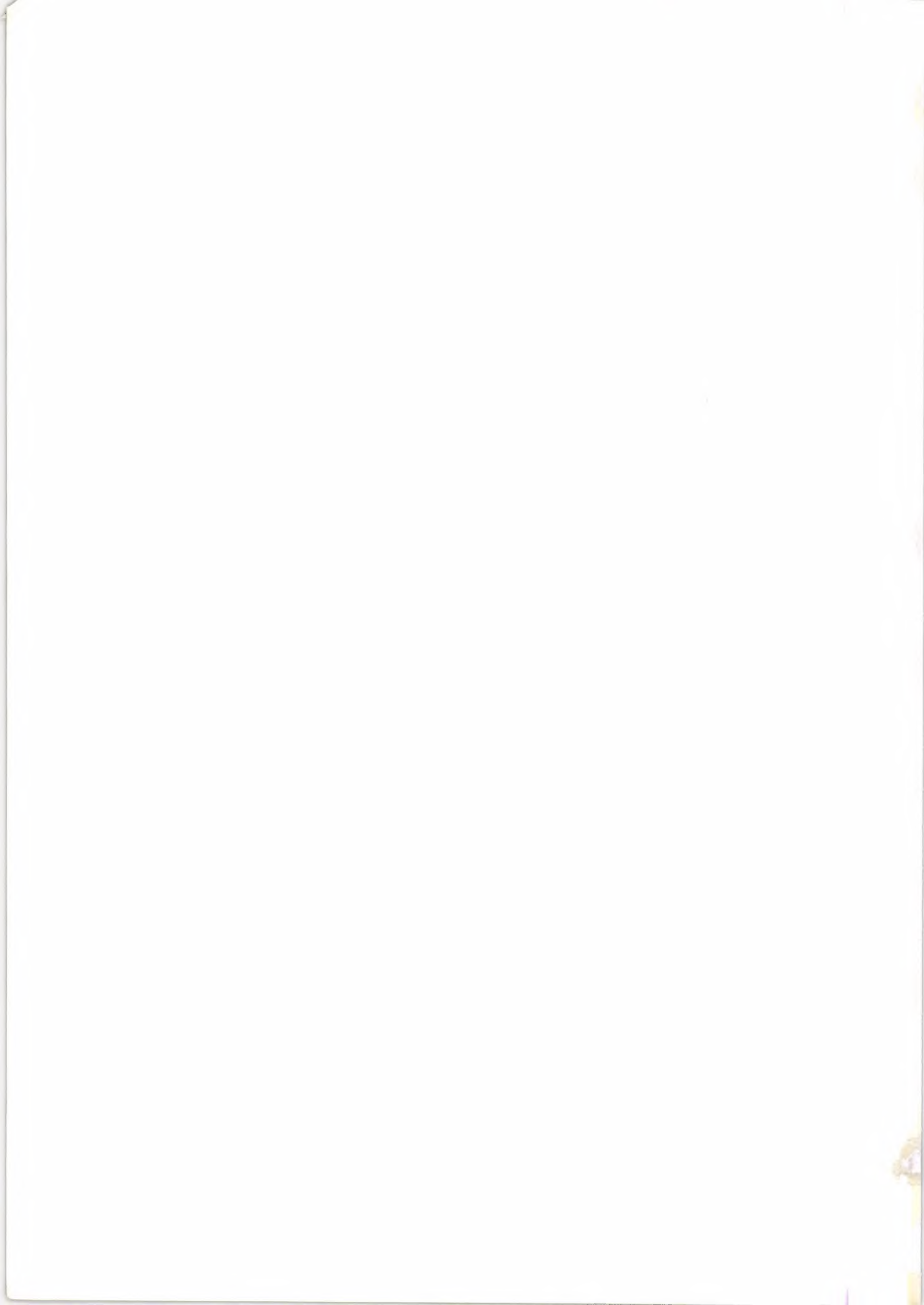
بيان بمطبوعات النادي الأدبي في جازان منذ تأسيسه عام ١٣٩٥هـ

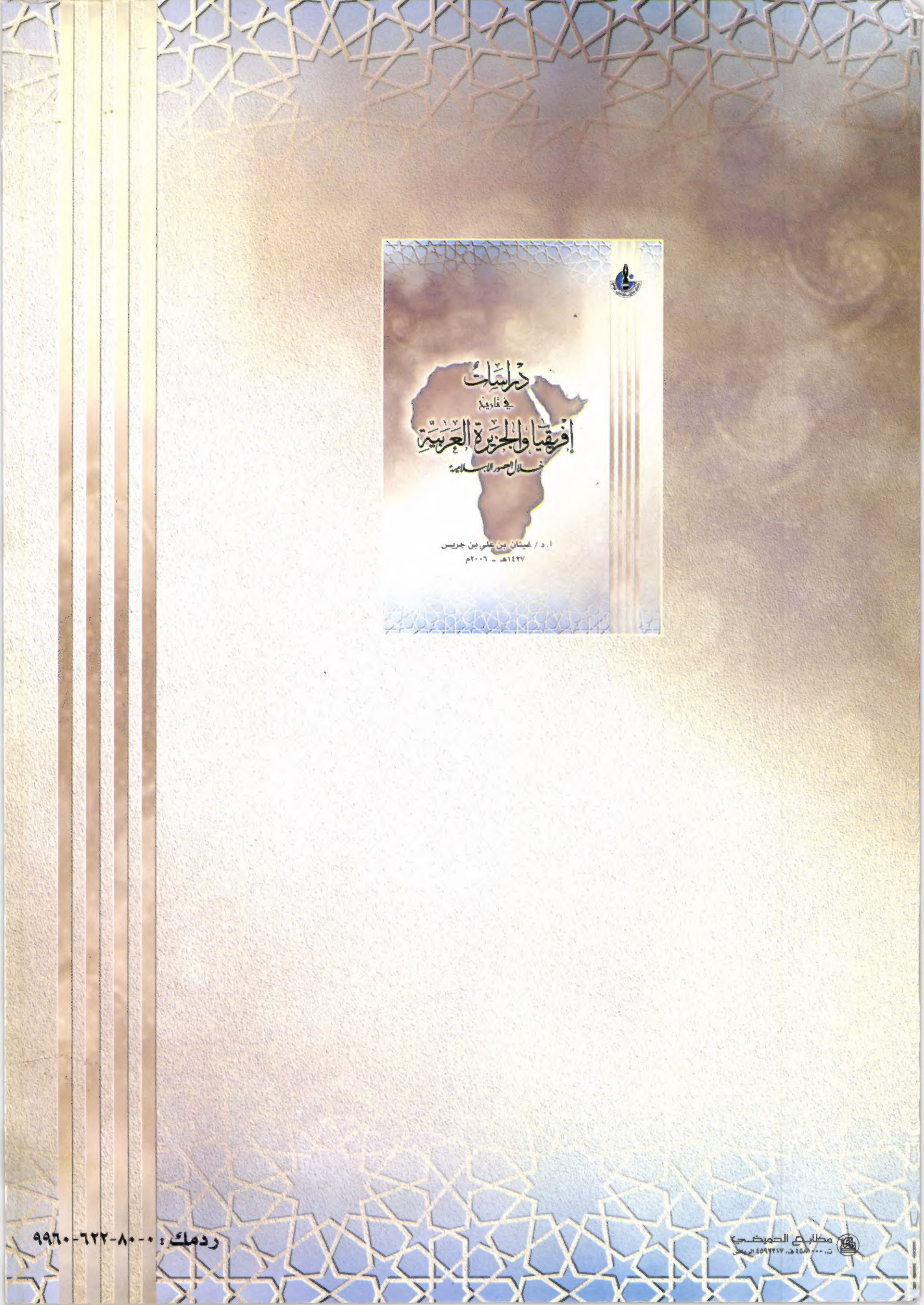
م	عنوان المطبوعة	المؤلف	تاريخ النشر
١	التقرير السنوي للنادي	النادي	١٣٩٦هـ
٢	قصص من الجنوب	مجموعة من الشباب	١٣٩٧هـ
٣	مسابقة الشعر	مجموعة من الشباب	١٣٩٧هـ
٤	الينابيع (شعر)	محمد بن علي السنوسي	١٣٩٨هـ
٥	الأدب الشعبي	محمد أحمد العقيلي	١٣٩٨هـ
٦	أبو سفيان بن حرب	يحيى محمد الحارثي	١٣٩٩هـ
٧	الأرض والحب (شعر)	أحمد يحيى البهكلي	١٣٩٩هـ
٨	مع الشعراء	محمد بن علي السنوسي	١٣٩٩هـ
٩	المعجم الجغرافي	محمد أحمد العقيلي	١٣٩٩هـ
١٠	محاضرات النادي	مجموعة من الأساتذة	١٤٠١/١٤٠٠هـ
١١	مع الشباب في تنمية القدرات	د. زاهر عواض الألمعي	١٤٠١هـ
١٢	الآثار التاريخية	محمد أحمد العقيلي	١٤٠١هـ
١٣	طيفان على نقطة الصفر (شعر)	أحمد يحيى البهكلي	١٤٠١هـ
١٤	نفحات من الجنوب (شعر)	محمد بن علي السنوسي	١٤٠١هـ
١٥	ليلة في الظلام (قصة)	محمد زارع عقيل	١٤٠١هـ
١٦	الصندوق المدفون (قصة)	طاهر عوض سلام	١٤٠١هـ
١٧	أمسية فلسطين (شعر)	إعداد النادي	١٤٠١هـ
١٨	وجوه من الريف (قصة)	حجاب بن يحيى الحازمي	١٤٠١هـ
١٩	الملك أبو الفداء	ياسر فتوى	١٤٠١هـ
٢٠	بين جيلين (قصة)	محمد زارع عقيل	١٤٠١هـ
٢١	مطولة علي أحمد باكثير	د. حلمي محمد القاعود	١٤٠١هـ
٢٢	الأدب وموقفه من الحدث (محاضرة)	علوي طه الصافي	١٤٠٢هـ
٢٣	الحلقة المفقودة بين الموشح والحميني	عبد الرحمن محمد الرفاعي	١٤٠٢هـ
٢٤	حبيبتي والبحر (شعر)	إبراهيم عمر صعابي	١٤٠٢هـ
٢٥	الأعمال الشعرية الكاملة	محمد بن علي السنوسي	١٤٠٣هـ
٢٦	من ثمرات الكتب	عبد السلام هاشم حافظ	١٤٠٤هـ
٢٧	السنة ومعرفة علوم الحديث	عبدالحميد إبراهيم سرحان	١٤٠٤هـ
٢٨	العكوتان والجيولوجيا	راشد قاسم الشيخ	١٤٠٤هـ
٢٩	دور الإعلام في بناء الإنسان	محمد كامل الخجا	١٤٠٤هـ
٣٠	نظرات في العلم والأدب	مجموعة أعضاء النادي	١٤٠٥هـ
٣١	عن الحب ومنى الحلم (شعر)	علي أحمد النعمي	١٤٠٥هـ
٣٢	الوحي والقرآن	عبد الحميد إبراهيم سرحان	١٤٠٥هـ
٣٣	أبجديات في النقد والأدب	حجاب يحيى الحازمي	١٤٠٥هـ
٣٤	في حكم الجهر بالبسملة والإسرار	تأليف :الحسن بن خالد الحازمي	١٤٠٥هـ
٣٥	الرحيل إلى الأعماق (شعر)	علي أحمد النعمي	١٤٠٦هـ
٣٦	إطلالة على الشعر السعودي	فوزي خضر	١٤٠٦هـ
٣٧	الحفلة (رواية)	عبد الله باخشوين	١٤٠٦هـ
٣٨	دموع الندم (رواية)	أحمد علي حمود حبيبي	١٤٠٦هـ
٣٩	ترانيم على الشاطئ (شعر)	علي محمد صيقل	١٤٠٦هـ
٤٠	تقرير الجمعية الخيرية	تقرير	١٤٠٦هـ
٤١	أحلامي (فن تشكيلي)	خليل حسن خليل	١٤٠٦هـ
٤٢	الحياة في ظل العقيدة الإسلامية	زيد محمد المدخلي	١٤٠٧هـ
٤٣	الكتابة خارج الأقواس	سعيد السريحي	١٤٠٧هـ
٤٤	حوار على بوابة الأرض (قصة)	عبده خال	١٤٠٧هـ
٤٥	حمدونة (قصة)	عبدالله الشباط	١٤٠٨هـ

م	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة الطبع
٤٦	الزهور تبحث عن آنية (قصة)	عبدالعزيز مشري	١٤٠٨هـ
٤٧	نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير	حجاب بن يحيى الحازمي	١٤٠٨هـ
٤٨	الأجوبة على المسائل التي الاختلاف فيها مباح	تأليف : عبدالرحمن أحمد البهكلي تحقيق الشيخ علي أبو زيد الحازمي	١٤٠٩هـ
٤٩	الأواني الخشبية التقليدية عند العرب	د. سليمان محمود حسن	١٤٠٩هـ
٥٠	الأفنان الندية ج١	زيد محمد المدخلي	١٤٠٩هـ
٥١	جراح قلب (شعر)	علي أحمد النعمي	١٤٠٩هـ
٥٢	رواد علم الجغرافيا	د. علي عبدالله الدفاع	١٤٠٩هـ
٥٣	طائر الليل (قصة)	عمرو العامري	١٤٠٩هـ
٥٤	أغنية للوطن (شعر)	علي محمد صيقل	١٤٠٩هـ
٥٥	فرسان الناس والبحر والتاريخ	إبراهيم عبدالله مفتاح	١٤١٠هـ
٥٦	ألسنة البحر (قصة)	أحمد إبراهيم يوسف	١٤١٠هـ
٥٧	أمير الحب (رواية)	محمد زارع عقيل	١٤١٠هـ
٥٨	أشرعة الصمت (شعر)	حسين محمد سهيل	١٤١٠هـ
٥٩	عرس القرية (قصة)	محمد منصور مدخلي	١٤١٠هـ
٦٠	من أحاديث السنوسي	عبدالعزيز علي الهويدي	١٤١٠هـ
٦١	دراسات في شعر محمد علي السنوسي	مجموعة مؤلفين	١٤١٠هـ
٦٢	فن الرواية في الأدب السعودي	د. محمد صالح الشنطي	١٤١١هـ
٦٣	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ ١	محمد أحمد العقيلي	١٤١١هـ
٦٤	قراءات نقدية تحليلية للقصة	د. محمد بن يوسف	١٤١٢هـ
٦٥	عقبات في طريق الدعوة	د. إبراهيم عباس	١٤١٢هـ
٦٦	ما اتفق لفظه واختلف معناه	تأليف : ابن العميثل تحقيق : د. محمود شاكر سعيد	١٤١٢هـ
٦٧	أوصاف الشعر عند العرب	د. عبدالله باقازي	١٤١٢هـ
٦٨	من شعر علي بن محمد السنوسي	د. عبدالله أبو داهش	١٤١٢هـ
٦٩	سليمان عليه السلام بين حقائق التلفزة وعلم التقنية	عبد الرحمن محمد الرفاعي	١٤١٢هـ
٧٠	مقامات فرسانية	إبراهيم عبد الله مفتاح	١٤١٢هـ
٧١	لعيني لؤلؤة الخليج "شعر"	علي أحمد النعمي	١٤١٢هـ
٧٢	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ ٢	محمد أحمد العقيلي	١٤١٣هـ
٧٣	التاريخ الأدبي لمنطقة جازان جـ ٣	محمد أحمد العقيلي	١٤١٤هـ
٧٤	رواد العلوم الرياضية	د. علي عبدالله الدفاع	١٤١٤هـ
٧٥	عشرون عاما من مسيرة نادي جازان الأدبي	دليل النادي	١٤١٤هـ
٧٦	مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص	تأليف : رولان بارت ... ترجمة :د. منذر عياشي	١٤١٤هـ
٧٧	الآخرون مازالوا يمرون (قصة)	زكية راشد نجم	١٤١٥هـ
٧٨	بوصلة واحدة لا تكفي (شعر)	علي محمد الأمير	١٤١٥هـ
٧٩	يا ساهر البرق	تحقيق ودراسة : أبي عبد الرحمن بن عقيل	١٤١٦هـ
٨٠	تداعيات الرجل الرمادي (قصة)	جبريل أبودية	١٤١٦هـ
٨١	وردة في فم الحزن (شعر)	حسن حجاب الحازمي	١٤١٦هـ
٨٢	رحلة الأمس (شعر)	أحمد إبراهيم الحربي	١٤١٦هـ
٨٣	رائحة التراب (شعر)	إبراهيم عبدالله مفتاح	١٤١٦هـ
٨٤	مناقرات صحفية	علي العمير	١٤١٧هـ
٨٥	محمد أحمد العقيلي (العالم الموسوعي)	د. محمد الصادق عفيفي	١٤١٧هـ
٨٦	النقد الأدبي في آثار الشريف المرتضى	د. أحمد عبد الواحد	١٤١٧هـ
٨٧	قبل أن ينضب الأمل (شعر)	جلوي يحيى حكمي	١٤١٧هـ
٨٨	وكالة الأنباء	عبدالرحمن محمد الرفاعي	١٤١٨هـ
٨٩	التفكير الإبداعي بين النظرية والتطبيق	د. عبدالله الصالح	١٤١٨هـ
٩٠	الزكاة وأحكامها في الرسالات السماوية	يحيى زاهر الحارثي	١٤١٨هـ

م	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة الطبع
٩١	مساء الحب أيتها الشمس (قصة)	إبراهيم عمر صعابي	١٤١٨هـ
٩٢	جمجمة في ضوء الشمس	محمد عبد الوحد	١٤١٩هـ
٩٣	حوليات سوق حباشة	د. عبد الله أبو داهش	١٤١٩هـ
٩٤	الآنسة أولين (قصة)	فهد أحمد المصبح	١٤١٩هـ
٩٥	الملف الدوري " مرافئ"	العدد الأول	١٤١٩هـ
٩٦	الرواية الإسلامية المعاصرة	د. حلمي محمد القاعود	١٤١٩هـ
٩٧	لا تسلني عن جراحي "شعر"	مهدي أحمد حكمي	١٤١٩هـ
٩٨	أول الرؤيا "شعر"	إبراهيم زولي	١٤١٩هـ
٩٩	وللأقمار باب "شعر"	حسين محمد سهيل	١٤١٩هـ
١٠٠	العيون في ديوان العرب	ناصر زمل	١٤٢٠هـ
١٠١	الخصومة بين النحاة والشعراء	د. محمد غالب وراق	١٤٢٠هـ
١٠٢	شعر تميم بن أبيّ بن مقبل (مجلدان)	د. عبد الله الفيفي	١٤٢٠هـ
١٠٣	في الأدب السعودي بحوث ومقالات	د. حمد بن ناصر الدخيل	١٤٢٠هـ
١٠٤	الأعمال الشعرية الكاملة	محمد بن علي السنوسي	١٤٢٠هـ
١٠٥	شعر قبيلة مذحج (٣ مجلدات)	محمد عبد الله منور	١٤٢٠هـ
١٠٦	عبد الكريم والسلطان (قصة)	إبراهيم مغفوري	١٤٢٠هـ
١٠٧	ستذكرون ما أقول لكم (شعر)	د. صالح بن سعيد الزهراني	١٤٢٠هـ
١٠٨	قصص الأطفال (ثلاث مجموعات)	مسابقة النـــادي	١٤٢٠هـ
١٠٩	مقالات رصينة وتحقيقات أمينة	محمد أحمد العقيلي	١٤٢٠هـ
١١٠	الملف الدوري (مرافئ)	العدد الثاني	١٤٢٠هـ
١١١	الحميني الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي (ط٢)	عبدالرحمن محمد الرفاعي	١٤٢١هـ
١١٢	البطل في الرواية السعودية	حسن حجاب الحازمي	١٤٢١هـ
١١٣	دم البراءة (رواية)	إبراهيم الناصر الحميدان	١٤٢١هـ
١١٤	من مشاهير الحكميين	حسين بن صديق حكمي	١٤٢١هـ
١١٥	الملف الدوري (مرافئ)	العدد الثالث	١٤٢١هـ
١١٦	منحة الصمد في الميسور عن حديث ضمد	تأليف: القاضي الحسن بن أحمد عاكش تحقيق: محمد محسن ديلجي	١٤٢١هـ
١١٧	لمحات عن الشعر والشعراء في منطقة جازان خلال العهد السعودي	حجاب بن يحيى الحازمي	١٤٢١هـ
١١٨	رهبة الظل (شعر)	محمد إبراهيم يعقوب	١٤٢٢هـ
١١٩	حمى الأحلام (شعر)	أيمن عبد الحق	١٤٢٢هـ
١٢٠	اقرأ باسم ربك	للشيخ / محمد بن ناصر الحربي	١٤٢٢هـ
١٢١	مفهوم الصدق في النقد العربي القديم	د. حمود الصميلي	١٤٢٢هـ
١٢٢	باقة من فل جازان (شعر)	حسين أحمد النجمي	١٤٢٢هـ
١٢٣	القشور (قصة)	عمر طاهر زيلع	١٤٢٢هـ
١٢٤	عزف على أوتار مهترئة (شعر)	حسن أحمد الصلهبي	١٤٢٢هـ
١٢٥	من شظايا الماء (شعر)	إبراهيم عمر صعابي	١٤٢٢هـ
١٢٦	وطني و الفجر الباسم (شعر)	عيسى بن علي جرابا	١٤٢٢هـ
١٢٧	الوطن ولاء وانتماء (شعر)	أحمد سالم باعطب	١٤٢٢هـ
١٢٨	حسن النية (قصة)	إبراهيم محمد شيخ مغفوري	١٤٢٢هـ
١٢٩	الملف الدوري (مرافئ)	العدد الرابع	١٤٢٢هـ
١٣٠	الحملة (قصة)	محمد منصور الشقحاء	١٤٢٣هـ
١٣١	أوراق الربيع	د. يوسف العارف	١٤٢٣هـ
١٣٢	قسمات وملامح (شعر)	علي بن أحمد النعمي	١٤٢٣هـ
١٣٣	المجموعة الكاملة للسنوسي ط٢ (شعر)	محمد بن علي السنوسي	١٤٢٣هـ
١٣٤	نشرة أصوات	العدد الأول	١٤٢٣هـ
١٣٥	أغصان تتلظى "شعر"	يحيى صديق حكمي	١٤٢٤هـ

م	عنوان الكتاب	المؤلف	سنة الطبع
١٣٦	فرسان بين التاريخ والجيولوجيا	إبراهيم عبد الله مفتاح	١٤٢٤هـ
١٣٧	رجع (شعر)	منصور دماس	١٤٢٤هـ
١٣٨	نشرة أصوات	العدد الثاني	١٤٢٤هـ
١٣٩	الملف الدوري مرافئ	العدد الخامس	١٤٢٤هـ
١٤٠	دراسات في الأدب والترجمة	د. عبد الوهاب الحكمي	١٤٢٤هـ
١٤١	في دائرة الغبار (شعر)	د. محمد العيد الخطراوي	١٤٢٤هـ
١٤٢	مجموعة اللفحات في النقد الأدبي	علي العمير	١٤٢٤هـ
١٤٣	أطفئ فانوس قلبي (شعر)	د. محمد حمود حبيبي	١٤٢٤هـ
١٤٤	صلة النحو بعلوم الشريعة	د. عبد الله جاد الكريم	١٤٢٤هـ
١٤٥	الخروج من بوابة الفل (شعر)	أحمد إبراهيم الحربي	١٤٢٤هـ
١٤٦	بين شاعرين من تهامة	د. مجدي محمد خواجي	١٤٢٥هـ
١٤٧	الملف الدوري (مرافئ)	العدد السادس	١٤٢٥هـ
١٤٨	نشرة أصوات	العددان الثالث والرابع	١٤٢٥هـ
١٤٩	الحسن بن أحمد عاكش	د. حسن بن أحمد النعمي	١٤٢٥هـ
١٥٠	شعر محمد بن أحمد العقيلي (دراسة تحليلية)	د.خالد ربيع الشافعي	١٤٢٥هـ
١٥١	الشمس التي رحلت (رواية)	محمد يحيى عطيف	١٤٢٥هـ
١٥٢	البحر .. يغرق (خواطر)	أمنة بنت محمد آل علية (يرحمها الله)	١٤٢٥هـ
١٥٣	فجر النهضة (شعر)	أحمد صالح بابقي –تحقيق الأستاذ: عبد الرحمن الرفاعي	١٤٢٦هـ
١٥٤	دعوة للقمر (قصة)	عمر طاهر زيلع	١٤٢٦هـ
١٥٥	وجوه رجال هاربين (قصة)	البراق الحازمي	١٤٢٦هـ
١٥٦	حنين وشجن (شعر)	حسين جبران كريري	١٤٢٦هـ
١٥٧	ما زال ربيعا (شعر)	محمد حسن أبو عقيل	١٤٢٦هـ
١٥٨	أوشك أن أعود (قصص)	العباس محمد معافا	١٤٢٦هـ
١٥٩	الملف لدوري (مرافئ)	العدد السابع	١٤٢٦هـ
١٦٠	جزيرة العصافير (قصة)	أم المجد (فاطمة الفقيهي)	١٤٢٦هـ
١٦١	ألهمني البحر	حمزة أحمد الشريف	١٤٢٦هـ
١٦٢	لهجة أزد السراة	جمعان الغامدي	١٤٢٦هـ
١٦٣	لأنها لا تموت "قصص"	أمل إسماعيل	١٤٢٦هـ
١٦٤	تراتيل العزلة "شعر"	محمد إبراهيم يعقوب	١٤٢٦هـ
١٦٥	نشرة أصوات	العدد الخامس	١٤٢٧هـ
١٦٦	نشأة الأدب السعودي المعاصر	د . عبد الله محمد أبو داهش	١٤٢٧هـ
١٦٧	عمر بهاء الدين الأميري	د . خالد الحليبي	١٤٢٧هـ
١٦٨	دراسات في تاريخ الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية	د . غيثان بن علي بن جريس	١٤٢٧هـ
١٦٩	الاتجاه الإسلامي في شعر عدنان علي النحوي	ليلى عبده شبيلي	١٤٢٨هـ
١٧٠	حين أمسيت (شعر)	ملهي حسن عقدي	١٤٢٨هـ
١٧١	روحان (شعر)	موسى محمد الأمير	١٤٢٨هـ
١٧٢	اتجاه آخر (مجموعة قصصية)	أحمد موسى أبو العجار	١٤٢٨هـ
١٧٣	مرافئ الحب (شعر)	عبد الله بن أحمد الفيفي	١٤٢٨هـ
١٧٤	نبض الفؤاد (شعر)	عبدالله بن محمد الحميد	١٤٢٨هـ
١٧٥	صمت الأوردة (شعر)	علي يحيى البهكلي	١٤٢٨هـ




دراسات
في تاريخ
إفريقيا والجزيرة العربية
خلال العصور الإسلامية
أ. د / غيثان بن علي بن جريس
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م
ردمك : ٠-٨٠-٦٢٢-٩٩٦٠
مطابع الحميضي